جامعة الجزائر 2

أبو القاسم سعد الله

كلية العلوم الإنسانية

قسم: الفلسفة

نقد الموقف الإستشراقي من تاريخ القرآن

-تيودور نولدكه أنموذجا -

أطروحة مقدمة لنيل درجة دكتوراه الطور الثالث ل.م.د في الفلسفة

تخصص: فلسفة عامة

إعداد الطالب:

-أحمد خالدي

إشراف الأستاذ:

– أ.د محمد يحياوي

أعضاء لجنة المناقشة

أ.د يوسف عبد العزيز	أستاذ التعليم العالي	جامعة الجزائر 2	رئيسا
أ.د محمد يحياوي	أستاذ التعليم العالي	جامعة الجزائر 2	مشرفا ومقررا
أ.د. مولود عويمر	أستاذ التعليم العالي	جامعة الجزائر 2	عضوا مناقشا
أ.د.علي بودربالة	أستاذ التعليم العالي	جامعة الجزائر 2	عضوا مناقشا
أ.د أحمد ملاح	أستاذ التعليم العالي	جامعة وهران	عضوا مناقشا
أ.د. زين العابدين مغربي	أستاذ التعليم العالي	جامعة سيدي بلعباس	عضوا مناقشا

السنة الجامعية: 2020-2021

بسم الله الرحمن الرحيم

شكر و عرفان

"من نشر ثوب الثناء فقد أدى واجب الجزاء، و في كتمان الشكر جحود لمن وجب من الحق، ودخول في كفر النعم."

لا يمكن أن أبدأ عبارات الشكر بأحد قبل قرة عيني والتي تعجز كل كلمات اللغة لتوافيك حقك من الشكر يا أغلى وأعز مخلوق في الدنيا وأحن أم في الدنيا أطال الله عمرك وحفظك لي من كل سوء.

كما أتقدم بأصدق عبارات الشكر والثناء إلى أستاذي المشرف " **يحياوي محمد** " الذي صبر عليَّ كثيرا وعلى مؤازرته إياي فلم يبخل عني بالنصيحة والتوجيه الذي أنار دربي بما يلزم من مراجعة و تصحيح وشجعني على الصبر والاستمرار لتحقيق الهدف.

كما أتقدم بالشكر الجزيل في هذا اليوم إلى أساتذتي الموقرين في لجنة المناقشة لتفضلكم بقبول مناقشة هذه الرسالة، فهم أهل لسد خللها وتهذيب نتوآتها وإبانة مواطن القصور فيها.

وأغتنم الفرصة لشكر كل أساتذتي من الإبتدائي إلى المتوسط والثانوي وكل أساتذتي بجامعة وهران وسيدي بلعباس والعاصمة .

كما يطيب لي شكر كل من ساعدني لإتمام هذا العمل من قريب أو من بعيد وعلى رأسهم زميلتي "**ياحي**" التي ساعدتني كثيرا وزميلي "**ناصر عزام**" الذي أحضر لي كتبا قيمة من المغرب، وعماد الذي كان يوافيني بكل ما له علاقة بموضوعي.

أقل ما يمكن أن يقال "شكرا لكم جميعا"

إهداء

أهدى هذا العمل المتواضع إلى من منحني اسمه وعطفه وكل ما كنت أطلبه وأخذه القدر مني فرحل ولم أوفيه قدره إلى روح والدي رحمه الله.

كما أهديه لسندي بعد أبي الذي لم يكتمل مسارنا معا فخطفه الموت مني أخي وحبيبي وأعز ما كنت أملك " **مختار** " رحمة الله عليه.

كما أهدي ثمرة تعبي لسنوات لمن آزرتني ودعمتني ماديا و معنويا و بالدعاء، حكيمة العائلة "**جدتي الغالية**" رحمها الله .

كما أهديه إلى أفراد عائلتي الصغيرة "**زوجتي**" و أبنائي "**مختار**" و"**مريم**" و إلى إخوتي "**مصطفى**" و"**مريم**" و"**سومية**" والغالية "**تورية**" وإلى كل العائلة الكبيرة: "**خالدي**" و"**ناصري**" و "**بهرام**" و بالأخص خالي "**عبد الرزاق**" الذي هو بمثابة الأخ الأكبر.

و إلى كل باحث عن الحقيقة والمعرفة.

الفهرس

الفهرس

مقدمة 1

الفصل الأوّل: الاستشراق ومصادر ثقافة النبي محمد

تمهيد 9
المبحث الأوّل: مفهوم الاستشراق 10
1- من الناحية اللغوية 10
2- من الناحية الاصطلاحية 11
المبحث الثاني: حركة الاستشراق 16
1- الإستشراق بالمفهوم الجغرافي 16
2- الاستشراق بمفهوم البحث في التراث الإسلامي 19
المبحث الثالث: البيئة السوسيولوجية والثقافية التي ظهر فيها النبي محمد 23
1- الفضاء السوسيولوجي والفكري في مكة قبل البعثة 24
2- مولد النبي محمد 27
3- مصادر تكوين شخصية الرسول 36
خاتمة الفصل 58

الفصل الثاني: الوحي والقرآن

تمهيد 61
المبحث الأوّل: الوحي المحمدي..... 62
1- موقف نولدكه من الوحي والنبوة 62
2- تعريف الوحي 67
3- أنواع استعمالات الوحي 70
المبحث الثاني: التنزيل وبداية الوحي والقرآن 76
1- مفهوم النزول 77
2- مدة نزول الوحي على النبي محمد 84
3- آخر ما نزل من القرآن 92
المبحث الثالث: مفهوم القرآن 94
1- الجانب اللغوي..... 94
2- الجانب الاصطلاحي 99
3- أسماء القرآن الكريم 101
خاتمة الفصل 112

الفصل الثالث: جمع القرآن

تمهيد 115
المبحث الأوّل: جمع القرآن 116
1- مفهوم الجمع 216
2- من الوحي إلى المصاحف 119
3- هل الأحرف السبع هي القراءات السبع؟ 138
المبحث الثاني: من المصاحف إلى المصحف 153
1- الرواية الشيعية 154
2- جمع القرآن في عهد أبي بكر 158
3- جمع القرآن في عهد عمر بن الخطاب 165
خاتمة الفصل 167

الفصل الرابع: المصحف العثماني

تمهيد 170
المبحث الأول: النسخة النهائية للمصحف..... 171
1- توحيد المصاحف في عهد عثمان بن عفان 171
2- هل ضاع شيء من القرآن؟ 175
المبحث الثاني: الناسخ والمنسوخ 189
1- إحاطة بالمفهوم 189
2- ضروب النسخ في القرآن 191
3- هل هنالك أخطاء لغوية في القرآن؟ 194
المبحث الثالث: ترتيب المصحف 197
1- تصنيف وتبويب السور ضمن المكي والمدني 198
2- هل ترتيب المصحف العثماني توقيفي أم توفيقي؟ 201
خاتمة الفصل 226
الخاتمة 228
قائمة المصادر والمراجع 232

مقدمة

مقدمة

لقد أغرى النص القرآني - كموضوع إبستيمولوجي -منذ ظهوره- في العصور الوسطى - المستشرقين إلى يومنا هذا، نظرا لما يحمله من قدسية للمسلمين من جهة، ومن جهة أخرى على اعتبار أنه مرجعية حضارية وتاريخية وتراثية وحتى إيتيقية لفهم الآخر بالنسبة للمستشرقين، لذا تعددت المدارس الاستشراقية التي تناولت بالبحث والتقصي هذا المجال المعرفي، ومن بين هذه المدارس نجد المدرسة الألمانية أو ما يعرف بالاستشراق الألماني الذي هو من أغزر المدارس الاستشراقية إنتاجا ومن أكثرها جدية وموضوعية بغض النظر عن النتائج المتوصل إليها، سواءا اتفقنا معهم عليها أو اختلفنا حيالها، ومن بين أهم المستشرقين الذين تناولوا موضوع النص القرآني بالتقصي الإستقرائي النقدي هو المستشرق تيودور نولدكه Theodor Nöldeke من خلال أثره الموسوم بـ: "تاريخ القرآن" هذا المستشرق الذي قدمه عبد الرحمان بدوي في موسوعته حول المستشرقين بأنه شيخ المستشرقين ولد 2 مارس 1836 في هاربورغ بألمانيا تخصص في الدراسات السامية بدلا عن اليونانية لأنه وجد فيها حقلا خصبا و مادة دسمة يشبع بها شغفه المعرفي ويمكن التوصل فيها إلى الجديد ، تعلم عدة لغات منها العبرية والعربية والآرمية وحتى التركية والفارسية [1]، ولكن ما يعاب عليه أنه لم يزر المشرق بل تشبع من كل أفكاره عن طريق المستشرقين، رغم أنه اطلع على المخطوطات والكتب العربية الاسلامية، وله فقط هذا المؤلف الذي تناول فيه حياة النبي محمد قبل البعثة ومسألة تكوين ثقافة النبي إضافة إلى مسألة الوحي والنزول والجمع والترتيب، لذا اتخذناه نموذجا لرسالتنا هذه، هذا المؤلف الذي استمد عنوانه من رسالته للدكتوراه سنة 1856 وكان حينها نولدكه شابا في العشرين من العمر وفي سنة 1898 اقترحت عليه شركة نشر طبع رسالته التي كانت في حدود 200 صفحة وفي سنة 1909 فأوكل المهمة إلى تلاميذه وعلى رأسهم فريدريش شوفالي وبعد وفاته أوغيست فيشر ثم غوتهلف برغشتر سر وختمه أوتو بريتسل فكان عملا جبارا لم يرى النور إلا بعد سبعة عقود حيث مر بثلاث أجيال، توفي نولدكه يوم 25ديسمبر1930.

[1]- بدوي عبد الرحمان ، موسوعة المستشرقين ، دار العلم للملايين، بيروت ،ط3،1993، ص 595.

لقد اتسمت الدراسات الاستشراقية حول النص القرآني قبل نولدكه بالكثير من الذاتية حيث كان الغرض المركزي منها مهاجمة الإسلام وكل ما يمت بصلة للنبي محمد وكان بعضها يقارن النص القرآني بالعهدين القديم والجديد، بل حتى ترجمة القرآن من العربية إلى اللاتينية في القرن الثاني عشر أطلقت على المصحف تسمية "الكتاب المقدس التركي" لأن الجيش العثماني توغل إلى أوربا، بل رغم تأسيس المعاهد الاستشراقية في القرن السادس عشر إلا أنها ارتبطت بالاستعمار فكانت تقوم بدراسات أنثروبولوجية وسوسيولوجية لدراسة الشرق وتراثه وإيديولوجيته حتى تسهل عملية الاستعمار، في مقابل ذلك كانت دراسات نولدكه من وجهت نظرنا تتسم بالموضوعية العلمية لأن الاستشراق الألماني ليس له أي علاقة بالكولونيالية الغربية للشرق، هذا من جهة ومن جهة أخرى لم يكن نولدكه خريج معاهد كنسية، بل كان هدفه فهم الآخر ونبش تراثه حيث لم يرى أي تناقض و عداء -إن صح التعبير- بين الدين كبعد سيكولوجي عقائدي وبين الدراسة العلمية، بل أن تعدد الأديان حسبه لا يشكل تهديدا بل مغامرة فكرية أراد خوض أغواها بالتحدي الفكري، فالدين والعلم كلاهما تراث إنساني يساهم في رفع الوعي و المعرفة.

بناءا على ما سبق نطرح **الإشكالية التالية:** هل المصحف العثماني هو كتاب سماوي إلا هي أم هو عمل بشري من وجهة نظر استشراقية؟ وللإجابة على هذا الإشكال كان لا بد علينا أولا الإجابة على مجموعة مشكلات فرعية لمتابعة سيرورة النص القرآني من الوحي إلى المصحف حسب تيودور نولدكه: ما مصادر تكوين ثقافة النبي محمد؟ هل ساهمت العوامل الذاتية والموضوعية في نبوة محمد؟ ما النبوة؟ ما الوحي؟ ما علاقة النبوة بالوحي؟ ما أشكال الوحي عامة والمحمدي خاصة؟ ما هو أول وآخر ما نزل على النبي محمد؟ هل بشر العهد الجديد برسول يأتي من بعد المسيح اسمه أحمد؟ ما مراحل جمع القرآن الكريم؟ وما لماذا رتب المصحف العثماني بهذا الترتيب؟

للإجابة على هذه التساؤلات فرضت علينا طبيعة الموضوع استخدام مناهج متعددة رغم أن المنهج الأساسي هو المنهج التاريخي لأن نولدكه نفسه اعتمده في بحثه، كما اعتمدنا على المنهج الاستقرائي، لاستقراء المسائل التي تحتاج إلى ربط الجزء بالكل والتي تحتاج توضيح، ثم المنهج الوصفي عند عرض القضايا وتحريرها، وأحيانا تجتمع المناهج

فيكون التحليل والمقارنة، أما المنهج النقدي فيأتي في ثنايا عرض القضايا والتعقيب عليها أحيانا.

كما حرصنا على اتساق هذا البحث ليكون بناؤه بناء رصينا متوائما مع الأفكار وتسلسلها، والأحداث وسيرورتها انتظمت رسالتنا وفق **المنهجية** التالية:

- **الفصل الأول:**"الاستشراق ومصادر ثقافة النبي" فتناولنا في المبحث الأول مفهوم الاستشراق لغة واصطلاحا لمحة تاريخية عن تطور حركة الاستشراق ثم في المبحث الثاني مصادر تكوين ثقافة النبي محمد حيث انطلقنا من البيئة التي ترعرع فيها وتلقى أولى معارفه ومشاربه الثقافية كونها كانت من بين المحطات التي ركز عليها بعض المستشرقين لضرب الإسلام والتقليل من قيمته حيث اعتبروه مجرد توليفة قام بها النبي لما تلقاه من الآخرين من جهة بل القرآن حسب البعض هو عصارة لأساطير الأولين. كما ألقينا الضوء على العوامل الذاتية كون النبي كان شخصا متميزا وذكيا، فكان لبعض المستشرقين موضوعا لانتقاده وانتقاد النص القرآني.

- أما في **الفصل الثاني** الذي عنوانه: "الوحي والقرآن" فتطرقنا في المبحث الأول إلى موقف نولدكه من الوحي وأنواع استعمالات هذا المصطلح في النص القرآني هذه النقط أسالت الكثير من الحبر لأنها تعتبر جوهر الرسالة المحمدية وهنا شكك نولدكه في الوحي المحمدي واعتبره مجرد إلهام وصوت داخلي اعتقد النبي بأن مصدره الله، ثم في المبحث الثاني تطرقنا إلى مفهوم النزول ومدته وإلى أول وآخر ما نزل من القرآن والاختلاف الذي أثير حولهما.

- أما **الفصل الثالث** فعنوناه بـ "جمع القرآن" فهذه النقطة وحدها اختص فيها العديد من المستشرقين لأنها هي نواة تشكل المصحف العثماني كون القرآن كان مفرقا على المسلمين فكلما نزل الوحي على النبي أملاه على من يكون معه لذا تطرقنا في المبحث الأول إلى مفهوم الجمع ومراحله وإلى القراءات السبعة وما تبعها من اختلاف كان مادة خام للمستشرقين، ثم في المبحث الثاني سلطنا الضوء على الاختلاف الذي أثير بين الشيعة والسنة حول أمر النبي بجمع القرآن وعرجنا على موقف نولدكه من هذا الاختلاف ثم كيفية الانتقال من مصاحف إلى مصحف واحد في عهد الخليفتين أبو بكر وعمر بن الخطاب .

- ثم ختاما **الفصل الرابع** الموسوم بـ "المصحف العثماني" وهو الكتاب الرسمي للمسلمين حيث قام الخليفة الثالث بتوحيد المصاحف في مصحف واحد وهو النسخة الرسمية التي فرضها على كل المسلمين حيث أحرق بقية النسخ فعرجنا في المبحث الأول على تشكيك المستشرقين في إمكانية ضياع بعض القرآن ثم في المبحث الثاني تطرقنا إلى مسألتي الناسخ والمنسوخ التي كانت أيضا وما زالت موضع تشكيك استشراقي ثم عرجنا على مسألة أثارها نولدكه وهي إمكانية وجود أخطاء في المصحف العثماني ثم في المبحث الأخير تطرقنا إلى مسألة تريب المصحف الآيات والسور والمكي والمدني بين التوقيف والتوفيق.

الدراسات السابقة:

إن الدراسات الإستشراقية عامة وتاريخ القرآن خاصة قد نالت اهتمام المفكرين الشرقيين أنفسهم وتناولوها بالنقد سواءا كان معارضا ناقما عليها أو مؤيدا لها، وكان لنولدكه نصيب الأسد في هذه الدراسات سواءا في مؤلفات على غرار عبد الله الزنجاني ومحمد حسين علي وغيرهم كثير الذين عنونوا كتبهم ب تاريخ القرآن، أو رسائل دكتوراه في الوطن العربي وهي كثيرة على غرار القراءات القرآنية في كتاب "تاريخ القرآن" للمستشرق الألماني نولدكه -عرض ونقد- "للباحث مالك شعبان حسن في جامعة اليرموك تحت إشراف الأستاذ: عبد الله مرحول سوالمة ناقشها يوم 12-04-2011م، إضافة إلى "تاريخ القرآن الكريم -دراسة نقدية تحليلية-" للباحث الموريتاني الشيخ التجاني ولد أحمدي نوقشت بكلية الآداب والعلوم الإنسانية سايس بفاس المغربية تحت إشراف الدكتور عبد العالي المسؤول يوم 5 أفريل2013م، وغيرهم كثير لا يمكن حصرهم .

أما **الصعوبات** التي صادفتنا في بحثنا هذا، لم تصل إلى مستوى العائق بل زادتنا حافزا لمقاومتها لأن هدفنا وإصرارنا كان أكبر ولعل أكبر هذه العقبات هي عدم تفرغنا للرسالة كوننا نجمع بين التعليم الثانوي وبين البحث العلمي، ما يفرض التوفيق بينهما، أما الصعوبة الثانية فهي حساسية الموضوع بالنسبة للمسلمين عامة ولي خاصة كوني مسلم، وموضوعي يتناول أقدس مقدساتنا العقائدية غير أننا حاولنا التحلي بالموضوعية في نقد موقف نولدكه وذلك من خلال الاستناد على الوقائع التاريخية واستقرائها ونقدها وعرض مختلف الآراء مهما تناقضت ثم بعد ذلك ترجيح الرأي الأقرب إلى العقل والواقع، لذا نعتذر

من قارئ رسالتنا إذا وجد فيها اختلافا مع ما يعتقده، ومن بين العقبات التي واجهت دراستنا هو اتساع المجال الابستيمولوجي الذي تناوله نولدكه حيث ألمَّ بالكثير من المسائل التي لا يمكن الإحاطة بها جميعا في بحث واحد بدءا بالبيئة الثقافية التي ترعرع فيها النبي محمد مرورا بمسألة الوحي وإشكالاته ثم مسألة جمع القرآن في مراحل متعددة ثم مسألة ترتيب القرآن ثم القراءات السبع ومسألة الناسخ والمنسوخ وغيرها من المسائل التي تتطلب كل واحدة منها سنوات من البحث، ومن بين الصعوبات أيضا هو عائق اللغة فرغم أن أغلب المصادر والمراجع التي تتناول الدراسات القرآنية وعلوم القرآن مكتوبة بلغتنا الأم العربية، إلا أن المستشرقون باختلاف جنسياتهم يكتبون بلغاتهم سواء الألمانية أو الانجليزية أو الهولندية والروسية ما دفعنا إلى الاعتماد على الترجمة أو القواميس للإحاطة بالمعنى الدقيق للكلمة و سياقها في الكلام ناهيك عن اعتماد نولدكه على اللغات العريقة كاللاتينية والعبرية . ولا يفوتني أن ارجع الفضل في تغلبي على كل هذه الصعوبات بفضل التوجيهات الأستاذ المشرف " يحياوي محمد " الذي كان خير معين و سند و لم يدخر جهدا أو وقتا في توجيهي.

كما تتزاحم بواعث و**دوافع اختيارنا لهذا الموضوع** التي تتأرجح بين دوافع ذاتية خاصة وأخرى موضوعية غير أنني أعترف أنه لا يمكن أن نفصل جانبا عن آخر فالشغف المعرفي هو المهيج للأفكار لذا سأجمل هذه البواعث في:

- الإطلاع والتعرف على الموقف الاستشراقي من الإسلام عموما ومن النص القرآني خصوصا من خلال موقف شيخ المستشرقين ومرجعيتهم الأولى تيودور نولدكه، هذا الموقف الذي أعتبره إلى حد كبير يتسم بالموضوعية لأن الدارس له ليس مسلم من جهة والاستشراق الألماني غير مرتبط بالكولونيالية أو الإمبريالية.
- إماطة اللثام والتقصي عن الحقيقة حول تاريخية النص القرآني ووضع حدود بين ما هو إلاهي مطلق وما هو بشري نسبي. ومحاولة استنطاق بعض المسائل التاريخية والشعائرية التي وضع عليها بعض الفقهاء سياجا دوغمائيا.
- نقد الموقف الاستشراقي بعد مقارنته بموقف الفقهاء المسلمين، وتعقب المشروع الحداثي في تناوله للنص القرآني فنوازن مختلف المقاربات لنرجح ما نعتقد أنه الأصح أو بتعبير أدق الأقرب إلى الصواب من وجهة نظرنا.

- لعل أكبر دافع لانتقائنا لهذا الموضوع هو إشباع فضولنا الفكري اللامتناهي للبحث عن الحقيقة، ومحاولة إيجاد أجوبة لأسئلة راودتنا منذ الطفولة حول بعض المسائل الشعائرية والعقائدية التي كانت توأد من قبل المجتمع الذي يعتقد بأن العقل قاصر عن بلوغ المسائل الميتافيزيقية ويؤدي إلى الكفر والإلحاد، وهذه الفكرة حسب رأيي المتواضع تتنافى مع منطوق النص القرآني الذي يدعوا إلى إعمال الفكر لأنه يزيد الإيمان بما هو إلا هي حقيقي وما هو بشري إجتهادي نسبي. فالعقل وحده هو ميزان الصواب والخطأ.
- لذا فمن **آفاق هذا البحث** هو إثارة الفضول لمعرفة حقيقة ديننا وتاريخية نصنا القرآني، ومحاولة تفكيك أغلال العقل لاقتحام المسائل الدينية وفق مناهج معاصرة من جهة، ومن جهة أخرى التعرف على الموقف الاستشراقي عموما وموقف نولدكه خصوصا من مسألة النص القرآني لنصل لمرتبة مؤمن عاقل و ليس مؤمن بالوراثة و الاجترار.

الباحث: خالدي أحمد

سيدي بلعباس يوم 16أفريل 2021

الفصل الأول

الاستشراق ومصادر ثقافة النبي محمد

الفصل الأول: الاستشراق ومصادر ثقافة النبي محمد

تمهيد.

المبحث الأول: مفهوم الاستشراق.

1- من الناحية اللغوية.

2- **من الناحية الاصطلاحية.**

المبحث الثاني: حركة الاستشراق.

1- الإستشراق بالمفهوم الجغرافي.

2- الاستشراق بمفهوم البحث في التراث الإسلامي.

المبحث الثالث: البيئة السوسيولوجية والثقافية التي ظهر فيها النبي محمد.

1- الفضاء السوسيولوجي والفكري في مكة قبل البعثة.

2- مولد النبي محمد.

3- مصادر تكوين شخصية الرسول.

خاتمة الفصل

تمهيد:

الإستشراق هو تيار معرفي يدرس الشرق باعتباره منظومة من القيم والمعايير الفكرية والثقافية، فهو بذلك يهتم بدراسة التراث الشرقي حيث يعمل على تبني مقاربات علمية ومنهجية من أجل فهم خبايا الشرق هذا على نحو عام، وفي السياق الخاص بدراستنا أو محاولتنا البحثية هذه فإن الإستشراق هو حقل أكاديمي يسعى إلى دراسة البنى الاجتماعية والثقافية والدينية للإسلام كدين خاص بعرقية معينة وجغرافية معينة. ويعتبر النص القرآني من أهم المباحث في الدراسات الاستشراقية حيث اتجهت نحوه بوصلة اهتمام المستشرقين منذ بداية ظهور الإسلام، فلا يختلف إثنان على أن الاستشراق ولد في أحضان الكنيسة فكان منطقيا أن يكون الدافع الأول لظهور الحركة الاستشراقية عقائديا، كون الدين الإسلامي شكل خطرا على الدين المسيحي وكان منافسا له في الجزيرة العربية، فانصب اهتمام المستشرقين نحو محاولة إيجاد هفوات في النص القرآني أو التنقيب في حياة النبي محمد لإثبات أنه هو من قام بتأليف القرآن، وإثبات بأنه ليس نبي بل مدعي للنبوة، ثم ارتبط الاستشراق في مرحلة لاحقة بالحروب الصليبية والحملات الاستعمارية، إلا أنه في المرحلة المعاصرة كانت هناك بعض الدراسات الاستشراقية الموضوعية لتراثنا، فاخترنا تيودور نولدكه أنموذجا لأنه شيخ المستشرقين في الدراسات القرآنية هذا من جهة، ومن جهة أخرى لأن الاستشراق الألماني لا يرتبط بالاستعمار فهو ليس كالاستشراق الفرنسي أو البريطاني مقترن بالكولونيالية ولا كالاستشراق الأمريكي مرتبط بالإمبريالية، لذلك سوف نحاول في هذا الفصل تحديد المفاهيم المتعلقة بالاستشراق من الناحية اللغوية والاصطلاحية والعلاقة المباشرة بين هذا التيار المعرفي والتراث الإسلامي بكل أصوله وفروعه ونتطرق كذلك إلى السياق السوسيولوجي الذي تأثر به النبي محمد بمعنى سوف نوضح للقارئ محددات المجتمع المكي قبل النبوة وكيف ساهمت هذه المحددات في تكوين معالم شخصية النبي دون أن ننسى فترة ولادته ونشأته وهذا ما سيساعدنا في عملية البناء الهيكلي للفصل.

المبحث الأول: مفهوم الاستشراق.

«قبل أن تحاورني حدد مفاهيمك» عبارة اشتهر بها الفيلسوف الفرنسي فولتير ولعل من أبرز المفاهيم التي ارتأينا ضرورة ضبطها في بحثنا هذا هو مفهوم الاستشراق.

اتفق أغلب المنشغلين بالبحث في الميدان الاستشراقي على أن هذا المصطلح جديد وحديث في المعاجم والقواميس سواء العربية منها أو الغربية.

1- من الناحية اللغوية:

كلمة استشراق ليست عربية أصيلة وإنما هي مستحدثة ودخيلة، ونفس الأمر ينطبق عليها حتى في اللغات الأجنبية حيث ظهرت كلمة مستشرق Orientalist في انجلترا سنة 1779م ، وكلمة Orientalist في فرنسا سنة 1799م[1].

هذا المصطلح هو ترجمة للكلمة الانجليزية Orientalism فكلمة Orient أو East مترادفتان في الدلالة على معنى الشرق[2]. وهي ترجمة لكلمة Orientalisme بالفرنسية وOrientalistik في اللغة الألمانية[3]، وكلها تعني الشرق.

الشرق هو اتجاه شروق الشمس يقال شرقت الشمس شرقا وشروقا إذا طلعت[4]، فهو يدل على حيّز جغرافي، وإذا أضيف لمصطلح الشرق الألف والسين والتاء التي يقصد بها طلب ليصبح (استشرق) أي أدخل نفسه في أهل الشرق وصار منهم، والمستشرق هو عالم متمكن من المعارف الخاصة بالشرق ولغاته وآدابه[5].

وبما أن هذا اللفظ أوروبي وجب العودة إلى مصدره لفهم المقصود بالشرق في لغاتهم، ففي اللغة الفرنسية orienter تعني وجّه أو هدى أو أرشد، وبالإنجليزية Orientation

[1]- عبد المنعم فؤاد، من افتراءات المستشرقين، مكتبة العبيكان، الرياض، ط1، 2001، ص 16.
[2]- محمد حسين زماني، الاستشراق تاريخه ومراحله، مجلة دراسات استشراقية، العدد الأول، صيف 2014، ص 176.
[3]- السيد محمد الشاهد، الاستشراق ومنهجية النقد عند المسلمين المعاصرين، مجلة الاجتهاد، العدد 22، 1994، ص 196.
[4]- ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، المجلد الأول، ط1، 1990، ص 174.
[5] - أحمد عبد الرحيم السايح، الاستشراق في ميزان النقد الإسلامي، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ط1، 1996، ص 10.

وorientate تعني «توجيه الحواس نحو اتجاه أو علاقة ما في مجال الأخلاق أو الاجتماع أو الفكر أو الأدب نحو اهتمامات شخصية في المجال الفكري أو الروحي».

وفي الألمانية تعني كلمة Sich Orientiern «يجمع معلومات (معرفة) عن شيء ما»[1].

ويرى السيد محمد الشاهد بأن استخدام لفظ الشرق اعتراف بأن العلم كان يطلب من هذه المنطقة، مستشهدا بعنوان كتاب للمستشرقة "زيجريد هونكه": «شمس الله تسطع على الغرب»[2].

2- من الناحية الاصطلاحية:

بما أننا رأينا بأن مصطلح استشراق من الناحية اللغوية مستحدث فإن بعض الباحثين يؤكدون على أن كلمة استشراق لا يراد بها مدلولها اللغوي، أي الاتجاه نحو الشرق بل هي طلب علوم الشرق واتجاه للتخصص في معرفتها، والمستشرق هو المتخصص في علوم الشرق وحضارته وآثاره وفنونه[3]. وقد تعددت تعريفاته عند المنشغلين بهذا المجال الابستيمولوجي من الباحثين المسلمين فانتقينا أبرز ما تناولوه من تحديدات لهذا المفهوم:

- يذكر وازن عدنان بأن الاستشراق هو مصطلح أو مفهوم عام يطلق عادة على اتجاه فكري يعنى بدراسة الحياة الحضارية للأمم الشرقية بصفة عامة ودراسة حضارة الإسلام والعرب بصفة خاصة[4].
- أما محمد بن سعيد السرحاني فيرى بأنه اتجاه فكري يعنى بدراسة الإسلام والمسلمين ويشمل ذلك كل ما يصدر عن الغربيين والدراسات التي تتناول قضايا الإسلام والمسلمين في العقيدة والسنة والشريعة والتاريخ وغيرها من مجالات الدراسات

[1]- السيد محمد الشاهد، ، الاستشراق ومنهجية النقد عند المسلمين المعاصرين ، ص 197.
[2]- السيد محمد الشاهد، المرجع نفسه، ص 197.
[3]- محمد فاروق النبهان، الاستشراق (تعريفه، آثاره، مدارسه)، المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة، إسيسكو، الرباط، 2012، ص 11.
[4]- وازن عدنان محمد، الاستشراق والمستشرقون، رابطة العالم الإسلامي، مكة المكرمة، 1984، ص 15.

الإسلامية الأخرى، ويلحق به ما تبثه وسائل الإعلام الغربية من كتابات وبرامج تتناول الإسلام والمسلمين وقضاياهم[1].

- كما يرى أحمد سمايلوفيتش في كتابه فلسفة الاستشراق بأن كلمة استشراق ذات دلالتين: أولهما أنه علم يختص بفقه اللغة ومتعلقاتها على وجه الخصوص، وثانيهما أنه علم الشرق أو علم العالم الشرقي على وجه العموم وعلى هذا الأساس يشمل كل ما يتعلق بمعارف الشرق من لغة وآداب وتاريخ وآثار، فلسفة وفن وأديان وغيرها من علوم وفنون»[2].
- ويرى عبد الجبار ناجي بأن لفظ المستشرق أطلق على الغربيين الذين يقومون بتلك الدراسات بالمستشرقين وهم جماعة المؤرخين والكتاب الأجانب الذين خصصوا جزءا من حياتهم في دراسة وتتبع المواضيع التراثية والتاريخية والدينية والاجتماعية للشرق.[3]

ومنه فالاستشراق بمفهومه الخاص يعني الدراسات المتعلقة بالشرق الأوسط لغته وآدابه وتاريخه وعقائده وتشريعاته وحضارته، و بوجه عام يطلق على الذين يقومون بتلك الدراسات أيضا (المستعربين)[4].

وقد عرفه كذلك إدوارد سعيد: «كل من يقوم بتدريس الشرق أو الكتابة عنه أو بحثه وسواء كان ذلك المرء مختصاً بعلم الإنسان (الأنثروبولوجيا) أو بعلم الاجتماع أو مؤرخا أو فقيه لغة (الفيلولوجيا) في جوانبه المحدودة والعامة على حد سواء هو مستشرق وما يقوم به هو أو هي بفعله هو استشراق»[5].

---

[1]- محمد بن سعيد السرحاني، الأثر الاستشراقي في موقف محمد أركون من القرآن الكريم، مجمع الملك فهد لطباعة القرآن الكريم، ندوة القرآن الكريم في الدراسات الاستشراقية، المدينة المنورة، ص 3.

[2]- أحمد سمايلوفيتش، فلسفة الاستشراق وأثرها في الأدب العربي المعاصر، دار الفكر العربي، القاهرة، د.ط، 1998، ص ص 25-26.

[3]- عبد الجبار ناجي، تطور الاستشراق في دراسة التراث العربي، دار الجاحظ، ط1، بغداد ،1980،ص 23.

[4]- فاروق عمر فوزي، الاستشراق والتاريخ الإسلامي (القرون الإسلامية الأولى)، الأهلية للنشر والتوزيع، الأردن، ط1، 1998، ص 30.

[5]- إدوارد سعيد، الاستشراق – المعرفة السلطة الإنشاء-، تر: كمال أبو الديب، مؤسسة الأبحاث العربية، بيروت، ط7، 2005، ص 38.

فهو برأيه المجال المعرفي الذي يُتوصل من خلاله إلى الشرق بصورة منظمة كموضوع للتعلم والاكتشاف، ولكنه في موضع آخر أشار إلى موقفه منه حيث قال: «هو نوع من الإسقاط الغربي على الشرق وإرادة حكم الغرب للشرق»[1].

أما مالك بن نبي فيعرّف الاستشراق من خلال المستشرقين قائلا: «إننا نعني بالمستشرقين الكُتاب الغربيين الذين يكتبون عن الفكر الإسلامي وعن الحضارة الإسلامية ثم علينا أن نصنف أسماءهم في شبه ما يسمى طبقات على صنفين:

أ- من حيث الزمن: طبقة القدماء مثل جرير دورياك والقديس توماس الاكويني وطبقة المحدثين مثل كارادوفو وجولدسيهر.

ب-من حيث الاتجاه العام نحو الإسلام والمسلمين في كتاباتهم: فهنالك طبقة المادحين للحضارة الإسلامية وطبقة المنتقدين لها المشوهين لسمعتها.

وهكذا وعلى هذا الترتيب يجب أن تقوم كل دراسة شاملة لموضوع الاستشراق»[2].

ولعل التعريف الأكثر تطرفا والأكثر مغالاة ومعاداة للاستشراق هو ما قدمه أحمد عبد الحميد غراب: «إن الاستشراق هو دراسة أكاديمية يقوم بها غربيون كافرون - من أهل الكتاب بوجه خاص- للإسلام والمسلمين، من شتى الجوانب: عقيدة وشريعة وثقافة... بهدف تشويه الإسلام ومحاولة تشكيك المسلمين فيه... ومحاولة تبرير هذه التبعية بدراسات ونظريات تدعي العلمية والموضوعية»[3].

أما بالنسبة للباحثين الغربيين فإذا كان أول استحداث للفظ استشراق - كما ذكرنا سابقا- سنة 1779 فإن استعمال لفظ مستشرق كان قبل ذلك حيث أرجعه آربري Arberry إلى سنة 1630، حيث يقول: «وأول استعمال لكلمة (مستشرق) رأيناه في سنة 1630 حيث أطلق على أحد أعضاء الكنيسة الشرقية أو اليونانية، وفي سنة 1691 وجدنا أونتوني وود

[1]- إدوارد سعيد، الاستشراق - المعرفة السلطة الإنشاء-، المرجع السابق، ص 38.
[2]- مالك بن نبي، إنتاج المستشرقين وأثره على الفكر العربي الحديث، دار الإرشاد، بيروت،ط1، 1969، ص ص 5-6.
[3] - أحمد عبد الحميد غراب، رؤية إسلامية للاستشراق، بيرمنجهام: المنتدى الإسلامي، ط2، 1411هـ، ص 7.

يصف صامويل كلارك بأنه (استشراقي نابه) يعني بذلك أنه عرف بعض اللغات الشرقية. وبيرون في تعليقاته على Childe Harold's Pilgrimage يتحدث عن المستر ثورتون ومعارفه الكثيرة الدالة على استشراق عميق»[1].

وقد تنوعت تعريفات الاستشراق أيضا بالنسبة للمستشرقين الغربيين كلٌ حسب مجال اهتمامه فنجد على سبيل الذكر لا الحصر:

- يقول رودي بارت: «الاستشراق علم يختص بفقه اللغة خاصة، ... وإن كان المفروض أن يختص اسم استشراق بالبلدان الشرقية دون غيرها، ومهما يكن من أمر فان الاسم لا يبين بوضوح مستقيم المقصود منه بالضبط والمهم هم الموضوع ذاته»[2].
- ونجده في معجم أوكسفورد: أهم رقعة معرفية في الاستشراق هي تلك التي تقوم على "اللغة والفن" الشرقي ثم تليها سائر خصائص الأقطار الشرقية الأخرى[3].
- واعتمد لمستشرق الإنجليزي آربري تعريف قاموس أكسفورد الذي يعرف المستشرق بأنه «من تبحّر في لغات الشرق وآدابه»[4].
- مكسيم رودنسون الذي أشار إلى أن مصطلح الاستشراق إنما ظهر للحاجة إلى إيجاد فرع متخصص من فروع المعرفة لدراسة الشرق، ويضيف بأن الحاجة كانت ماسة لوجود متخصصين للقيام على إنشاء المجلات والجمعيات والأقسام العلمية[5].
- ولعلّ أكثر تعريف يرمز للإنسان الكوني والتقارب بين الشعوب هو ما صرح به جويدي في قوله: إن غرض هذا العلم الأساسي ليس مقصورا على دراسة اللهجات

---

[1]- أحمد سمايلوفيتش، فلسفة الاستشراق وأثرها في الأدب العربي المعاصر، دار الفكر العربي، القاهرة، د.ط، 1998، ص22.

[2]- رودي بارت، الدراسات العربية والإسلامية في الجامعات الألمانية - المستشرقون الألمان منذ تيودور نولدكه-، تر: مصطفى ماهر، دار الكتاب العربي، القاهرة، د.ط، ص 11.

[3]- محمد حسين زماني، الاستشراق تاريخه ومراحله، المرجع السابق، ص190.

[4] - ا. ج. آربري، المستشرقون البريطانيون، تعر: محمد الدسوقي النويهي، لندن: وليم كولينز، 1946، ص 8.

[5] - مكسيم رودنسون، "الصورة الغربية والدراسات الغربية الإسلامية" في **تراث الإسلام (القسم الأول)**، تصنيف: شاخت وبوزورث، ترجمة: محمد زهير السمهوري، (الكويت: سلسلة عالم المعرفة، شعبان/رمضان 1398هـ- أغسطس 1978م)، ص ص 27-101.

واللغات... بل من الممكن أيضا أن نقول بناء على الارتباط بين التمدن الغربي والتمدن الشرقي ليس إلا بابا من أبواب تاريخ الروح الإنساني[1].

ومنه فبعد عرض مفهوم الاستشراق لغة واصطلاحا يمكن القول بأن المستشرق هو كلّ من اهتم بتناول قضايا الإسلام والمسلمين في جميع مناحي المعرفة في العقيدة وفي الشريعة وفي الاجتماع والفكر والفن واللغة، ويضاف إليها كل ما تبثه وسائل الإعلام الغربية سواء بلغتهم الأصلية أو باللغة العربية في الإذاعة أو تلفاز أو أفلام سينمائية، أو ما تنشره صحفهم من مقالات وتحقيقات تتناول الشرق مهما كان محتواها ودون الدخول في دوافع هذا الاهتمام أو هذا الإنتاج.

ولا بد هنا من الإشارة إلى أن الدراسات الاستشراقية ليست فقط تلك الدراسات الغربية حول الحضارة العربية والإسلامية القديمة منها والحديثة والمعاصرة بل حتى الحضارات الشرقية القديمة منها هندية وصينية ويابانية وتراثها كالكونفوشيوسية والبوذية والهندوسية وحتى البوشيدو والزن.

ولكنها تحولت فيما بعد إلى دراسات إقليمية أصبحت تحظى بدراسات خاصة بها مثل الدراسات الصينية أو الدراسات الهندية أو الدراسات اليابانية... أما الأصل فكانت كلها تقع تحت لواء مصطلح واحد هو الاستشراق. وأصبح هذا المفهوم اليوم خاص بالدراسات حول التراث العربي الإسلامي.

وإذا كان بعض الباحثين ربطوا بين مفهوم الاستشراق والاستعراب فإننا نرى بأنه هنالك فرق بين المفهومين لأن المستعرب برأينا من اهتم باللغة العربية وآدابها وترجمة النصوص من العربية إلى اللغات الأخرى ويكون بذلك قدم خدمة للمستشرقين وسهل عملية بحثهم حيث أن اللغة هي أهم أداة للاطلاع من الأصل ومن المصادر الإسلامية عن قضايا التراث والأدب والفنون وكل ما يهم المستشرق في تاريخ الثقافة العربية الإسلامية وهذا ما أكده عبد الجبار ناجي في قوله: «المستعرب هو العالم الأجنبي (غير العربي) الذي له معرفة باللغة العربية حصرا، والمهتم بدراسة العرب وآدابهم وحضاراتهم ومجتمعهم»[2].

[1]- أحمد سمايلوفيتش، فلسفة الاستشراق وأثرها في الأدب العربي المعاصر، ص 24.

[2] - عبد الجبار ناجي، الاستشراق في التأريخ، المركز الأكاديمي للأبحاث، بيروت، ط1 ،2013، ص 63.

المبحث الثاني: حركة الاستشراق.

إذا انطلقنا من التعريف اللغوي لكلمة استشراق الدالة على الاتجاه نحو مطلع الشمس، حق لنا أن نتساءل لماذا الشرق؟ نعتقد بأن ربط الاستشراق بالموقع الجغرافي لم يكن اعتباطيا بل له دلالة إبستيمولوجية تاريخية حيث نجد بأن الكثير من المنشغلين بهذا الحقل المعرفي يؤكدون بأن سبب اهتمام الغربيين بهذه المنطقة كونها مصدر العلم والمعرفة الإنسانية، حيث بزغ فجر الحضارة الإنسانية من الشرق الأدنى منذ أربعة آلاف وخمسمائة سنة قبل الميلاد، واستقر ضحاها فيه ثلاثة ألاف سنة[1]. ولو قمنا بلمحة أركيولوجية كرونولوجية نجد بأن للشرق فضل كبير في إثراء المعرفة الإنسانية.

1- الإستشراق بالمفهوم الجغرافي:

اجتهد العديد من الباحثين الشرقيين أو المستشرقين البحث حول دوافع الاستشراق فتوصلوا إلى إلى أربعة دوافع أساسية هي : الدافع الديني و الدافع الاستعماري والدافع الاقتصادي و الدافع العلمي و نحن هنا سنركز على الدافع العلمي .

فقد بزغت شمس المعرفة الإنسانية من الشرق، بل إن علوم الشرق ومعارفها هي مرحلة تأسيسية للمعرفة الإنسانية عامة ، هذه الحقيقة لا يمكن نكرانها إلا من جاحد، ولو استقرأنا تاريخ العلم نجد بأن الحضارات الشرقية كانت لها قواعد ومبادئ علمية في شتى التخصصات أهمها على سبيل الذكر لا الحصر:

- **السومريين:** الذين وضعوا أسس النظم التجارية والمصرفية والموازين والمكاييل القانونية واعتمدوا العقود المكتوبة والأختام الشخصية في المعاملة. وكانوا أول من عرف المركبات ذات العجلات، وقوّموا السنة باثنتي عشر شهرا، وجمعوا المعارف في مكتبات ضمت إحداها مجموعة من ثلاثين ألف لوح.
- **البابليين:** كان لهم بالغ الأثر في تقدم الطب والرياضة والجغرافيا وعلم الفلك، وتدوينهم أقدم القوانين وهي مجموعة حامورابي.

[1]- نجيب العقيقي، المستشرقون، الجزء الأول، دار المعارف بمصر، القاهرة، ط3، 1994، ص 11.

- **الأشوريين:** جمع آشور بانيبال مكتبة من 22 ألف آجرة في الدين والأدب والسياسة والعلم فكانت أول مكتبة.
- **أما مصر** سبقت سائر الأمم إلى التوحيد وتبني فكرة الثواب والعقاب بعد الموت، فكانت تعاليم تباح حوتب في الحكمة 2800 ق.م أي قبل كونفوشيوس وبوذا بآلاف السنين فكان الشرق المنطقة الخصبة التي استسقى منها كبار الفلاسفة اليونانيون مشاربهم المعرفية الأولى - كون اليونان هي مصدر الفكر الأوروبي- على غرار فيثاغورس مبدعا نظرته الشهيرة في الهندسة وأسس أفلاطون أكاديميته المشهورة بعد عودته منها التي كتب على بابها لا يدخلها من لا يعرف الهندسة[1]. بل حتى أن نظرية المعرفة لأفلاطون وتقسيمه للعالم إلى عالمين: عالم المثل وعالم الحس يرجعها البعض إلى تأثره بقصة سيدنا آدم عليه السلام الذي خالقه الله عزّ وجلّ في الجنة وحينما أخطأ عوقب بإنزاله إلى الأرض وهي مستقاة من الديانة اليهودية التي كانت ديانة أهل الشام آنذاك[2]. إضافة إلى الطبيب الشهير في العصر القديم "ابقيراط"، وطاليس الذي أرسى أسس العلوم الرياضية والفلكية[3].

كما بنى زينون مذهبه الرواقي على كثير من العناصر الآسيوية ولا سيما السامية كالتجريد ووحدة الوجود والجبرية[4].

لما فتح الإسكندر الشرق الأدنى أرسل ألواحا من بابل إلى بلاد اليونان فترجمها وتضلعت من علمي الفلك وتقويم البلدان... وتحوّل اليونان من عبادة آلهتهم الإغريقية البسيطة إلى عبادات شرقية زاخرة بالعواطف مثل كبيلي (الأم العظمى) في آسيا الصغرى ومثير الفارسي وإيزيس المصرية[5].

[1]- السيد محمد الشاهد، ، الاستشراق ومنهجية النقد عند المسلمين المعاصرين ، ص 198.

[2]- https://versesmind.wordpress.com/2009/10/20

[3]- نجيب العقيقي، المستشرقون ،ص 14.

[4]- نجيب العقيقي، المرجع نفسه، ص 26.

[5]- نفسه، ص 11.

أما بعد الميلاد فإن انبعاث المذهب الأفلاطوني في صورته المحدثة أي فيما يسمى بالأفلاطونية المحدثة كان قد بدأ على يد (قيلون) الفيلسوف الشرقي اليهودي (50 ق.م – 25م) ثم أخذ الإطار الفلسفي على يد الفيلسوف المصري "أفلوطين" (من أبناء صعيد مصر - أسيوط- توفي سنة 270م)[1]، كما أنه لم يشهد تاريخ النصرانية الأولى مثل القديس أوغسطين ولد يوم: 13-11-354م في طاغاست (سوق أهراس حاليا) هو واضع أسس علم اللاهوت في الغرب وتأثرت به الصوفية العالمية لنحو ألف عام توفي في 26-08- 430م[2].

إضافة إلى أن هذه المنطقة خصها الله بظهور الديانات التوحيدية السماوية اليهودية والمسيحية والإسلام فنالت نصيبها من البحث والتقصي والاهتمام[3].

وإذا أضفنا إليها شرق آسيا ووسطها فكانت هذه المنطقة مهدا لظهور الكثير من الديانات الوضعية على غرار الكونفوشيوسية والبوذية والهندوسية والزرداشتية وغيرها من الديانات الأقل شهرة[4].

لهذه الأسباب برأينا كان اهتمام الباحثين الغربيين بهذه المنطقة في البداية حيث كانت مصدر العلم و كانت منارة للبحث عن المعرفة، لنتوصل من خلال هذا الاستقراء المختصر إلى أن الفلسفة اليونانية التي سمَّاها العقل الغربي معجزة يونانية لما لها من قيمة معرفية وعلمية واعتبرها مصدرا ومرجعية لكل معرفة إنسانية، كانت قد نهلت علومها من الشرق وبالأخص من العراق ومصر بل أن بعض الباحثين الغربيين تفطنوا إلى هذا الأمر على غرار جورج جي– أم جيمس الذين توصلوا بأن الفلسفة اليونانية هي فلسفة مصرية مسروقة[5] مسروقة[5] وكان هذا عنوان كتابهم. ولكننا نرى حتى في موقفهم هذا بعض المبالغة والمغالاة

[1]- السيد محمد الشاهد، الاستشراق ومنهجية النقد عند المسلمين المعاصرين ، ص 198.

[2]- https://ar.wikipedia.org/wiki

[3]- السيد محمد الشاهد، المرجع السابق، ص 198.

[4]- السيد محمد الشاهد، المرجع نفسه، ص 199.

[5]- جورج جي وأم جيمس، التراث المسروق: الفلسفة اليونانية فلسفة مصرية، تر: شوقي جلال، المجلس الأعلى للثقافة، د.ط، دس، ص 124.

في طرحهم لأنهم عمَّموا مقاربتهم على كل إبداعات الفلسفة اليونانية، فنحن لنا يقين بأن الحضارة الإنسانية هي بناء وإبداع وتكامل ما دام الإنسان كائن فضولي عاقل.

2- الاستشراق بمفهوم البحث في التراث الإسلامي:

اختلف الباحثون في تحديد بداية الاستشراق بدقة فهنالك من أرجعها إلى ظهور الإسلام وما تبعه من جدال بين المسلمين وأهل الكتاب، ومحاولات النصارى واليهود التشكيك في عقيدة المسلمين وفي معجزات الرسول (ص)[1]. ومن باب الأمانة العلمية لم يكن الصراع حضاريا بين الإسلام واليهودية ما عدا ما شهدته المدينة ولكن سرعان ما حل النزاع عسكريا وتعايش اليهود مع المسلمين تحت راية الدولة الإسلامية بل وساهموا في تطوير بعض علومها. حتى ظهرت دولة الكيان الصهيوني سنة 1948 على أرض فلسطين وما أعقبه من صراع عقائدي وثقافي واستيطاني ما زلنا نعيش آثاره إلى اليوم[2].

على عكس الديانة المسيحية فكان الصراع كبيرا، لذا نعتبر أن انطلاقة الحركة الاستشراقية كانت ذات صبغة دينية لأنه لا يختلف اثنان على أنه ولد في أحضان الكنيسة ورهبانها، كون الديانة المسيحية كانت منتشرة في الغرب والشرق وبالأخص في الجزيرة العربية قبل الإسلام وبعد ظهوره انتشر الدين الجديد على أنقاض الإمبراطوريات السابقة وتحول الكثير من أتباع الدين المسيحي إلى الإيمان بالإسلام ورسالته وامتدت أطراف دولته من أسوار الصين شرقا إلى المحيط الأطلسي غربا ومن جبال أورال شمالا إلى تخوم السودان جنوبا[3]. وبما أن الإسلام انتشر في هذه البقاع التي كان لها إرث ثقافي وآداب وفنون وعلوم فإنها صبت فيه وامتزجت به واتخذوا اللغة العربية لغة الكتاب لأداءها فحلت محل الفارسية والسريانية والقبطية واليونانية واللاتينية[4].

[1]- محمد بن سعيد السرحاني، الاتجاهات الحديثة للمستشرقين ومن تابعهم في تفسير القرآن الكريم، مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية، العدد سبعون، سبتمبر 2007، ص 120.

[2]- ساسي سالم الحاج، نقد الخطاب الاستشراقي، الجزء الأول، دار المدار الإسلامي، بيروت، ط1، 2002، ص 39.

[3]- أحمد سمايلوفيتش، فلسفة الاستشراق وأثرها في الأدب العربي المعاصر، دار الفكر العربي، القاهرة، ص 17.

[4]- نجيب العقيقي، المستشرقون، ص 7.

فكان لهذا التوسع والانتشار أثر على رجال الدين المسحيين بالدرجة الأولى فأرادوا الحد منه ومقاومته من الداخل، ولعل من أوائل هؤلاء نجد ما كتبه يوحنا الدمشقي في بداية القرن الثاني هجري من رسائل لمحاورة المسلمين ونصرة إخوانه من النصارى في تلك الفترة[1]. فمن بين مصنفاته (محاورة مع مسلم) وكتاب (إرشادات للنصارى في محاورة المسلمين)، فالمسيحيون الكاثوليك قد أولوا عناية خاصة بالتبشير بالمسيحية في الوسط العربي والمسلم، وهو أمر يرجع إلى حيثيات وأسس تاريخية ترتبط بانتصار الإسلام على المسيحية[2].

ومنهم من يحددها بفتح المسلمين للأندلس في بداية القرن الثامن ميلادي، إذ شهدت جامعات إشبيلية وغرناطة وقرطبة إقبالا كبيرا من الأوربيين لدراسة الحضارة الإسلامية وخاصة بعد ازدهار حركة ترجمة الكتب العربية إلى اللغات الأوربية في تلك الفترة[3]. لأن اللغة العربية كانت لغة العلم كون التراث اليوناني كان محفوظا بالعربية لأسباب تاريخية وحضارية.

أما من حدد القرن العاشر ميلادي بداية للاستشراق على غرار نجيب العقيقي فيعتبر جربردي أورالياك من طلائع المستشرقين (938م -1003م) الذي قصد الأندلس وأخذ على مدرسيها في ريبول وإشبيلية وقرطبة العربية والرياضيات والفلك حتى أصبح نابغا فيها وحينما ارتحل إلى روما سما على أقرانه وانتخب حبرا أعظم باسم سيلفستر الثاني سنة 999م، فكان أول بابا فرنسي، وأوصى بفتح المدارس وبترجمة التراث الإسلامي إلى اللغات الأوربية.[4]

[1]- محمد بن سعيد السرحاني، الاتجاهات الحديثة للمستشرقين ومن تابعهم في تفسير القرآن الكريم، المرجع السابق، ص120.

[2]- عبد الجبار ناجي، الاستشراق في التأريخ، المركز الأكاديمي للأبحاث، بيروت، ط1، 2013، ص 79.

[3]- محمد بن سعيد السرحاني، الاتجاهات الحديثة للمستشرقين ومن تابعهم في تفسير القرآن الكريم، المرجع السابق، ص 120.

[4]- نجيب العقيقي، المستشرقون، المرجع السابق، ص 120.

بينما المستشرق الألماني رودي بارث ردّ البداية الفعلية للاستشراق إلى القرن الثاني عشر ميلادي سنة 1143م حيث تمت أول ترجمة لاتينية للقرآن الكريم بتوجيه من الأب (بيتروس فينيرا بيليس) رئيس دير كلوني، ويرى بارت أن الهدف من هذا النوع من الاستشراق هو (التبشير) وإقناع المسلمين ببطلان إسلامهم واجتذابهم للدين المسيحي[1].

كما أنه لا يمكن أن نهمل مرحلة المواجهة العسكرية التي كانت مظهرا من مظاهر الاستشراق التي عرفت بالحروب الصليبية دامت قرابة قرنين حينما رأت الكنيسة أن كيان الدين المسيحي معرّض لخطر الزوال فكان هدفها صد زحف الثقافة الإسلامية إلى عمق الغرب من خلال إسقاط قلاع الحضارة الإسلامية في الأندلس بل ومحاولة استرجاع نفوذها في المشرق[2]. وقد وصفه جاردنر Gardner دوافع هذه الحروب الصليبية (التي تمخضت عنها الحركة الاستشراقية) بأنها ذات صبغة سياسية توسعية فاشلة وإن تسربلت بالمسوح الدينية فيقول: «لقد خاب الصليبيون في انتزاع القدس بالسيف من أيدي المسلمين ليقيموا دولة مسيحية في قلب العالم الإسلامي والحروب لم تكن لإنقاذ هذه المدينة بقدر ما كانت لتدمير الإسلام»[3].

ويحدد عدد من الباحثين البداية الرسمية لحركة الاستشراق بصدور قرار مجمع فيينا الكنسي عام 1312م بإنشاء كراسي اللغة العربية في الأوكسفورد وكامبريدج وبولونيا وروما والسربون[4].

ويعدّ القرنان التاسع عشر والعشرين عصري الازدهار الحقيقي لحركة الاستشراقية إذ ظهرت الجمعيات الاستشراقية التي نشطت في إصدار المجلات والمطبوعات

[1]- علي حسن الخربوطلي، الاستشراق والتاريخ الإسلامي، الهيئة العامة المصرية للكتاب، د ط، 1988، ص 31.
[2]- محمد بن سعيد السرحاني، الاتجاهات الحديثة للمستشرقين ومن تابعهم في تفسير القرآن الكريم، المرجع السابق، ص120.
[3]- محمد عبد الله الشرقاوي، الاستشراق في الفكر الإسلامي المعاصر، كلية دار العلوم (جامعة القاهرة)، د س، د ط، ص 27.
[4]- أحمد عبد الرحيم السايح، الاستشراق في ميزان نقد الفكر الإسلامي، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ط1، 1996، ص17.

الاستشراقية. وقد شهد القرن التاسع عشر بداية المؤتمرات الدولية للمستشرقين إذ عقد أول مؤتمر دولي للمستشرقين سنة 1873م في باريس[1].

بعد عرض مختلف الآراء لبداية الحركة الاستشراقية يمكن القول أن الحركة بدأت مباشرة بظهور الإسلام بدوافع دينية محضة ولكنها تجردت من هذه الصفة فيما بعد لتحاول تحري الموضوعية العلمية والتنقيب في التراث العربي الإسلامي في جميع فروعه المعرفية من عقيدة وتاريخ ولغة وفن ... تحقيقا و تدقيقا و اكتشافا.

[1]- محمد بن سعيد السرحاني، الاتجاهات الحديثة للمستشرقين ومن تابعهم في تفسير القرآن الكريم، المرجع السابق، ص121.

المبحث الثالث: البيئة السوسيولوجية والثقافية التي ظهر فيها النبي محمد.

سنحاول في هذا المبحث تسليط الضوء على البيئة التي نشأ فيها النبيّ محمد قبل وأثناء البعثة، ونحاول معرفة الظروف التي ساهمت في إنجاح الدعوة المحمدية بإتباع نفس المنهج التاريخي الذي اعتمده المستشرقون لنتفحص ونتمحص بموضوعية السيرة النبوية والسبب الذي دفع بالمستشرقين إلى التشكيك في الرسالة المحمّديّة، فهم يعتقدون بأنّ اللاعقلانية والعاطفة هي التي توجّه وتغلب في تأريخ تراثنا. يقول المستشرق البريطاني المعاصر مونتغمري وات الذي يعدّ من أبرز المستشرقين الدارسين لسيرة النبي: «مازال الأمر مفتوحا أو مباحا أمام المسلمين اليوم - على أية حال- في أن يقدموا إلى بقية العالم عرضا أكمل وأفضل لقضيتهم، فهل بإمكانهم غربلة الخاص من العام في حياة محمد... هل بمقدورهم - على الأقل- البرهنة بأنّ حياة محمد هي المثل الأنموذج لكل البشرية؟ فإذا ما أعدوا برهانا جيدا فإن بعض المسيحيين سيكونون مهيّئين للإصغاء إليهم وأن يتعلّموا ما يمكن تعلمه منهم»[1]. ثم بعد ذلك يصرّح بأنّ المسلمين لم يوفّقوا في هذا المبتغي نظرا لوجود عقبات ضخمة يمكن تجاوزها بأدوات البحث العلمي الجديدة وبنظرة متجددة تميز الصحيح من الخطأ، يقول: «إن العقبات أو الصعوبات التي تواجه المسلمين في هذا المشروع الصعب ضخمة جدا، إنّ ما نحتاج إليه توليفة أو مزيج من البحث العلمي القويم ومن البصيرة الحصيفة النافذة، ومثل هذه التوليفة نادرة عند المسلمين»[2]. انطلاقا مما ذكره هذا المستشرق البريطاني الذي يوصف في الأوساط العلمية الإسلامية بأنّه مستشرق محايد، فإنّ دعوته للباحثين المسلمين قد لاقت تجاوبا من بعض الباحثين العرب والمسلمين على غرار الجابري وأركون وإدوارد سعيد وغيرهم الذين كتبوا بلغات الغرب حتى تكون مسموعة وقابلة للمناقشة العلمية بعيدا عن الاتهام والنظرة الدوغمائية الضيقة. وخير دليل هو الضجّة والتفاعل الذي لقيته كتب ومحاضرات إدوارد سعيد حول الاستشراق والغاية منه، لأنها كتبت بالانجليزية، وحتى مالك بن نبي وأنور عبد الملك وغيرهم الذين كتبوا باللغة الفرنسية. ولكن في نفس السياق ما يعاب على بعض المستشرقين أنفسهم أيضا هو جهل أغلبهم باللغة

[1]- عبد الجبار ناجي، الاستشراق في التاريخ، المرجع السابق، ص 508

[2]- عبد الجبار ناجي، المرجع نفسه، ص 509

العربية التي تعدّ الأداة الأساسية الموثقة للتراث والثقافة العربية الإسلامية، ما دفع بأغلبهم إلى الاعتماد على مراجعهم التي كتبت بلغاتهم الأصليّة وهو ما ينقص من قيمة بحوثهم وموضوعيتها. وفي هذا الصدد يرى عبد الجبار ناجي أن معظم هؤلاء المفكرين الغربيين يتوجهون إلى قراءة ما يكتب عن الرسول في لغاتهم لذلك تبقى الأفكار والتفسيرات الخاطئة عن تاريخنا وسيرة نبيّنا سائدة بينهم، وتتواتر هذه المعلومات فيما بعد فتصبح مرجعا لهم.

فارتأينا أن نتفحص تاريخ الدّعوة المحمديّة وتقفي أثر تاريخ السيرة النبويّة في موضوع القرآن بكل موضوعيّة بعيدا عن الذاتية وعن الأحكام المسبقة بدءا من الظروف التي سبقت نبوّة الرسول إلى مصادر تكوينه المعرفي حسب المستشرقين وبالأخص نولدكه الذي كما ذكرنا هو الرّائد في هذا المجال مسلحين بالنقد البناء لبلوغ الحقيقة التي هي مقصد كل باحث وكل فيلسوف وكل إنسان.

فقد تناول نولدكه موضوعا في غاية الأهمية بالنسبة للتاريخ الإسلامي وهو تاريخ القرآن من الوحي إلى المصحف، لذا اخترناه ليكون أنموذجا في رسالتنا حيث أثار الكثير من علامات الاستفهام حول مسائل تاريخية ودينية ظلّ المفكّرون الشرقيّون يصنفونها في خانة المقدس اللامفكر فيه، وشكّلت فيما بعد ما يعرف بالسياج الدوغمائي بل في بعض الأحيان جهل مقدس.

1- الفضاء السوسيولوجي والفكري في مكة قبل البعثة.

لا يختلف اثنان على أنّ مكة كانت قبل ظهور الإسلام قطبا تجاريا تأتيها القوافل التجاريّة من كلّ الاتجاهات نتيجة موقعها الجغرافي الذي يتوسط الشام واليمن والحبشة وبلاد فارس، فكانت منطقة عبور أساسية هذا من جهة، ومن جهة أخرى نظرا لوجود الحرم أو البيت الحرام فكانت تعرف بالأمن والأمان فكانت بالنسبة لأغلبهم وجهة اقتصادية هذا ما جعل أهل مكة بارعين في التجارة والمعاملات المالية[1].

[1]- مونتغمري ووت، محمد في مكة، تر: عبد الرحمان عبد الله الشيخ ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ،القاهرة، 1994،ص ص 51-52.

كما أنّ شبه الجزيرة كانت تتألف من قبائل عربية وكانت بينها تحالفات داخل قريش تخدم الصالح العام وتؤمّن القوافل والتجارة المزدهرة، ولعلّ بنو هاشم وخزاعة وبنو أمية أشهرها وهم من بطون قريش.

أما الجانب العقائدي للعرب قبل الإسلام، فقد أدى تطوّر القوى المنتجة وقيام صلات حضارية بين العرب والعالم الخارجي إلى تطور مستوى الوعي الديني عند هؤلاء تمثل في تراجع الظواهر الدينية البدائية من دون زوالها نهائيا وظهور الوثنية التي غدت أكثر الأشكال الدينية انتشارا وأقواها جذورا في المجتمع العربي الجاهلي قبل الإسلام[1]. فكان أشهرها هُبل واللات والعزى وود ويعوق ونسرى ويغوث ومناة... وغيرهم. ويذكر النص القرآني بعضها في سورة نوح: **(وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آَلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا)**[2] وكان أغلبهم بجوار الكعبة، كما أنّ بعض العرب كان يدين المجوسية، رغم هذا فإن بعض المراجع تذكر بأن العرب قبل البعثة كانوا يعرفون الله الرحمان وهذا ما ذكره جواد علي حيث يرى بأنه قبل أن تصبح عبادة الرحمان عند العرب عبادة توحيد، كان هذا الاسم متداولا فهو إله عربي كنعاني ورد اسمه في المخطوطات التدمرية منذ القرن الرابع قبل الميلاد[3]. كما يذكر جلال الربعي في كتابه "من القرآن إلى المصحف" بأن معابد العرب قبل الإسلام كانت على شكل مربع مثل الكعبة وكانوا يعظمونها ويقدمون لها القرابين ويطوفون بها مثل "رئام" وهو بيت لحمير و"رُضاء" وهو بيت لبني ربيعة هُدم في الإسلام، و"ذو الكعبات" وهو بيت لبكر وتغلب ولثقيف بيت بالطائف يضاهون به الكعبة بمكة[4]. ويرى بأن العرب القدامى لم يكونوا من عبدة الحجر والأوثان، بل كانوا يعبدون الله الرحمان ويتقربون له زلفى بتلك الأنصاب (الحجر) واستشهد على هذا البعد التوحيدي عند العرب القدامى بما ذكره الكلبي في كتابه الأصنام، حيث كانوا ينشدونه في حجهم وتلبيتهم رغم كثرة الأصنام عندهم لكثرة قبائلهم: «لبيك اللهم لبيك. لبيك لا شريك لك تملكه وما ملك»[5]. وهو نفس ما

[1]- محمد سهيل طقوش، تاريخ العرب قبل الإسلام، دار النفائس، بيروت، ط1، ص 219.
[2] - سورة نوح، الآية 23.
[3]- جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، نشر جامعة بغداد، ج6، ط2، 1993، ص 37.
[4]- جلال الربعي، من المصحف إلى القرآن، مكتبة علاء الدين، صفاقس، ط1، 2006، ص 47.
[5]- جلال الربعي ،المرجع نفسه ، ص 48.

ذكره المفكر هشام جعيط حيث يرى بأن الله عند العرب قبل الإسلام هو نفسه "آل" أو "إيل" أو "إيلوهيم" (ELOHIM) "اللهم" في التراث السامي قبل موسى، وهو نفسه أيضا "ألاهَ أو بتر" عند الثموديين في القرن الثالث قبل الميلاد، أو إلاهَ "أَلَاهَ" عند المسيحيين في سوريا (السريان)[1].

أما الديانات السماوية فكان انتشار الديانة اليهودية محدودا وذلك راجع لطبيعة الديانة نفسها المنطوية على ذاتها والتي تفتقد طابع التبشير على عكس الديانة النصرانية التي انتشرت في ربوع الجزيرة العربية ولكن حتى منتسبيها ولم يلتزموا بتعاليمها وبالإنجيل وذلك راجع حسب محمد سهيل فطوش إلى مجموعة عوامل لخصها في:

1. النصرانية بما أثارته من قضايا لاهوتية لم تصل إلى أعماق الحياة العربية.
2. كانت الحياة العربية تتمتع بقوة خارقة لمقاومة التبدل والتغير... فالآراء الدينية التي حملتها النصرانية إلى العرب كانت بعيدة عن تصوراتهم الدينية.
3. العرب ربطوا بين النصرانية والدّولة البيزنطية وعدّوا من ثم أن قبول النصرانية معناه الولاء للدولة البيزنطية وهو أمر مرفوض.
4. اختلفت مبادئ الديانة النصرانية عما ألفه العرب الوثنيون[2].

كما ظهر الحنفيون وأشهرهم ورقة بن نوفل وعثمان بن الحويرث وعبد الله بن جحش وزيد بن عمرو بن نفيل. فكانوا يحثون الناس عن الابتعاد عن عبادة الأوثان وإتباع دين إبراهيم الحنيف[3].

وكان المؤمنون بالكتاب المقدس ينتظرون المخلّص النبي كما أوردته النصوص المقدسة، حيث تطلق الأسفار المقدسة على النبيّ القادم أسماء شتّى فتسميه تارة الملك وأخرى النبيّ وتارة تلقبه بالمسيا وأخرى بالمسيح بمعنى المخلص، فكلّ هذه الأسماء مترادفات تدل

[1]- جلال الربعي، المرجع السابق، ص 49.
[2]- محمد سهيل طقوش، تاريخ العرب قبل الإسلام، دار النفائس، بيروت، ط1، ص ص 272-273.
[3]- خليل عبد الكريم، فترة التكوين في حياة الصادق الأمين، دار مصر المحروسة، ط2، 2004، ص.

على النبيّ القادم وهي في نفس الوقت أوصاف للنبيّ العظيم ونحو ما جاء في المزامير اسم مدينة المسيح القادم أسمتها وادي بكة[1].

2- مولد النبي محمد:

تذكر كتب التاريخ أن أهل الكتاب في القرن السادس ميلادي كانوا يستعجلون ظهور النبي المخلص، ولد النبيّ محمد كما هو معلوم في أغلب الكتب التاريخية الإسلامية في اثني عشر ربيع الأول عام الفيل ، ولكن المفكر التونسي جلال الربعي شكّك في هذا التاريخ من مولده لأن غزوة أبرهة حسب الشواهد التاريخية كانت سنة 547م وبما أن النبي عاش 63 سنة فيعتقد أنه توفي سنة 610م وهي السنة التي قيل أنه بعث فيها، ولكننا نرى بأنه تناسى بأن النبي عاش 63 سنة هجرية وليس ميلادية أي حوالي 61 سنة ميلادية ولم يذكر لنا الشواهد التاريخية التي تثبت بأن غزوة أبرهة كانت سنة 547 بل قال أنها نقوش لم يحدد مكانها للتأكد من مصدره، كما استدل بفرضية هشام جعيط الذي يرى بأن النبي بعث في الثلاثين أو قبل ذلك ولم يولد إلاّ حوالي 580م، وليؤكد الربعي فرضية جعيط يرى بأنه تزوج خديجة بنت خويلد في سن 25 وبقيت معه 14 سنة، وماتت قبل الهجرة بـ3 سنوات نضيف إليها 10 أعوام عاشها الرسول في المدينة يصبح عمر الرسول 52 سنة، أما بعثته فحسب الربعي تكون في الثلاثين[2]. يبقى هذا اجتهادا من مفكرين عربيين آثرنا ذكرهم للتأكيد بأن تاريخ مولد النبي مازال إلى اليوم موضع اختلاف .

فولد النبي محمد في القرن السادس ميلادي ونحن لا نريد التطرّق إلى بركات مولده وما حدث لوالديه وجدّه ومرضعته حسب المراجع التاريخية الإسلامية، بل ما يهمنا هنا هو **أولى البشارات** على أنه النبيّ المنتظر حسب كتب التاريخ والسيرة فيذكر في هذا الصدد ابن إسحاق قائلا: «إن أبا طالب خرج في ركب تاجرا إلى الشام. فلما تهيأ للرحيل وأجمع المسير صب به رسول الله... فرقّ له أبو طالب، وقال والله لأخرجن به معي ولا أفارقه ولا يفارقني أبدا أو كما قال، فخرج به معه فلما نزل الركب بصرى من أرض الشام وبها راهب يقال له

[1]- منقذ بن محمود السقار، هل بشر الكتاب المقدس بمحمد، دار الإسلام للنشر والتوزيع، مكة المكرمة، ط1،2007، ص 9.
[2]- جلال الربعي، من المصحف إلى القرآن ، ص 41.

بحيرى في صومعة له، وكان إليه علم أهل النصرانية... فلما نزلوا ذلك العام ببحيرى وكانوا كثيرا ما يمرون به فلا يكلمهم ولا يعرض لهم حتى كان ذلك العام فلما نزلوا قريبا من صومعته، صنع لهم طعاما كثيرا وذلك في ما يزعمون عن شيء رآه وهو في صومعته، يزعمون أنه رأى رسول الله في الركب حين أقبل وغمامة تظلله من بين القوم ثم أقبلوا فنزلوا في ظل شجرة قريبا منه، فنظر إلى الغمامة حين أظلت الشجرة وانصهرت أغصان الشجرة على رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى استظل تحتها، فلما رأى ذلك بحيرى نزل من صومعته وقد أمر بطعام فصنع ثم أرسل إليهم فقال إني صنعت لكم طعاما يا معشر قريش فأنا أحب أن تحضروا كلكم كبيركم وصغيركم حرّكم وعبدكم، فقال له رجل منهم والله إن لك شأنا اليوم ما كنت تصنع هذا بنا وقد كنّا نمر بك كثيرا فما شأنك اليوم؟ قال له بحيرى: صدقت قد كان ما تقول ولكنكم ضيف وقد أحببت أن أكرمكم وأصنع لكم طعاما فتأكلون كلكم... لا يتخلفنّ منكم أحد قالوا يا بحيرى ما تخلّف منّا أحد ينبغي أن يأتيك إلا غلام... ثم قام إليه فاحتضنه وأجلسه مع القوم. فلما رآه بحيرى جعل يلحظه لحظا شديدا وينظر إلى أشياء في جسده قد كان يجدها عنده من صفته... وقال له يا غلام أسألك باللات والعزى إلا أخبرتني عما أسألك عنه وإنما قال له بحيرى ذلك لأنه سمع قومه يحلفون بها فزعموا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له: لا تسألني باللات والعزى فوالله ما بغضت في حياتي قط بغضهما... فجعل يسأله بحيرى عن حال نومه وهيئته وأموره فجعل رسول الله يخبره فوافق ذلك ما عند بحيرى من صفته في كتابه ثم نظر إلى ظهره فرأى خاتم النبوة بين كتفيه على موضعه من صفته التي عنده في كتابه... فلما فرغ أقبل على عمّه أبي طالب فقال له: ما هذا الغلام منك قال ابني قال ما ينبغي أن يكون أبوه حيّاً قال إنه ابن أخي قال فما فعل أبوه؟ قال مات وأمه حبلى به قال صدقت ارجع بابن أخيك واحذر عليه اليهود فوالله لئن رأوه وعرفوا منه ما عرفت ليمسنّه منهم شر فإنه كائن لابن أخيك هذا شأن عظيم»[1].

ومن هذه الواقعة يتبين لنا أن صفات النبي القادم كان على علم بها أهل الكتاب ، وفي نفس السياق قال ابن إسحاق: «وكانت الأحبار من اليهود والرهبان من النصارى والكهان من

[1]- عبد الملك بن هشام، السيرة النبوية، ج1، دار الصحابة للتراث بطنطا للنشر والتحقيق والتوزيع، ط1، 1995، ص 235.

العرب قد تحدثوا بأمر رسول الله قبل مبعثه لما تقارب زمانه أما الأحبار من اليهود والرهبان من النصارى فما وجدوا في كتبهم من صفة زمانه وما كان من عهد أنبياءهم فيه»[1]. فرغم طول النص إلا أنّنا فضلنا نشره كما هو لسببين الأول هو توضيح بأن أهل الكتاب كانوا على علم وفي انتظار النبيّ ومن جهة أخرى أن النبي لم يكن منطويا وماكثا بمكّة بل كان يسافر في التجارة ويتعرف على ثقافات مغايرة لما هو سائد في مجتمعه، أي كانت هناك فئة من أهل الكتب السابقة حسب نص ابن إسحاق تدرك اقتراب ظهوره وكانت تستعد لاحتوائه والتقرب منه شبيهة بالأنتليجانسيا من بينها السيدة خديجة بنت خويلد التي كان لقبها قبل الإسلام الطّاهرة وابن عمها ورقة بن نوفل وعثمان بن الحويرث... الخ. يقول خليل عبد الكريم: «إذن فاز بنو أسد بسهم وفير من بين فروع قريش بصفة الأنتيلجنسيا فكانت من بينهم القس ورقة بن نوفل والبطرك عثمان بن الحويرث والكاهنة قتيلة أو أم قتال بن نوفل والطاهرة سيدة نساء قريش خديجة بنت خويلد»[2].

هذه الأخيرة لم تنتظر النبيّ الجديد مكتوفة الأيدي جالسة في منزلها بل راحت تتأمّل وتبحث فيمن يتوفر على المزايا المحددة في الكتاب المقدس من شباب مكة، فكان لها ما أرادت حينما وجدت شابا تكبره بخمسة وعشرين سنة فقيراً يتيماً واستشرفت بأنه النبيّ والمخلّص القادم يقول ووت: «في الوقت الذي لا نستطيع أن نتوقع بأن تكون امرأة تاجرة من أهل مكة في القرن السادس غافلة عن العوامل المادية فإنه لديها الكثير من الأسباب التي تجعلنا نعتقد أن خديجة قد أدركت بعضا من قدرات محمد الروحية وأنها انجذبت إليها»[3]. وهو نفس ما ذكره ابن إسحاق: «وكانت خديجة بنت خويلد امرأة تاجرة ذات شرف ومال تستأجر الرجال في مالها وتضاربهم إياه... فلما بلغها عن رسول الله ما بلغها من صدق حديثه وعظيم أمانته وكرم أخلاقه بعثت إليه وعرضت عليه أن يخرج في مال لها إلى الشام تاجرا وتعطيه أفضل مما كانت تعطي غيره من التجار مع غلام لها اسمه ميسرة، فقبله رسول الله منها وخرج في مالها وخرج معه غلامها ميسرة حتى قدم الشام. فنزل رسول الله

[1]- خليل عبد الكريم، فترة التكوين في حياة الصادق الأمين ، ص 10.
[2]- خليل عبد الكريم ، المرجع نفسه، ص 11.
[3]- مونتغمري ووت، محمد في مكة ، ص 100.

في ظل شجرة قريبا من صومعة راهب فاطلع الراهب على ميسرة وقال له من هذا الرجل الذي نزل تحت هذه الشجرة؟ قال له ميسرة هذا رجل من قريش وهو من أهل الحرم فقال له الراهب: ما نزل تحت هذه الشجرة قَطُّ إلا نبيّ. ثم باع الرسول سلعته التي جاء بها... فلما قدم مكة... حدث ميسرة خديجة عن قول الراهب... بعثت إلى رسول الله... ثم عرضت عليه نفسها»[1].

وفي نفس السياق يقول خليل عبد الكريم: «حتى اهتدت إليه: أو بمعنى أدق لمن يصلح لذلك وهنا ضربت عرض الحائط بالتقاليد الرواسخ رسوخ الجبال بل وحطمتها فقدّمت نفسها إليه ومدت يدها هي إليه ولم تعبأ بفارق السن والمال حتى إذا تشيأ الحلم وتحوّل إلى واقع تحولت من مرحلة الفرز والتجنيب والصبر والاختبار إلى مرحلة الإعداد والشحن والإمداد والتعبئة والتهيئة، واستغرقت تلك المرحلة من عمرها خمسة عشر سنة من عمرها المبارك قدمت فيها تضحيات جسيمة من المال والنفس والبدن حتى أثمرت الشجرة وطرحت أكلها الحلو وآن للطاهرة أن تعلم أهل مكة: هاكم القادم الجديد الذي طال انتظاركم له وشوقكم إليه»[2].

ونستنتج من هذه النصوص بأن السيدة خديجة عرضت نفسها للزواج من محمد الذي رأت فيه ملامح النبيّ، حيث فرزته لما فيه من خصال حميدة خاصة الصدق والأمانة وعرّفته بابن عمها ورقة بن نوفل فكان النبي محمد يتعلم منه ويعتبر دور ورقة ابن نوفل ابن عم السيدة خديجة أساسيا فاعلا مؤثرا في هذه الفترة لأنّه من جهة كان مقربا جدا منها وكانت تستشيره في أمورها الدينية ويوجّهها من جهة ومن جهة أخرى هو من ترجم الكتاب المقدس إلى العربية وكان حريصا على تزويج محمد بخديجة بل هو أول من باركه يقول خليل عبد الكريم: «ورقة كان حريصا على حضور مجلس العقد وما أن انتهى أبو طالب عمّ محمد من إلقاء خطبته التي أبدى فيها الرغبة في مصاهرة بني أسد في خديجة زوجا لمحمد حتى انبرى ورقة وتكلم مبدياً الموافقة رغم وجود عمّها عمرو بن أسد الذي كان يعتبر وليها في عقد

[1]- عبد الملك ابن هشام، السيرة النبوية، المرجع السابق، ص ص 243-244.
[2]- خليل عبد الكريم، فترة التكوين في حياة الصادق الأمين ، ص 14.

النكاح الأمر الذي لفت انتباه أبي طالب و أفصح على ضرورة رأي العمّ والولي. هل كان القس يخشى أن يرفض العمّ والولي أو حتى يتردد ويتلجلج لأنه بمقاييس ذلك الزمان كان من حقّه أن يرفض إذ إن هناك روايات تنص على رفض أبيها خويلد بن أسد بل وتفوّه بعبارات سقيمة في حق محمد»[1]. في الحقيقة تعمدنا أن نشير إلى أمر رفض والدها لهذه الزيجة الأمر الذي نراه غير معقول لأن أعمام الرسول لم يكونوا ليقبلوا تزويج ابن أخيهم لامرأة والدها لا يريد مصاهرتهم وهم من هم سادة قريش ،بل وحتى حينما تدخل ورقة بن نوفل طلب أبا طالب عمها بالرد عليهم كونه الولي فالراجح عندنا هو أن أبوها كان ميتا لذا توكل عمها في مجلس عقد القران. وقدّمنا هذا الاستشهاد حتى نوضّح حرص ورقة بن نوفل على إتمام هذا الزواج لأنه كان يتنبأ لمحمد بشأن عظيم وبأنه المسيا المنتظر، وتعتبر زيجة النبيّ بخديجة مرحلة مهمة وأساسية له لأنها حققت له الكثير من النتائج الإيجابية التي ساهمت حتى في تقبله للوحي، وسنشير إلى هذا حيث حقق النبي بهذه الزيجة الاستقرار المادي والنفسي والمعرفي.

و لكن ما يثير انتباهنا على ضوء ما ذكرناه سابقا من انتظار أهل الكتاب للنبي أو المسيا تحرك بداخلنا فضول على شكل سؤال هو: **هل بشّر الكتاب المقدس بظهور النبي محمد؟**

يجيب نولدكه بالنفي القاطع على هذا التساؤل فهو يعتقد بأن الإنجيل لا يحتوي على أي نص يثبت بأن النبيّ الذي سيأتي بعد المسيح هو محمد ولم يذكر أصلا اسم أحمد، حيث يقول: «أما سورة الصف61-6 التي يعد فيها عيسى بأن الله سيرسل رسولا بعده اسمه أحمد فلا أثر لها في العهد الجديد»[2]. وفي محاولتنا لتتبع هذه النقطة بالنقد يقول الكتاب المقدس: «وينزل موسى عليه السلام على جبل الطور بعدما كلّمه ربّه فيقول مخاطبا بني اسرائيل: قال لي الرب: قد أحسنوا في ما تكلموا أقيم لهم نبياً من وسط إخوتهم مثلك واجعل كلامي في فمه، فيكلمهم بكل ما أوصيه به، ويكون أن الإنسان الذي لا يسمع لكلامي الذي يتكلم به

[1]- خليل عبد الكريم، فترة التكوين في حياة الصادق الأمين ، ص17.

[2]- تيودور نولدكه، تاريخ القرآن، ج1، تعديل: فريديرتش شفالي، تر: جورج تامر، دار نشر جورج المز، ط1، بيروت، 2004، ص 9.

باسمي أنا أطالبه، وأمّا النبيّ الذي يطغى فيتكلم باسمي كلاما لم أوصه أن يتكلم به أو الذي يتكلم باسم آلهة أخرى، فيموت ذلك النبي.

وإن قلت في قلبك: كيف نعرف الكلام الذي لم يتكلم به الرب؟ فما تكلم به النبي باسم الرب ولم يحدث ولم يصر فهو الكلام الذي لم يتكلم به الرب بل بطغيان تكلم به النبي فلا تخف منه»(التثنية 18/17-22). والنص كما هو واضح يتكلم عن نبي يأتي بعد موسى عليه السلام ويذكر صفات هذا النبي[1] إلا أنه لم يذكره ولم يحدده بالاسم، فيعتقد المسيحيون أن المقصود بهذا النبي هو المسيح عيسى بن مريم حيث يقول بطرس في سياق حديثه عن المسيح: «فإن موسى قال للآباء:لا إن نبيا مثلي سيقيم لكم الرب إلاهكم من إخوتكم له تسمعون في كل ما يكلمكم به ويكون أنّ لكل نفس لا تسمع لذلك النبيّ تباد من الشعب، وجميع الأنبياء أيضا من صموئيل فيما بعده، جميع الذين تكلموا سبقوا وأنبئوا بهذه الأيام» (الأعمال 3/22-26)، فبطرس يرى نبوّة موسى متحققة في شخص المسيح[2]. وقد قدّم السقار عدّة دلائل عقلية وتاريخية تثبت أن المقصود هو محمد وليس عيسى نلخصها في النقاط التالية:

1. إنّه نبي "أقيم لهم نبيا" والنّصارى يدعون للمسيح الألوهية.
2. هذا النبيّ من خصائصه أنه مثل موسى الذي لم يقم في مثل بني إسرائيل نبيّ مثله «ولم يقم بعد في إسرائيل مثل موسى الذي عرفه الرب وجها لوجه» (التثنية: 34/10)... وهذه الصفة أي المثلية لموسى متحققة في النبيّ محمد ممتنعة عن أخيهما المسيح... من ذلك ميلادهما الطبيعي، وزواجهما، وكونهما أصحاب شريعة، وكل منهما بعث بالسيف على عدوه، وكلاهما قاد أمته، وملك عليها، وكلاهما بشر.
3. من صفات النبيّ أنه أميّ لا يعرف القراءة ولا الكتابة، والوحي الذي يأتيه شفهي يغاير ما جاء الأنبياء من قبله من صحف مكتوبة «وأجعل كلامي في فمه» وقد كان المسيح قارئا.

[1]- منقذ بن محمود السقار، هل بشر الكتاب المقدس بمحمد (ص)، دار الإسلام للنشر والتوزيع، مكة المكرمة، ط1، 2007، ص 75.

[2]- خليل عبد الكريم، فترة التكوين في حياة الصادق الأمين ، ص 17.

4. أنه يتمكن من إبلاغ كامل دينه «فهو يكلمهم بكل ما أوصيه به» وهو وصف منطبق على محمد فقد كان من أواخر ما نزل إليه **(الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا)**[1]. بينما المسيح رُفع ولديه الكثير مما يريد إبلاغه يقول المسيح: «إن لي أمورا كثيرة أيضا لأقول لكم ولكن لا تستطيعون أن تحتملوا الآن وأما متى جاء ذاك روح الحق فهو يرشدكم إلى جميع الحق، لأنه لا يتكلم من نفسه، بل كل ما يسمع يتكلم به» (يوحنا 16/12-13)[2].

وهو نفس ما ذهب إليه أحمد ديدات في محاورته ببلدة ترانسغال مع القسيس رقم 13 القس غان هيردن: فبعد أن قرأ النص المذكور سابقا سأل ديدات القس عن من تعود هذه النبوءة؟ فأجاب القس بلا تردد: "اليسوع" وحينما سأله لماذا اليسوع؟ رغم أن اسمه غير مذكور فأجاب: «بما أن النبوءة هي الوصف التصويري أو الكلمة التصويرية لأمور ستحدث في المستقبل فإننا ندرك أن تعبيرات النص تصفه وصفا سديدا، أنت ترى أن أعظم هذه العبارات في هذه النبوءة هي "مثلك" - مثل موسى-». فسأله ديدات: وفيما يشبه اليسوع موسى؟ حصرها القس في معيارين أو نقطتين هما: أولا: كان موسى يهوديا وكذلك كان اليسوع يهوديا. ثانيا: كان موسى نبيا وكذلك كان يسوع نبيا.

فكان ردّ ديدات بأن هذين المعيارين لا ينطبقان على اليسوع فقط بل على كل الأنبياء اليهود الذين تلوا موسى على غرار سليمان- أشعياء- حزقيال- دانيال- هوشع- يونيل- ملاخي... الخ، بل هنالك عدة نقاط اختلاف بين موسى واليسوع حددها في ثلاث نقاط أولا: فبمقتضى عقيدة النصارى هو إلاه متجسد ولكن موسى كان بشر، ثانيا: أن اليسوع مات من أجل خطايا العالم (الرومية 5:8) ولكن موسى لم يمت من أجل ذلك، وثالثا في عقيدة المسيحيين ذهب يسوع إلى الجحيم ثلاثة أيام لكن موسى لم يكلف بالذهاب إلى الهاوية[3].

[1] - سورة المائدة، الآية 3.
[2] - خليل عبد الكريم، فترة التكوين في حياة الصادق الأمين ، ص ص 76-79.
[3] - أحمد ديدات، البرهان على البشارة لمحمد في التوراة والإنجيل، عالم الأفكار للطباعة والنشر والتوزيع، المحمدية، د ط، 2016، ص ص 73-76.

ومن خلال هذه النقاط أمكنه أن يستنتج بأن اليسوع لا يشبه موسى وعليه ليس هو المقصود في العهد القديم.

ثم يقدّم أحمد ديدات مواطن الاتفاق بين موسى ومحمد التي يستثنى منها المسيح عيسى بن مريم، لخصها في النقاط التالية:

1. **الأب والأم:** كان لموسى والدان «وأخذ عمرام بوكابد عمته زوجة له فولدت له هارون و موسى» (خروج 6:20). وكذلك محمد كان له أب وأم و لكن يسوع كانت له أمٌّ فقط وليس له أب بشري.
2. **الميلاد المعجزة:** إن موسى ومحمد ولدا ولادة عادية ولكن اليسوع ولد بقدرة إلاهية مميزة.
3. **عقد الزواج:** لقد تزوج موسى ومحمد وأنجبا أولادا، ولكن ظلّ اليسوع أعزبا كل أيام حياته.
4. **يسوع رفضه الناس:** لقد كان كلّ من موسى ومحمد مُسَلَّما بهما كأنبياء لشعوبهم في حياتهما - رغم معاناتهما- عكس المسيح الذي إلى اليوم الكثير من اليهود يرفضون الاعتراف به.
5. **مملكة تهتم بالأمور الأخروية:** موسى ومحمد كانا نبيّين وفي نفس الوقت زعيمين أي يمتلكان حتى سلطان الحياة والموت، على عكس الكثير من الأنبياء الذين نبذت رسالتهم وكان لا حول لهم ولا قوة مثل لوط ويونان و دانييل وعزرا وغيرهم، فهم بلّغوا الرسالة ولكنهم لم يلزموا بالشرع ومنهم اليسوع.
6. **لا شريعة جديدة:** إن موسى ومحمد أتيا بشريعة جديدة وأحكام جديدة لمجتمعيهما بينما اليسوع جاء ليثبت ويكمل الشريعة القديمة.
7. **كيف كان رحيلهم:** إن كل من موسى ومحمد توفيا وفاة طبيعية بينما اليسوع مات شرّ ميتة بقتله على الصليب.

8. **المقام السماوي**: كل من موسى ومحمد يرقد في قبره على الأرض ولكن طبقا لتعاليم المسيحية فإن يسوع يجلس عن يمين قوة الله (لوقا 22:69)[1].

ومن خلال ما تقدم ذكره نصل إلى أن النص المقدس لم يذكر بالاسم النبي أو المسيا القادم ولكن اجتهادات النصارى وتأويلاتهم ردّتها إلى المسيح اليسوع بينما رجال الدين والمفكرين المسلمين اجتهدوا لإثبات بأن المقصود هو محمد وليس المسيح، حيث النص القرآني الصريح يؤكد بأن المسيح قد بشر برسول يأتي بعده واسمه أحمد (هو أحد أسماء الرسول إضافة إلى محمد والماحي والحاشر والعاقب)، تقول الآية: **(وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ)**[2] .

إلا أنّ الإنجيل الموجود اليوم لم يذكر صراحة اسم رسول سيأتي بعد المسيح عيسى ابن مريم، بل توجد بعض الإشارات. سنذكر بعض النصوص التي تبشر بمن سيخلف المسيح أو النبيّ القادم. ففي إنجيل يوحنا نجد: «إن كنتم تحبونني فاحفظوا وصاياي وأنا أطلب من الأب فيعطيكم معزيا (برقليط) آخر» (يوحنا 15:14-16).

وبمتابعة للنص دائما في إنجيل يوحنا نجد «روح الحق الذي لا يستطيع العالم أن يقبله لأنه لا يراه ولا يعرفه وأما أنتم فتعرفونه لأنه ماكث معكم ويكون فيكم» (يوحنا 14:17).

وأيضا: «وأما المعزي الروح القدس الذي سيرسله الرب باسمي فهو يعلمكم كل شيء ويذكركم بكل ما قلته لكم» (يوحنا 26:14). كما يقول: «ومتى جاء المعزي الذي سأرسله أنا إليكم من الأب روح الحق الذي من عند الأب ينبثق فهو يشهد لي وتشهدون أنتم أيضا لأنكم معي من الابتداء» (يوحنا 15: 26-27).

قال ابن هشام في السيرة النبوية تحت عنوان صفة رسول الله من الإنجيل: «وقد كان فيما بلغني عمّا كان وضع عيسى بن مريم فيما جاءه من الله في الإنجيل لأهل الإنجيل من

[1]- أحمد ديدات، البرهان على البشارة لمحمد في التوراة والإنجيل ، ص ص 77-83.
[2] - سورة الصف، الآية 6.

صفة رسول الله صلى الله عليه وسلّم مما أثبت يوحنس الحواري لهم حين نسخ لهم الإنجيل عن عهد عيسى بن مريم عليه السّلام في رسول الله صلى الله عليه وسلّم إليهم أنه قال: «من أبغضني فقد أبغض الرّب ولولا أني صنعت بحضرتهم صنائع لم يصنعها أحد قبلي ما كانت لهم خطيئة ولكن من الآن بطروا وظنوا بأنهم يعزونني وأيضا للرب ولكن لا بد من أن تتم الكلمة التي في الناموس: أنهم أبغضوني مجانا أي باطلا فلو قد جاء المنحمنا هذا الذي يرسله الله إليكم من عند الرب وروح القدس هذا الذي من عند الرب خرج فهو شهيد علي وأنتم أيضا لأنكم قديما كنتم معي في هذا، قلت لكم لكي ما تشكوا». والمنحمنا بالسريانية محمد وهو بالرومية البرقليطس صلى الله عليه وسلم»[1].

ومن باب الموضوعية فإن رجال الدين المسيحيين يؤكدون بأن الإنجيل لم يذكر نبي المسلمين لا بالاسم ولا بالإشارة، بل أن اسم أحمد في الآية المذكورة سابقا غير موجود حتى في قراءة أبي للقرآن وهو بالنسبة لهم دليل أثري على تطور الإقحام قبل التدوين الأخير، ولأنه بنظرهم لو أسقطت كلمة أحمد لكان التطابق بين نص القرآن والإنجيل على أن المقصود هو الروح القدس[2]. بينما يعتقد رجال الدين والمفكرين المسلمين بأن الكتاب المقدس محرف كتبه بشر ولحقدهم على الإسلام ونبيّه حذفوا كل ما ينبئ صراحة بالرسول محمد كخاتم الأنبياء والمرسلين.

3- مصادر تكوين شخصية الرسول:

3-1- محمد النبي:

لقد عرفت فكرة النبوة في الحضارات القديمة والمجتمعات السابقة تحت مسميات متعددة مثل اسم المخلص في الحضارة الهندية مع البوذا والزرداشتية مع زردشت أو الصينية مع كونفوشيوس ولكن هؤلاء رغم بشريتهم إلا أنهم ألهوا بعد ذلك، ولكن فكرة النبوة في ثوبها المعروف اليوم ازدهرت كما يرى نولدكة مع الشعب الإسرائيلي، فوصفها بأنها

[1]- عبد الملك ابن هشام، المرجع السابق، ص ص 297- 298.

[2]- http://www.alkalema.net/nosrania/nosrania10.htm

مسألة سيكولوجية روحية حيث يقول: «جوهر النبيّ يقوم على تشبع روحه من فكرة دينية ما تسيطر عليه أخيرا فيتراءى له أنه مدفوع بقوة إلهية ليبلغ من حوله من الناس تلك الفكرة على أنها حقيقة آتية من الله»[1]. وقدّم دليلا واقعيا يتمثل في كثرة المدعين للنبوة قبل وبعد محمد النبي.

لقد لقيت الدعوة المحمدية منذ البدء مقاومة كانت منتظرة من أهل مكة ومن سادتها وحتى من أهل النبي واتهموه بالجنون تارة وبالسحر تارة وبنقل أساطير الأولين وهذا ما يذكره حتى القرآن: **(بَلْ قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ بَلِ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ فَلْيَأْتِنَا بِآيَةٍ كَمَا أُرْسِلَ الْأَوَّلُونَ)**[2]، وأحيانا يطلبون منه قرآن من نوع آخر يقول: **(وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا ائْتِ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَذَا أَوْ بَدِّلْهُ)**[3] معتقدين ببشريته وبأنه من نسجه. وقوله: **(فَقَالَ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ. إِنْ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ)**[4].

نفس الأمر بالنسبة لأصحاب الديانتين اليهودية والمسيحية حيث أن نصّ القرآن أثبت نكرانهم لنبوة الرسول وكفرهم به: **(وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ)**[5].

ولكن رغم هذا النكران والانتقاد والمقاومة، عرفت الدعوة المحمديّة طريقها إلى التوسع والانتشار وما زالت إلى اليوم. وهذا دليل على عظمة وحنكة النبي محمد ودليل على قوة شخصيته ودهائه على خلاف ما يعتقده نولدكه عن ضعف شخصيّة النبيّ لأنه لم يجرؤ على الجهر بدعوته يقول نولدكه: «يضاف إلى ذلك أمر يود المسلمون بالطبع أن يخفوه، ألا وهو أن محمّدا كان بطبعه ضعيف العزم، أجل لقد كان يخاف إلى درجة أنه لم يتجرأ في البدء إلى المجاهرة برسالته»[6]. وهنا نعتقد بأن حكم نولدكه كان قاسيا لأنه حتى في ظل

[1]- تيودور نولدكه، تاريخ القرآن، ص 3.
[2] - سورة الأنبياء، الآية 5.
[3] - سورة يونس، الآية 15.
[4] - سورة المدثر، الآيتان 24-25.
[5] - سورة البقرة، الآية 89.
[6]- تيودور نولدكه، تاريخ القرآن، ص 5.

المقاومة الشديدة من قومه ومن أهل الكتاب ومن المشركين ونجح محمد النبي في إيصال رسالته.

وقد تناول نولدكه مسألة في غاية الأهمية وهي أمية الرسول لذا يحق لنا أن نتساءل: **هل كان النبي أميّاً؟ أو بمعنى أدق هل كان يجهل القراءة والكتابة؟**

يؤكد نولدكه بأن القرآن لم يقدم لنا جوابا شافيا عن مسألة أمية النبي لأن المصطلح في حد ذاته يحتاج إلى ضبط دقيق، فبرأيه كلمة (اقرأ) الواردة في سورة العلق إذا كان يعني الوعظ والإلقاء فلا قيمة له أما إذا كان يعني التلاوة فهنا ليست القراءة البشرية لأن ذلك يحتاج إلى استنارة سماوية، ليصل في الأخير كاستنتاج بأن محمد النبيّ لم يكن يعرف القراءة والكتابة حيث يقول: «الحجج التي تؤيد القول بأنّ محمدا كان يستطيع القراءة والكتابة حجج واهية جدا»[1]. ثم وجد بأن معنى كلمة أميّ المذكورة في القرآن هي عكس "أهل الكتاب" لذا بعد محاولتنا تقصي هذا الأمر وجدنا بأن الشائع في كل الكتابات الكلاسيكية الإسلامية وبالأخص السنيّة منها أن النبيّ محمد كان أميّا بمعنى كان لا يحسن القراءة والكتابة ولكن هذا لا يعني بأنه جاهل بثقافة عصره والحضارات السابقة بالسمع والمشافهة. ولتقصي هذا الأمر آثرنا أولا تتبع كلمة "أميّ" في النص القرآني وفهم دلالتها، فقد ذكرت هذه اللفظة في ستة مواضع هي:

- **(وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِيَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ)**[2].
- **(فَإِنْ حَاجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ اتَّبَعَنِ وَقُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيِّينَ أَأَسْلَمْتُمْ فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ)**[3].
- **(وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنْهُ بِقِنْطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ إِنْ تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لَا يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِمًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ)**[4].

[1]- تيودور نولدكه، المصدر السابق، ص 13.
[2] - سورة البقرة، الآية 78.
[3] - سورة آل عمران، الآية 20.
[4] - سورة آل عمران، الآية 75.

- **(الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ)**[1].
- **(قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ)**[2].
- **(هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ)**[3].

بعد تأملنا لهذا اللفظ في النصوص القرآنية المذكرة نجد بأن لفظ الأميّ محصور على الجاهل بالنصوص اليهودية والنصرانية أحيانا وكذا بغير اليهود والنصارى فيصبح بهذا المعنى أن اليهود والنصارى ليسوا أميين، فهذا المصطلح أطلقه اليهود والنصارى على من لا يدينون بدينهم وجاهلون بها وبتعاليمها ومحتواها[4]. فكلمة "أمية" مأخوذة من الكلمة اليهودية "أميت" و"أميم" وكان يطلقها اليهود على غيرهم من الشعوب[5]. وبالتالي لفظ أميّ في القرآن ليس له علاقة بجهل القراءة والكتابة.

لا يختلف اثنان على أن النبيّ عاش في مجتمع يعرف الكثير من أفراده القراءة والكتابة وبخاصة الحنفيون حيث يقول جواد علي: «جميع من حشرهم أهل الأخبار من الحنفية كانوا من القارئين، الكاتبين وكانوا يشترون الكتب ويراجعونها»[6]. وقد كان النبي قبل قبل البعثة وبعدها حنفيا، ويؤكد جواد العلي بأن الحديث المذكور في صحيح البخاري في

[1] - سورة الأعراف، الآية 157.
[2] - سورة الأعراف، الآية 158.
[3] - سورة الجمعة، الآية 2.
[4]- محمد شحرور، الكتاب والقرآن قراءة معاصرة، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، بيروت، ط5، 1996، ص ص 139-140.
[5]- جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج6، ص 96.
[6]- جواد علي، المرجع نفسه،ص 456.

كتاب الصوم: «أننا أمة أمية لا نقرأ ولا نحسب» ينسخ ويناقض ما قاله الرسول، بأن قريشا تكتب وتحسب: «قريش أهل الله، وهم الكتبة الحسبة»[1].

ويستدل كل من يعتقد بأن النبيّ كان لا يعرف القراءة والكتابة بلحظة نزول الوحي عليه حينما طالبه جبريل بالقراءة فكان رده ما أنا بقارئ فاستنتجوا بأنه لا يعرف القراءة. ويرى محمد شحرور بأنه استنتاج خاطئ مقدما مثالا على ذلك بأنه إذا طلبنا من زيد أن يذهب إلى مكان ما وقال ما أنا بذاهب هل هذا يعني أنه مشلول أو فاقد قدميه، ويؤكد بأنهم أخلطوا بين إرادة النبيّ وعدم استطاعته، وليوضح المسألة اعتقد شحرور بأن الملك قدم للنبيّ مخطوطة ليقرأها فأبى والدليل على ذلك أنه حينما قال له: «اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ» لم يعلّق النبي بل سكت[2]. وهو نفس ما أكده جلال الربعي حيث يرى بأن الملك لم يكن ليطلب من النبي القراءة لو لم يكن متيقنا من معرفته لها ،لأن الملك أصلا هو مجرد واسطة بين النبي والله العليم بكل شيء، ويرى بأن عبارته «ما أنا بقارئ» تدلّ على رفض القراءة فهو قادر عليها ولكنه لا يريد فعل ذلك[3].

واستدل على قدرة النبي على القراءة والكتابة بحادثتين تاريخيتين:

- **الأولى:** في صلح الحديبية، حينما فاوض الرسول كفار قريش الذي كان يمثلهم سهيل بن عمرو، وكان كاتب الصلح بينهما هو علي بن أبي طالب قال له الرسول: «اكتب هذا ما صالح عليه محمد رسول الله سهيل بن عمرو» فقال سهيل لو نعلم أنك رسول الله لم نقاتلك، ولكن اكتب اسمك واسم أبيك. فقال لعلي «امحو رسول الله» فقال: «لا أمحوك أبدا» فأخذه رسول الله فكتب موضع رسول الله، محمد بن عبد الله» وهذا يدل بأنه كان يكتب.
- **الثانية:** لما مرض الرسول آخر مرة قبل موته قال لمن حضر في بيته: «ائتوني أكتب كتابا لا تضلوا بعدي أبدا».

[1]- جواد علي، المرجع السابق، ص 102.
[2]- محمد شحرور، الكتاب و القرآن، ص 141.
[3]- جلال الربعي، من الوحي إلى القرآن، ص 65.

من خلال هذين الحجتين التاريخيتين يمكننا التأكد بأن الرسول محمد كان يقرأ ويكتب بل هو المعلّم لكل المسلمين فكان يعلّم صحابته ويوجّههم ويصحّح لهم حتى أخطاءهم.

يعتبر هذا العنصر من العناصر الأساسية التي اهتم المستشرقون بها نظرا لأن القرآن هو عصب الدين الإسلامي وعموده الفقري، ويعتبر الرسول قلبه النابض فأحاطوه بالاهتمام خاصة في مصدر ثقافته، فقد نجد شبه إجماع عند المستشرقين بأن القرآن هو كلام بشري قام بتأليف سوره وقصصه محمد لما يمتلكه من ذكاء ودهاء وقوة الخيال، وأرجع نولدكه مصدر إلهامه إلى عاملين متداخلين فيما بينهما مصادر داخلية وأخرى خارجية، يقول نولدكه: «إن محمدا حمل طويلا في وحدته ما تسلمه من الغرباء، وجعله يتفاعل وتفكيره، ثم أعاد صياغته بحسب فكره حتى أجبره أخيرا الصوت الداخلي الحازم على أن يبرز لبني قومه رغم الخطر والسخرية الذين تعرض لهما ليدعوهم إلى الإيمان»[1]. فمن خلال هذا القول يتضح لنا بأن نولدكة يعتقد بأن عاملين ساهما في تكوين ثقافة النبي هما:

1) **مصادر خارجية:** إن الإنسان ابن بيئته كما يقول عبد الرحمان بن خلدون، فالمنطقي أن كل إنسان يتأثر بمحيطه وتكون جلّ معارفه مستمدة منه والرسول في الإسلام هو بشر ولم يتجسد الإله فيه كما يعتقد النصارى في المسيح عيسى بن مريم، لذا فتأثر النبي بالمحيط الذي عاش فيه أمر طبيعي، ولكن المستشرقين وبعض المفكرين يعتقدون بأن الوحي المنزل عليه هو مجرد خدعة بل هو من ألف القرآن بما اكتسبه من معارف عن الأمم الغابرة ومعرفته بالديانات السابقة واحتكاكه بالشعراء، فالعوامل الخارجية التي أثرت فيه هي:

[1]- تيودور نولدكه، تاريخ القرآن، ص 4.

أ) الديانتين اليهودية والنصرانية:

إن اتصال النبي محمد باليهود والنصارى سواء في سفرياته التجارية كما مع بحيرى وغيره أو مع المقيمين في جزيرة العرب كورقة بن نوفل وغيره قد جعل الأغلبية الساحقة من المستشرقين يؤكدون بأن مصدر الوحي المحمدي هو الديانتين اليهودية والنصرانية، ومن بين هؤلاء نجد نولدكه الذي قال عن النبيّ: «أعلن عن صور أعدها بتفكير واع بواسطة استخدام قصص من مصادر غريبة مثبتة وكأنها وحي حقيقي من الله مثله مثل أنبياء الشعب الإسرائيلي الذين نشروا منتجاتهم الأدبية على أنها من عند رب الصباؤوت».[1]

أي أنه يعتقد أن النبوة بصفة عامة هي حالة ذاتية شعورية خاصة بالنبي الذي تكون قد تشكلت لديه فكرة صقلها بما اطّلع عليه من أخبار الأمم السابقة والحضارات الغابرة وأعمالهم الأدبية فيؤمن بها على أنها وحي من الله فينقله إلى الغير ممن حوله، واستدل بوجود الكثير ممن ادعوا النبوة قبل نبوة محمد وبعدها بل حتى إلى يومنا هذا.

ولم يستثني النبي محمد من هذه القاعدة بل أوضح أكثر قائلا: «إن المصدر الرئيس للوحي الذي نزل على النبي حرفيا، بحسب إيمان المسلمين البسيط وبحسب القرون الوسطى وبعض المعاصرين هو بدون شك ما تحمله الكتابات اليهودية، وتعاليم محمد في جلها تنطوي في أقدم السور على ما يشير بلا لبس إلى مصدرها، لهذا لا لزوم لتحليل لنكتشف أن أكثر قصص الأنبياء في القرآن، لا بل كثير من التعاليم والفروض هي ذات أصل يهودي أما تأثير الإنجيل في ذلك فهو أقل بكثير»[2].

كما وصف الإسلام كدين بأنه تقليد وإعادة إنتاج للمسيحية والحنفية حيث يقول: «الإسلام هو الصيغة التي دخلت بها المسيحية إلى بلاد العرب كلها... فالمسلمون يعتبرون أنفسهم خلفاء الأحناف»[3].

فاطلع النبي محمد حسبه على التراث اليهودي المسيحي شفويا لأنه كما يعتقد نولدكه لم يشأ أن يعتبر عارفا بالقراءة والكتابة، يقول نولدكه: «استنادا إلى ما تقدم لا بد لنا أن ننفي

[1]- تيودور نولدكه، تاريخ القرآن، ص 6.
[2]- تيودور نولدكه، المصدر نفسه، ص 7.
[3]- تيودور نولدكه،نفسه، ص 9.

إمكانية استعمال محمد لمصادر مكتوبة فهو تقبل أهم أجزاء تعليمه من اليهود والمسيحيين شفويا على الأرجح و يبدو أن القرآن يشير إلى هذا الأمر في سورة الفرقان: **(وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا إِفْكٌ افْتَرَاهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آَخَرُونَ)**[1]، وفي سورة النحل: **(وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ)**[2]. وتذكر التفاسير أسماء عديدة لمعاصري النبي المعنيين بهذه الآية (سلمان- يسار- جبر- يعيش- بلعام)[3].

ولم يشكل نولدكه الاستثناء بهذا الطرح بل كان هذا موقف غالبية المستشرقين الذين استدلوا حتى من القرآن على أن مصدره الديانتين السابقتين في قوله: **(وَإِنَّهُ لَفِي زُبُرِ الْأَوَّلِينَ)**[4] وقوله أيضا: **(إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَى. صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى)**[5].

ونذكر منهم على سبيل التمثيل لا الحصر المستشرق المجري جولدزيهر الذي قال: «إن تبشير النبيّ العربي ليس إلا مزيجا منتخبا من معارف وآراء دينية استقاها بسبب اتصاله بالعناصر اليهودية والمسيحية وغيرها التي تأثر بها تأثراً عميقا والتي رآها بأنها جديرة بأن توقظ عاطفة دينية حقيقية عند بني وطنه»[6]. وقال أيضا: «لقد أفاد من تاريخ العهد القديم - وكان ذلك في كثير من الأحيان من طريق قصص الأنبياء- ليذكر على سبيل الإنذار والتمثيل بمصير الأمم السابقة الذين سخروا من رسلهم الذين أرسلهم الله لهدايتهم ووقفوا في طريقهم»[7].

[1] - سورة الفرقان، الآية4.
[2] - سورة النحل، الآية 103.
[3]- تيودور نولدكه، تاريخ القرآن، ص 16.
[4] - سورة الشعراء، الآية 196.
[5] - سورة الأعلى، الآية 18-19.
[6]- إجناس جولدسيهر، العقيدة والشريعة في الإسلام، تر: محمد يوسف موسى وآخرون، دار الكتب الحديثة، مصر، ط2، 2009، ص 12.
[7]- إجناس جولدسيهر، المرجع نفسه، ص 15.

بل اتهم النبي محمد بالانقلاب على اليهود والنصارى بعدما صلب عوده بعدما كانوا معلميه، يقول: «كما صار رهبان المسيحيين وأحبار اليهود موضع مهاجمة منه وقد كانوا في الواقع أساتذة له»[1].

ولكي يدحض فكرة عصمة الرسول والقرآن، استدل اليهود والنصارى بتعدد قراءات القرآن وأن هذا القرآن ليس له نص موحد ويذكر أن في الآية «54 من سورة البقرة يدور الحديث حول غضب موسى حين علم بصنع بني إسرائيل عجلا من ذهب وعبادتهم إياه. ويذكر أن ما جاء فيها مطابق لما جاء في سفر الخروج فصل 32 فصلة 27 الذي هو مصدر الكلمات القرآنية»[2].

ونفس الفكرة تبناها جرجيس سال حينما قال: «اجتمع في جزيرة العرب عدد وافر من الفرق المختلفة الأسماء لجئوا إليها هربا من اضطهاد القياصرة فأدخل محمد كثيرا من عقائدهم في دينه، أما اليهود الذين كانوا أذلاء لا يعتد بهم فقد قويت شوكتهم في بلاد العرب حيث لجأ كثير منهم على إثر خراب بيت المقدس وهودوا كثيرا من ملوك العرب ولذا كان محمد في بادئ أمره يداريهم حتى أنه أخذ عنهم كثيرا من مقالاتهم ورسومهم تألفا لهم لعلهم يشايعونه»[3]. حيث حاول تقديم حجة تاريخية تؤكد أن مكة كانت ملجأ للمضطهدين من كل الفرق أو المعتقدات ما وفر لمحمد النبي إمكانية التعرف على معتقداتها.

ولم يختلف المستشرق ويليام موير عن رأي سابقه بقوله: «إن المسيحية منتشرة على نطاق واسع بين القبائل السورية والحدودية وحتى أنه كانت بعض المستوطنات المسيحية في قلب الجزيرة العربية ولهذا لم يكن الإنجيل مفقودا في مكة»، فيصرح بأن المسيحية كانت سائدة في مجتمع الجزيرة العربية ولا يستبعد بأن الإنجيل قد توافر في أوساطها لاسيما في مكة مما ساعد محمد أن يستقي من أفكارها[4].

[1]- إجناس جولدسيهر ، نفسه، ص 20.

[2]- إجناس جولدسيهر، مذاهب التفسير الإسلامي، تر: عبد الحليم النجار، د ط، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1955م، ص 10.

[3]- ستار جبر الأعرجي، شبهات المستشرقين حول الوحي القرآني، مجلة دراسات استشراقية، العدد الرابع، 2015، ص 20.

[4]- ستار جبر الأعرجي، المرجع نفسه، ص 21.

فكانت تشكل هذه الفكرة بالنسبة لهم الحقيقة. قال المستشرق سنكلير تسدل في كتابه "ميزان الحق" ص 372: «لو اتفق المسلمون بأن القرآن من تأليف محمد وكتب بالوحي وليس كما يقولون: أنه أملاه عليه جبرائيل لكانت حجتهم أقوى». وفي نفس الإطار يقول المستشرق جورج سيل في كتابه "مقالة في الإسلام" ص 116: «ومما لا شك فيه ولا ينبغي أن يختلف فيه اثنان أن محمد هو في الحقيقة مصنف القرآن وأول واضعيه وإن كان لا يبعد أن غيره أعانه عليه كما اتهمته العرب لكنهم في شدة اختلافهم في تعيين الأشخاص الذين زعموا أنهم كانوا يعينونه وهت حجتهم وعجزوا عن إثبات دعواهم ولعل ذلك لأنّ محمد كان أشد احتياطا من أن يترك سبيلا لكشف الأمر»[1].

أي أن النبي محمد حسبهم أعاد صياغة ما اطلع عليه من خلال التوراة والإنجيل فاقتبس نصوص القرآن وألفها اعتمادا على بقايا شعائر الديانات السابقة. واستدل المستشرقون على مقاربتهم هذه بأن هناك تشابها بين قصص القرآن والقصص اليهودي والمسيحي «إن كلمة راعنا في القران عبرية يهودية... شعائر الحج: السعي، الوقوف بعرفة ورمي الجمرات والعمرة كلها يهودية الأصل»[2].

لقد أخذ المستشرقون أمثلة لتأكيد مصدر القرآن اليهود، ومن بين تلك الأمثلة، قصة قابيل وهابيل، قصة النبي يوسف وغيرها.

من بين المستشرقين الذين زعموا مصدر القرآن اليهود والنصارى المستشرق وات الذي ادعى أن أفكار اليهود والنصارى كانت منتشرة في الجزيرة العربية ولا سيما مكة ويدعى أن مصدر القرآن النصرانية، فنجد بأن مونتجمري وات يؤكد على أن القرآن ما هو إلا تأليف محمد مستشهدا فيما توصل إليه بتشابه معلومات القرآن وقصصه وبين قصص التوراة والإنجيل حيث يقول: «ففي مثل هذه الحالات يجد الباحثون الغربيون صعوبة في

[1]- محمد السيد راضي جبريل، مصدر القرآن الكريم في رأي المستشرقين، مؤتمر دراسات قرآنية، نظمها مجمع الملك فهد لطباعة القرآن الكريم في المدينة المنورة من 7-2006/9/11، ص 38.

[2]- عمر لطفي، العالم، المستشرقون والقرآن، مركز دراسات العالم الإسلامي، ط1، 1991م، ص ص 23- 31.

مقاومة الإغراء في أن يصلوا إلى نتيجة مؤداها أن القرآن الكريم من عمل محمد يكرر القصص التي سبق أن سمعها»[1].

فحسب اعتقادهم أن القرآن مصدره الرهبان والقسيسون متحججين في قولهم هذا بأنهم سكنوا جزيرة العرب ويخلصون في قولهم إلى أن القرآن بشرى من تأليف محمد وقد سموه "محرر القرآن"[2].

في حين نجد أن المستشرق الألماني شاخت قد شكك ووسع الاتهام في انتحال القرآن حيث أن الغرض الرئيسي في البداية كان تغيير أوضاع وعادات فقط ليتطور إلى دين يقول: «إن محمد قد ظهر في مكة كمصلح ديني، وأنه احتج بشدة على كفار مكة من أهل مكة واعتبروه كمجرد كاهن أو عراف آخر وأنه بسبب قوة شخصيته قد دعي إلى المدينة في عام 622م كحكم في نزاع قبلي بين أهل المدينة وأنه كالنبيّ قد أصبح قائدا ومشرعا يحكم مجتمعا جديدا على أساس ديني وأن محمدا قد اقتبس من اليهود في المدينة كثيراً من الأحكام... وكذلك التشريعات الإسلامية منتحلة من القانون الروماني والقانون البيزنطي وكذلك قوانين الكنائس الشرقية ومن التعاليم التلموذية وأقوال الأحبار ومن القانون الساساني، كل هذه القوانين والتعاليم والقواعد تشكل منها القانون الديني الإسلامي»[3].

بعد عرض هذه النقطة يمكن القول بأن القرآن نفسه لم ينفي التشابه في أصل العقيدة وهو التوحيد بالله حيث تقول الآية: **(وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ. نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ. عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ. بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ.وَإِنَّهُ لَفِي زُبُرِ الْأَوَّلِينَ. أَوَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ آَيَةً أَنْ يَعْلَمَهُ عُلَمَاءُ بَنِي إِسْرَائِيلَ. وَلَوْ نَزَّلْنَاهُ عَلَى بَعْضِ الْأَعْجَمِينَ. فَقَرَأَهُ عَلَيْهِمْ مَا كَانُوا بِهِ مُؤْمِنِينَ)**[4].

[1]- مونتجمري، محمد في مكة، ص 170.
[2]- كانون سيل، تر: مالك مسلماني، التطور في القران التاريخي، مجلة الدراسات الاستشراقية، عدد 6، 2016، ص 13.
[3]- محمد السيد راضي جبريل، مصدر القران في رأي المستشرقين، ص 58.
[4]- سورة الشعراء، الآيات (192 -199).

فلم ينكر القرآن علاقته بالديانات السابقة بل جاء مصدقا للكتب والصحف ولا فرق بينه وبين الكتب السابقة في مسألة الحقيقة الإيمانية والعقيدة الرئيسية (الأخلاق، العبادة، العمل الصالح، الأكل من الطيبات. وأن الأنبياء كلهم أرسلوا التبليغ مكارم الأخلاق فالوصايا العشر جاء بها موسى عليه السلام، والمواعظ الحسنة لعيسى عليه السلام، وهي مذكورة في القرآن الكريم.

بل هناك بعض المستشرقين الذين يؤكدون تشابه المنبع بين الكتب المقدسة الثلاث مثال ذلك المستشرق هيلز الذي يرى بأن الكتب الثلاثة المقدسة متماثلة في مضمونها من الناحية الجوهرية فكل نسخة متأخرة تؤكد ما جاء في السابقة، فاليهود مثلا حصلوا على التوراة من خلال موسى والمسيح حصلوا على الإنجيل من خلال عيسى، والعرب حصلوا على القرآن من خلال محمد، ولكن رغم إقرارنا بوجود تشابه في المنبع والأصل وحتى تشابه بعض الطقوس الدينية إلا أن هذا لا يمنع من وجود اختلافات كثيرة بين الديانتين السابقتين والإسلام من حيث المحتوى لا نرى من داعي لذكرها نذكر منها على سبيل التمثيل لا الحصر النظرة المختلفة للذات الإلهية.

لذا من باب الموضوعية نقول إنه من الإجحاف القول بأن كل المستشرقين توصلوا بعد دراستهم وبحوثهم حول مصدر القرآن إلى الديانتين السابقتين له، بل إن البعض عارض فكرة نولدكه والمناصرين لمقاربته فنجد منهم من يعتقد بأن القرآن معجزة وليس من كلام البشر، بل هو كلام رب العالمين، على غرار الكونت هنري ديكاستري فيقول أنه تم إثبات أن محمد لم يقرأ كتابا مقدسا ولم يسترشد في دينه بمذهب متقدم عليه[1]، ويقول أيضا: «لا اله إلا الله، ذلك هو أصل الاعتقاد بإله فرد صمد منزه عن النقائص، وهو اعتقاد يكاد العقل يتصوره ويستحيل أن يكون هذا الاعتقاد قد وصل إلى نبي من مطالعته للتوراة والإنجيل إذ لو قرأها لردّها لاحتوائها على مذهب التثليث وهو مناقض لفطرته ومخالف لوجدانه منذ خلق»[2]. وحتى هذا المستشرق برأينا جانب الصواب لأن النبي اطلع على الكتب السابقة قراءة

[1]- هنري دكاستري، إسلام خواطر وسوانح، ترجمة: أحمد فتحي زغلول باشا، مكتبة النافذة، دار طيبة للطباعة، الجيزة، ط1، 2008، ص 39.

[2]- هنري ديكاستري، المرجع نفسه، ص ص 41 – 42.

ومشافهة، والقرآن نفسه كما قلنا ذكر ذلك. ونجد هذا أيضا عند طه حسين حينما قال: «والقرآن يحدثنا عن هذه الكتب فهو يذكر التوراة والإنجيل ويجادل فيهما اليهود والنصارى... ويذكر حتى صحف إبراهيم»[1].

ب) الشعراء:

هناك طائفة أخرى من المستشرقين ادعت أن محمد قد أخذ من عادات الجاهلية وقد اقتبس من شعائرها، لأن الشعر في تلك الفترة كان له شأن كبير خاصة وأن مكة في تلك الفترة كانت مركزا وملتقى للشعراء وكان بها سوق عكاظ. ومن بين تشبيهات المستشرقين ومقارناتهم نجد مثلا الآية: (قُتِلَ الْإِنْسَانُ مَا أَكْفَرَهُ) (عبس17)، يعتقدون بأنها مقتبسة من شعر امرئ القيس في الأبيات التالية:

يَتَمَنَّى المَرْءُ فِي الصَّيْفِ الشِّتَا فَإِذَا جَاءَ الشِّتَا أَنْكَرَهْ

فَهُوَ لاَ يَرْضَـى بِحَـــالٍ وَاحِدٍ قُتِلَ الإِنْسَانُ مَا أَكْفَرَهْ[2]

وحتى بأن النبي محمد أخذ من الشعراء الأحناف مثل زيد بن عمرو بن نفيل، الذي يقول في شعره:

وَ أَسْلَمْتُ وَجْهِي لِمَنْ أَسْلَمَتْ لَهُ الأَرْضُ تَحْمِلُ صَخْراً ثِقَالاَ

دَحَـاهَا فَلَـمَا رَآهَا اسْتَـوَتْ عَلَى المَاءِ أَرْسَى عَلَيْهَا الجِبَالاَ

وَ أَسْلَمْتُ وَجْهِي لِمَنْ أَسْلَمَتْ لَهُ المُزْنُ تَحْـمِلُ عَذْبـاً زُلاَلاَ

إِذَا هِيَ سِـيقَتْ إِلَى بَلْـــدَةٍ أَطَاعَتْ فَصَبَّتْ عَلَيْهَا سِجَالاَ[3]

ولكن العديد من المستشرقين اهتموا وركزوا على شعر عبد الله بن أبي الصلت لأنه كان قارئا للكتب القديمة وكتب الأنبياء وكان راغبا عن عبادة الأوثان وكان يعلم بقرب

[1]- طه حسين، في الأدب الجاهلي، مطبعة فاروق، القاهرة، ط3، 1993، ص 144.
[2]- صدر الدين كومش، ، مصادر القرآن الكريم عند المستشرقين ، ص 15.
[3]- جلال الربعي، من الوحي إلى القرآن، ص 103.

خروج نبي جديد وكان يمني نفسه أن يكون هو نبي آخر الزمان، فلما بلغه أن الرسول قد بعث كفر به في البداية، وقد صرّح الرسول بخصوص شعره حينما سمعه أسلم شعره وكفر قلبه بل أنه هنالك تشابه كبير بين شعر أمية وما ورد من أساطير في النص القرآني يقول:

ألاَ لَنْ يَفُوتَ المَرْءَ رَحْمَةُ رَبِّهِ وَلَوْ كَانَ تَحْتَ الأَرْضِ سَبْعِينَ وَادِياَ

يُعَالِي وَتُدْرِكُـهُ مِـنَ اللهِ رَحْمَةً وَيُضَحي ثَنَاءً فِي البَـرِيَة زَاكِـيـاَ[1]

هذا ما جعل المستشرق كليمان هوار يعتقد بأن مصدر معلومات الرسول للقرآن: وهو شعر أمية بن أبي الصلت وحاول الموازنة بين شعره وبين بعض النصوص القرآنية وهو ما دفع بالعرب حسب رأيه لمحاربة شعره كون الأثر الكبير للشعر الجاهلي على القرآن[2]، وفي هذا الصدد يؤكد صدر الدين كومش بأن أمية بن أبي الصلت نفسه أكد صحة رسالة النبي محمد ولكنه أخّر إسلامه ليتأمل الموضوع... وأردف قائلا لو أن الرسول تعلم وأخذ من شعره لما توقف أمية عن فضحه والتشهير به»[3]. لذا نرى بأن طرح كومش منطقي ومعقول.

بينما تعجب طه حسين من هذا الطرح فقال: «أنا أعجب كيف يتورط العلماء أحياناً في مواقف لا صلة بينها وبين العلم؟! والغريب من أمر المستشرقين في هذا الموضوع وأمثاله أنهم يشكون في صحة السيرة نفسها، ويتجاوز بعضهم الشك إلى الجحود، فلا يرون في السيرة مصدراً تاريخياً صحيحاً، وإنما هي عندهم - كما ينبغي أن تكون عند العلماء جميعاً - طائفة من الأخبار والأحاديث تحتاج إلى التحقيق والبحث العلمي الدقيق، ليمتاز صحيحها من منحولها، هم يقفون هذا الموقف العلمي من السيرة، ويغلون في هذا الموقف، ولكنهم يقفون من أمية بن أبي الصلت وشعره موقف المستيقن المطمئن، مع أن أخبار أمية ليست أدنى إلى الصدق، ولا أبلغ في الصحة من أخبار السيرة، فما سر هذا الاطمئنان

[1]- جلال الربعي، المرجع نفسه، ص ص 103 – 104.

[2]- طه حسين، في الأدب الجاهلي، مطبعة فاروق، القاهرة، ط3، 1993، ص 145.

3- صدر الدين كومش، مصادر القرآن الكريم عند المستشرقين ، ص 12.

الغريب إلى نحو من الأخبار دون النحو الآخر؟!»[1]. فقد ثنى من جهة طه حسين على مناهج المستشرقين العلمية ولكنه وصفهم بالتعصب وبالانطلاق من أحكام مسبقة في بعض الأحيان.

ففي هذه النقطة نفى نولدكه هذا الأمر ورده فقط إلى الديانتين السابقتين حيث يقول: «ينسب كليمان هوار لنفسه فضل اكتشاف مصدر جديد من مصادر القرآن في بعض قصائد أمية بن أبي الصلت... فيمكن تفسيرها بأن أمية نهل مثل محمد من معين الروايات اليهودية المسيحية»[2].

ت) أساطير العرب حول الآلهة:

يرى نولدكه بأن تعدد الآلهة كان يشكل جزءا مهما في المخيال الشعبي للعرب عامة والقرشيين بالتحديد فكان لزاما أن يؤثر في النبي محمد حيث يقول: «أحد أهم مصادر تعليم محمد كانت الاعتقادات الدينية التي اعتنقها قومه وما من مصلح يمكنه أن يتنصل تماما من المعتقدات التي تربى عليها»[3]. ونفس المقاربة تبناها جلال الربعي حيث يؤكد بأن الآلهة والأساطير كانت من مقومات البيئة الثقافية التي كان لها بالغ الأثر على النبي وهو ما انعكس في النص القرآني الذي تطرق إلى ذكر بعض الآلهة التي كان يتعبد بها المكيون على غرار ود وسواع ويعوق ونسرا وبعل... مستشهدا بالآية: **(أَتَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ)**[4]، ثم ربط الربعي بينها وبين رمز الآلهة فـ(هبل) مثلا في الموروث الثقافي هو مسقي الأرض ومنتج الصواعق وعند الإغريق مجسد في صخرة سوداء اللون وربطه بالحجر الأسود المقدس عند المسلمين[5].

وقد ذكر القرآن في الآية: **(وَأَنَّهُ تَعَالَى جَدُّ رَبِّنَا مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا)**[6] (الجن 3). يرى الربعي بأن كل كتب التفسير لم تقنع بتفسيرها لهذه الآية لجهلهم بالثقافة الثيولوجية

1- طه حسين، في الأدب الجاهلي، ص 146.
2- تيودور نولدكه، تاريخ القرآن، ص 17.
3- تيودور نولدكه، المصدر نفسه، ص 17.
4 - سورة الصافات، الآية 125.
5- جلال الربعي، من الوحي إلى القرآن، ص ص 106 – 109.
6 - سورة الجن، الآية 3.

العربية و السامية قبل الإسلام لأن "جد" كان صنما معروفا عند الساميين وكان من أسماء بعض العرب عبد جد، وبناءا على النقوش المتوافرة اليوم كان الإله عامة يسمى الجد (GAD) ولها نفس دلالة كلمة (THEOS) عند اليونان فتصبح وبالتالي مفهوم (جد) هو الله فيصبح فهم الآية واضحا بأنه تعالى الله ربنا[1]. وهنا يظهر تأثير الديانات السابقة في النص القرآني حسبه.

ث) فلسفة اليونان:

إن تواصل العرب مع الأمصار لم يكن بفعل الفتوحات الإسلامية كما يعتقد بعض المؤرخين بل كانت التجارة أهم أداة ساهمت في عملية التواصل. ويذكر جلال الربعي بأن هاشم سيد قريش كانت له علاقات تجارية مع مجال نفوذ اليونان ما يعني أن الثقافة والفلسفة اليونانية كان لها طريق إلى النبي محمد[2].

أورد الشهرستاني في كتابه "الملل والنحل"، وصفا لبعض فلاسفة اليونان بأنهم "فلاسفة إلهيون" فكانوا يخبرون الناس عن الجنة ونعيمها والنار والقصور والأنهار وهو ما نجده في النص القرآني، فطاليس مثلا يؤمن بالإله المبدع وبأن الماء هو أصل العالم، وتعجب الشهرستاني من تحليل طاليس حتى قال عنه كأنه تلقى مذهبه من هذه المشكاة النبوية حيث يقول النص القرآني **(وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ)**[3]. كما أن هرمس عند اليونان هو نبي الله إدريس وقد وصف الشهرستاني أرسطو في مذهبه بأنه تلقاه عناية إلهية[4]. كما أن فيثاغورث توصل إلى أن أصل الكون هو العدد وأصل الأعداد هو الواحد ومنه لا بد أن يكون الله هو الواحد.

كما أورد يوسف صديق في كتابه "هل قرأنا القرآن؟ أم على قلوب أقفالها" بأن "توت" (طاطا) وهو ابن هرمس في الأسطورة الكونية هرمس ما هو إلا سمي لإله عربي

[1] جلال الربعي، من الوحي إلى القرآن، ص 110

[2] جلال الربعي، المرجع نفسه، ص 73

[3] - سورة الأنبياء، الآية 30.

[4] - السيد علي الشهرستاني، جمع القرآن نقد الوثائق وعرض الحقائق، ج1، المركز الإسلامي للدراسات الإستراتيجية، دس، د ط، ص 273.

قديم هو "طاغوت" الوارد في النص القرآني[1] منه الآية:**(الَّذِينَ آَمَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا)**[2] والآية: **(وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اُعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ)**[3].

ويعتقد جلال الربعي بأن أفلاطون في كتابه العشر من مدونة الجمهورية ذكر أسطورة "أر" وهي حسبه ما عبر عنها النص القرآني بـ "أساطير الأولين" حيث إطار القصة هو النهوض من القبر بعد البعث فيتحدث عن القضاة والصراط والجنة والنار والحسنة بعشر أمثالها والرجال الغلاظ الشداد والأغلال، وهو ما يتوافق برأيه مع محتوى النص القرآني[4]، فلا يمكن لهذه الفكرة أن تتبلور في النص القرآني حسب الربعي لولا اطلاع النبيّ على ثقافة و فلسفة اليونان.

ج) **الصحابة:**

بخاصة عمر بن الخطاب، فالمستشرق دوزي يعتبر أن عمر قد أثر في الرسول في مسألة الوحي، وقد كان يعترف بذلك ويعتبر أن بعض الأوامر التي نزلت من السماء بعد بيان لزومها من قبل عمر[5].

ويقول ماكسم رودنيسون: «ألم يتمدح عمر بموافقة الوحي له ثلاث مرات كمعجزة»[6].

كمعجزة»[6].

فهذه تسمى موافقات عمر حيث توافق الوحي مع مقترحات الفاروق ولم يكن ليؤثر على الوحي - وسنتقصى الأمر في عنصر لاحق- مثل تحريم الخمر وقتل أسرى بدر والحجاب...

[1]- يوسف الصديق، هل قرأنا القرآن؟أم على القلوب أقفالها ،تعريب منذر ساسي،دار محمدعلي للنشر،صفاقس،ط2013،1، ص 174-177.

[2] - سورة النساء، الآية 76.

[3] - سورة النحل، الآية 36.

[4]- جلال الربعي، المرجع السابق، ص ص 79- 85.

[5]- صدر الدين كومش، مصادر القرآن عند المستشرقين، ص 17.

[6]- صدر الدين كومش، المرجع نفسه، ص 17.

وبهذا نكون قد تطرقنا إلى أهم المصادر الخارجية التعليمية للنبيّ محمد والتي سيكون لها أثر على الرسالة المحمدية.

2) **مصادر داخلية:** رغم أهمية تأثير المصادر الخارجية التي ذكرها نولدكه والمستشرقون إلا أنهم اهتموا بالجانب الأهم و هو الجانب الذاتي فأرجعوها إلى:

أ) **شخصية النبي :**

يعتقد الكثير من المستشرقين ومن بينهم نولدكه بأن العوامل الذاتية الخاصة بشخصية محمد ساهمت بشكل كبير في نبوته، وسنحاول في هذا العنصر التطرق إلى أهم ما لاحظوه واعتقدوه واستنتجوه وما ادّعوه حول الوحي أو حول نسج الرسول للقرآن.

حيث ركز نولدكه على أن معرفة شخصية النبي محمد يمكن أن نستقيها من القرآن فهو برأيه كان مؤمنا إلى حد التشدد بما يدعو له وكان غرضه استبدال عبادة الأصنام بعبادة الله الواحد وبتحقيق السعادة يقول: «المصدر الصحيح لمعرفة روح محمد ألا وهو القرآن ترسخ اعتقادنا آمن في صميم نفسه بحقيقة ما دعي إليه من أن يستبدل بعبادة العرب الكاذبة للأصنام دينا أسمى يمنح الغبطة للمؤمنين»[1]. رغم أنه في موضع آخر يؤكد بأن النبي محمد ضعيف الشخصية وما أثبت له ذلك هو سرية الدعوة في البداية كما ذكرنا سابقا وبأنه كان ذو مخيلة ضيقة إلا أنه وصفه بالذكاء العملي ما جعل دعوته تنجح يقول نولدكه: «إن روح محمد كان يشوبه نقصان كبيران يؤثران على سموه فإذا كانت النبوة بالإجمال تصدر من المخيلة المنفعلة وموحيات الشعور المباشرة أثر مما تصدر من العقل النظري فإن محمد كان يفتقر إلى هذا بشكل خاص ففيما كان يتمتع بذكاء عملي كبير لم يكن له من دونه أن ينتصر على كل أعدائه»[2]، فالذكاء العملي كان يقصد به إصلاح المجتمع وتغيير سلوكه. ولعل المستشرق الألماني هوربرت جريم قد لخص ما اعتقده أغلب المستشرقون في كتابه "محمد" حينما قال: «لم يكن محمد في بادئ الأمر يبشر بدين جديد بل إنما كان يدعو إلى نوع من الاشتراكية، فالإسلام في صورته الأولى الأصلية لم يكن يحتاج إلى أن نرجعه إلى ديانة

1- تيودور نولدكه، تاريخ القرآن، ص 4.
2- تيودور نولدكه، المصدر نفسه، ص 5.

سابقة تفسر لنا تعاليمه، ذلك لأننا إذا نظرنا إليه عن كثب نراه لم يظهر إلى الوجود دينا سماويا، بل هو محاولة لإصلاح اجتماعي تهدف إلى تغيير الأوضاع الفاسدة... وهو إنما يستخدم فكرة الحساب في اليوم الآخر كوسيلة للضغط المعنوي وتأييد دعوته»[1].

فبرأيه الظروف الاجتماعية ومحاولة إصلاحها كانت دافعا لادعاء الرسول النبوة وكان لابد من إيجاد أداة للضغط وكسب المؤيدين ، فكان له ذلك من خلال الترغيب بالجنة والترهيب من النار أي الحساب الأخروي بعد الموت، وحينما نتحدث عن إصلاح مجتمع فلا بد أن تكون الأخلاق محور هذا الإصلاح وهذا جوهر الرسالة المحمدية حيث قال الرسول نفسه بأنه بعث ليتمم مكارم الأخلاق بمعنى أنه كانت هنالك مكارم أخلاق قبل بعثته ولكنها كانت هنالك بعض السلوكات التي كان لا بد من استبدالها أو التخلي عنها، كون الأخلاق أصلا معيارية فهي تطلب وتسعى لما ينبغي أن يكون، ولكن الاختلاف بين محمد الرسول وبين فلاسفة الأخلاق قبله كـ(كونفوشيوس) أو البوذا أو سقراط أنه موحى إليه من طرف الله فكان منفذا مبلغا وهذا ما سنتطرق إليه في مبحث آخر خاص بالوحي.

ويعتقد بعض المستشرقين أيضا أن الرسول كان شاعرا وكان ساحر ومجنون والكاهن، وهذه التهم ليست جديدة من قبل المستشرقين لشخصية الرسول بل متجددة لأن قومه بعد جهره بالنبوة وصفوه بهذه الأوصاف وهذا ما يدل عليه القرآن ذاته: **(وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوا آَلِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَجْنُونٍ)**[2]. ولكن نعتقد بأنه مجرد تعصب لإثبات هذه النظرة فالحقد وغاية القضاء على دعوته كانت السبب وراء هذه التهم التي نراها باطلة فلا يمكن لساحر أو مجنون أو كاهن أن تصمد فكرته كل هذا الوقت ويكون له أتباع في جميع أنحاء المعمورة، وما يدعم اعتقادنا هو نولدكه نفسه الذي نفى عن محمد النبي هذه الصفات الجائرة يقول: «لو أنه كان دجالا وحسب فكيف انضم إليه رجال مسلمون كثر كرام عقلاء وعلى رأسهم صديقاه

1- التهامي نقرة، مناهج المستشرقين في الدراسات العربية الإسلامية، ج1، المنظمة العربية للثقافة والتربية والعلوم، تونس، د ط، 1985، ص 27.

2 - سورة الصافات، الآية 32.

الأقربان أبو بكر وعمر مؤازرين إياه بأمانة في السراء والضراء؟»[1]. وهذه التهمة ليست جديدة من قِبل المستشرقين بل منذ بداية دعوته للإسلام.

وهذا ما نجده في رواية عن ابن عباس أن الوليد ابن المغيرة اجتمع هو ونفر من قريش وكان ذا سن فيهم وقد حضر الموسم فقال إن وفود العرب ستقدم عليكم فيه وقد سمعوا بأمر صاحبكم هذا فأجمعوا فيه رأيا واحدا ولا تختلفوا فيكذب بعضكم بعضا.

فقيل: يا أبا عبد شمس فقل وأقم علينا رأيا نقوم به.

فقال: بل أنتم قولوا وأنا اسمع.

فقالوا: نقول كاهن.

فقال: ما هو بكاهن فقد رأيت الكهان وما هو بزمزمة الكهان.

فقالوا: نقول مجنون.

فقال: ما هو بمجنون لقد رأينا الجنون وعرفناه فما هو بخنقه ولا تخالجه وسوسته.

فقالوا: نقول شاعر.

فقال: ما هو بشاعر لقد عرفنا الشعر برجزه وهزجه وقريضه ومقبوضه ومبسوطه فما هو بالشعر.

فقالوا: نقول ساحر.

قال: ما هو بساحر قد رأينا السحار وسحرهم فما هو بنفثه ولا عقده.

قالوا: فما نقول يا أبا عبد شمس؟

1- تيودور نولدكه، تاريخ القرآن، ص 5.

قال: والله إن لقوله لحلاوة، وإن أصله لعذق، وإن فرعه لجنى فما أنتم بقائلين هذا شيئا إلا عرف بأنه باطل، وإن أقرب القول لأن تقولوا: ساحر، فتقولوا هو ساحر يفرق بين المرء وأبيه وبين المرء وزوجته وبين المرء وأخيه وبين المرء وعشيرته فتفرقوا عنه بذلك...»[1].

فمن خلال هذه الرواية نجد بأن المشركين أنفسهم في هذه المرحلة لم يكونوا ناكرين لجوهر الرسالة بل مصلحتهم كانت مهددة ولم يجدوا ما يصفون النبي به من سوء لأنه اشتهر بالأخلاق الحميدة وخاصة الصدق والأمانة.

ب) الجانب النفسي: الاضطرابات النفسية.

يعتقد بعض المستشرقين على غرار رودنسون لديث أن تنشئة الرسول منعزلا زاهدا متأملا في طفولته وشبابه تركت انطباعا نفسيا تحت الشعور، فكان نتيجة لهذا الزهد الطويل ظهر له الكشف بالسمع والأبصار فكان القرآن نتيجة نهائية لهذا الزهد، ثم ما ساهم في هذا الكشف هو شخصية النبي الذي عاش الحرمان بموت والديه ثم أبناءه ثم كبرى زوجاته[2]. إضافة إلى الاعتقاد بأنه كان مصابا بالصرع وبالهستيريا والهالونيسياسيون أي التخيل فالنبيّ محمد لم يرى جبريل وإنما خيل له[3]. ونفس الفكرة نجدها عند جولدستهير الذي يرى بأن الحالة المرضية النفسية هي مصدر وحي النبي قال: «خلال النصف الأول من حياته اضطرته مشاغله إلى الاتصال بأوساط استقى منها أفكارا أخذ يجترها في قرارة نفسه وهو منطوٍ في تأملاته أثناء عزلته ولميل إدراكه وشعوره للتأملات المجردة التي يلمح فيها أثر حالته المرضية»[4]. كما أن نولدكه أكد هذا أيضا فيرى بأن محمد كان مصابا بداء الصرع يقول: «يروى أن محمدا كثيرا ما اعترته نوبة شديدة لدى تقبله الوحي، حتى أن الزبد كان يطفو من فمه، وكان يخفض رأسه ويشحب وجهه أو يزداد احمرارا وكان يصرخ كالفصيل ويتفصد جبينه عرقا حتى في أيام الشتاء... الخ، هذه النوبة ... لكن فايل توصل إلى النتيجة أن محمدا كان يعاني نوعا من الصرع... حيث أن فقدان الذاكرة هو أحد عوارض داء الصرع

1- نصر الدين كومش، مصادر القرآن الكريم عند المستشرقين، ص 32.
2- تيودور نولدكه، تاريخ القرآن، ص 6.
3- نصر الدين كومش، مصادر القرآن الكريم عند المستشرقين، ص 41.
4- ستار جبر الأعرجي، شبهات المستشرقين حول النص القرآني، ص 33.

الفعلي... ويقال أن محمدا كان يعاني منها منذ حداثته»[1]. ولكننا هنا نرى بأن نولدكة أخطأ في تشخيصه لهذه الأعراض فداء الصرع له أعراض غير هذه الأعراض لأنه يصيب الجهاز العصبي ما يحدث تشنج في العضلات ثم إغماء ثم هذيان مصحوب بحركة واضطراب في اليدين والرجلين وقد يزعم المصاب أنه يرى أشباحا تهدده وأفكارا غريبة، ولم تثبت المصادر التاريخية أن النبي كان مصابا بهذا المرض[2]. وأما عن النوبات والأعراض التي كانت تصيب النبي فهي كانت في بعض الأحيان عند نزول الوحي. فمن غير المعقول لشخص مريض عقليا كما يدّعون أن يقوم بما قام به النبي محمد وينجح.

1- تيودور نولدكه، تاريخ القرآن، ص ص 23-24.
2- ستار جبر الاعرجي، المرجع السابق، ص 34.

خاتمة الفصل:

مما سبق ذكره في هذا الفصل يمكن أن نخلص بأنه رغم اهتمام الباحثين العرب والمسلمين بموضوع الإستشراق إلا أنه ما زال موضوع خصبا يحمل العديد من الجوانب التي يمكن البحث فيها ،لذا فبعد ضبط مفهوم الاستشراق لغة واصطلاحا والتطرق لجل التعريفات والإحاطة بجهود المستشرقين الذين سعوا إلى بلورة رؤى وتصورات حول الاستشراق كمنهج علمي يدرس الإسلام والمسلمين وتراثهم، يمكن القول بأن اعتمادنا على آلية الضبط المفاهيمي ومحاولة تحديد بداية الاستشراق مكنتنا من التوصل إلى العلاقة الوطيدة بين هذه الدراسات والعقيدة المسيحية من جهة، وبينها وبين الحروب الصليبية والاستعمارية والامبريالية من جهة أخرى، وهذه الصفة لا تنطبق على كل الدراسات الاستشراقية بل كانت هناك دراسات موضوعية لتراثنا عامة والنص القرآني خاصة ،ومن بين هذه الدراسات نجد دراسة تاريخ القرآن لتيودور نولدكه. ثم حاولنا تشخيص البيئة الثقافية والسوسيولوجية المكية حتى نفتح لأنفسنا المجال للرد على المقاربات الاستشراقية عموما ومقاربة نولدكه خصوصا حول مسألة في غاية الأهمية وهي مدى تأثر النبي بالوسط الثقافي المحيط به في مكة كالحنفاء وبعض الصحابة وحتى الديانات السابقة على غرار المسيحية واليهودية من جهة وتأثره بمعارف عصره من الحضارات الأخرى على غرار اليونانية والفارسية والزرداشتية وانتقاد التهم الموجهة إلى ذاته .

الفصل الثاني

الوحي والقرآن

الفصل الثاني : الوحي والقرآن بين موقف نولدكه و موقف المختصين المسلمين

تمهيد.

المبحث الأول: الوحي المحمدي.

1- **موقف نولدكه من الوحي والنبوة.**
2- **تعريف الوحي.**
3- **أنواع استعمالات الوحي.**

المبحث الثاني: التنزيل وبداية الوحي والقرآن.

1- **مفهوم النزول.**
2- **مدة نزول الوحي على النبي محمد.**
3- **آخر ما نزل من القرآن.**

المبحث الثالث: مفهوم القرآن

1- **الجانب اللغوي**
2- **الجانب الاصطلاحي**
3- **أسماء القرآن الكريم**

خاتمة الفصل.

تمهيد:

في هذا الفصل سوف ندخل في صميم البحث حيث سنعمل على تتبع مسار فكرة الوحي التي تعتبر أهم نقطة ركز عليها المستشرقون عامة ونولدكه خاصة في محاولته إثبات بأن الوحي مجرد صوت داخلي على شكل إلهام اعتقد النبي بأن مصدره الله، فهو حسبه مجرد فكرة تتشبع بها روح النبي أثناء عزلته ثم تتبلور في ذهنيته ليخرجها إلى الناس بأنها وحي من الله، فنحاول التقصي في هذه المسألة لتمييز الوحي المحمدي عن غيره من أنواع الوحي ثم محاولة التأكد ما إذا كان وحيا خياليا أم إلاهيا، ثم نتطرق إلى أنواعه وكيفياته وتجلياته على النبي وانعكاس هذا الوحي على المجتمع الذي ينتمي إليه وخاصة في الشق الجزئي المتعلق بالوحي المحمدي، بمعنى الرسالة التي تلقاها محمد من الله عبر وساطة جبريل ،وهذا ما أرغمنا كباحثين على تشخيص موقف نولدكه المستشرق المهتم بالظاهرة القرآنية دون أن نهمل الجانب المفاهيمي للوحي واستعمالاته وتطرقنا إلى مرحلة التنزيل وبداية الوحي ونزول القرآن على محمد في بيئته المكية.

ومن جهة أخرى سعينا من أجل التركيز على فكرة النزول والتركيز على المدة الزمنية التي تجلى فيها هذا التنزيل بمعنى تحديد مدة نزول القرآن على محمد عن طريق الوحي وتتبع مسار النزول القرآني منذ البداية ونركز على بداية وختام ما نزل من القرآن وهذا المنهج المراد تطبيقه في بحثنا لا يتحقق إلا بتوفر شروط تسمح بفعاليته وهي المفاهيم الأساسية المتعلقة بالقرآن كنص مقدس من خلال التوصيف الاسمي والتحديد اللغوي والاصطلاحي.

المبحث الأول: الوحي المحمدي.

بعد تطرقنا في الفصل السابق إلى مصادر تكوين شخصية النبي محمد حسب نولدكه والمستشرقين بصفة عامة، أصبح يقينا عندنا أن أهم نقطة في الرسالة المحمدية هي مسألة الوحي، وقد شهدت هذه الأخيرة جدالا ونقاشا حادا بين المفكرين والمستشرقين حيث اختلفت آرائهم وتباينت بين مناصر مؤيد متقبل لها وبين معارض ناكر مشكك فيها وفي مضمونها.

من بين هؤلاء المستشرقين أخذنا الألماني تيودور نولدكه أنموذجا كونه من أوائل المستشرقين الذين تناولوا بالبحث والتقصي هذه المسألة معتمدا المنهج التاريخي، حيث يعتبره عبد الرحمان بدوي شيخ المستشرقين ومرجعيتهم في تاريخ القرآن، حيث تطرق لهذه المسألة وعالجها بحسب رأيه وقناعاته واجتهاده. فكيف تمت عملية الوحي هذه بنظر نولدكه؟ وهل شخصية ونفسية الرسول ساهمت وسهّلت عملية الوحي؟

1- موقف نولدكه من الوحي والنبوة:

يتضح لنا منذ الوهلة الأولى نقطة في غاية الأهمية في موقف نولدكه وهي أنه فرق بين مفهومين في غاية الأهمية وهما مصطلحان يعتقد أغلب المسلمين بأنهما متلازمان والعلاقة بينهما طردية وهما مفهوما النبوة والوحي، حيث أنه لم ينكر مسألة النبوة والتي عرفتها العديد من الشعوب قبل العرب وبخاصة عند اليهود واعتبر أن جوهر النبيّ يقوم على تشبع روحه من فكرة دينية ما تسيطر عليه أخيرا، فيعتقد بأنه مدفوع بقوة إلهية ليبلغ من حوله من الناس تلك الفكرة على أنها حقيقة آتية من الله[1]. ومن خلال هذا المقياس اعترف لمحمد بالنبوة قائلا: «لا بد لنا من الاعتراف بأن محمد كان بالحقيقة نبيّاً، إذا محصنا بشخصيته بتجرد وتمعن، وفهمنا النبوة فهما صحيحا»[2]، فالنبي محمد حسب نولدكه تدبر طويلا في وحدته ما تسلمه من الغرباء ثم أعاد صياغته بحسب فكره وأخرجه للناس معلنا نبوته.

[1]- تيودور نولدكه، تاريخ القرآن، ص 3.
[2]- تيودور نولدكه، المصدر نفسه، ص 4.

أما بخصوص مسألة الوحي بدأ نولدكه هذا العنصر بقوله: «أعلن محمد بأنه يتلقى الوحي من "الروح"، "روح القدس" الذي اعتبره ملكا وسماه في السور المدنية جبريل»[1]. فمن خلال بداية حديث نولدكه يتضح لنا بصورة جلية بأن الوحي حسبه مسألة شخصية للنبي فهو من صرح بذلك بحيث أخرج للعلن ما حدث له من تواصل بينه وبين الروح القدس الذي يعتبر ملاكا مبعوثا من طرف الله، ويردف نولدكه بأن النبي لم يذكر اسم هذا الملاك أو الروح حتى هاجر للمدينة سماه جبريل، وفي هذا تلميح إلى تأثر النبي محمد بيهود يثرب، ثم حدد مفهوم الوحي ولكن من وجهة نظر إسلامية حيث يقول: «بتعبير أشمل عند المسلمين الوحي لا يصف القرآن وحسب بل كل إلهام تلقاه النبيّ وكل أمر إلهي وجه إليه حتى لو لم تعتبر كلماته قرآنا»[2]. وهنا نجد بأن نولدكه لم يحصر مفهوم الوحي عند المسلمين بما دُوِّن في المصحف بل كان يقصد حتى الأحاديث القدسية وحتى الأحاديث النبوية بل النبي حسب المسلمين كان يعرف أحيانا ما سيحدث مستقبلا. ومنه فإن أغلب أقوال النبيّ وسلوكاته مصدرها الوحي لأنه حسب المسلمين لا ينطق عن الهوى بل هو وحي يوحى كما جاء في القرآن. ومنه نجد بأن نولدكة قد أثار نقطة في غاية الأهمية وهي أساس القرآن وطريقة التواصل التي ربطت بين الطرف الأول وهو الله عز وجلّ والإنسان المتمثل في شخص محمد الرسول للبشرية كطرف ثاني.

وبعد عرضه لموقف المسلمين من الوحي أنكره جملة وتفصيلا، حيث فسره على أنه مرض نفسي وصوت داخلي للنبي وقد ظنه النبي أنه وحي يوحي إليه من الله، واعتبر أن الرسول كانت تراوده أحلام ورؤى اعتقد أنها وحي من الله، وفي نص له أكد أن الوحي ما هو إلا حالة مرضية. يقول نولدكه: «هذا الوضع الجسدي والنفسي المضطرب إلى درجة المرض يفسر الأحلام، والرؤى التي رفعته فوق مستوى العلاقات البشرية المعتادة، ولعل أشهر ما يذكر في هذا الصدد الإسراء والمعراج، الذي كانت مجرد حلم... ولا يجوز أن نغفل أن معظم الوحي حدث ليلا كما يبدو، حيث تكون النفس أكثر قابلية لاستقبال التخيلات والانطباعات النفسية عما هي عليه في وضح النهار، ونحن نعلم بالتأكيد أن محمد كثيرا ما

[1]- تيودور نولدكه، تاريخ القرآن، ص 20.
[2]- تيودور نولدكه، المصدر نفسه، ص 7.

قضى الليل متهجدا، وأنه كثيرا ما صام، وتشتد بالصيام القدرة على مشاهدة الرؤى كما اكتشفت الفيزيولوجيا الحديثة مؤخرا»[1].

وقال أيضا: «ولم يستطع محمد في أثناء الثوران النفسي الشديد أن يستمع إلى أجزاء كاملة من القرآن، بل إلى كلمات وأفكار مفردة فقط»[2]. وهو ما جعل النبي محمد حسبه لا يقدم على جمع القرآن والوحي.

أما عن كيفية الوحي حسب نولدكه فبدأ أولا بتعديد هذه الكيفيات مستدلا بكتاب "الإتقان" للسيوطي وهي:

- الوحي في مثل صليل الجرس.
- بواسطة ما ينفثه روح القدس في روع محمد.
- بواسطة جبريل على هيئة رجل.
- أن يكلمه الله في اليقظة كما في ليلة الإسراء أو النوم.

و يضيف ترتيبا آخر عند المسلمين من كتاب "المواهب اللدنية":

- الحلم.
- وحي جبريل في روع النبي.
- جبريل في صورة دحية.
- في صلاصل.
- جبريل في صورته الحقيقية وظهر بها مرتين.
- الوحي في السماء كما في ترتيب الصلوات اليومية الخمسة.
- الله نفسه ولكن من وراء حجاب.
- الله مباشرة كاشفا عن نفسه.

ثم يقول وقد أضاف آخرون مرتبتين:

[1]- تيودور نولدكه، تاريخ القرآن، ص 25.
[2]- تيودور نولدكه، المصدر نفسه، ص 25.

- جبريل في هيئة إنسان آخر.
- الله ذاته مظهرا نفسه في الحلم[1].

ثم انتقد هذا الاعتقاد السائد لدى المسلمين خاصة في أن محمدا النبي شاهد الله مباشرة لأنه برأيه أسيء فهمها يقول: «بقي ذلك الرأي متداولا وهو ينافي تصور محمد الذاتي لنفسه ولم ينشئ إلا عن تفسير خاطئ لبعض المواضع في سورة التكوير 81 وسورة النجم 53 وقد حاول آخرون التخفيف من فظاظة ذلك الرأي فاستنتجوا بأن النبي رأى الله بقلبه... وهذه الكيفية ينبغي رفضها»[2].

كما أسقط كيفية أخرى للوحي وهي أن جبريل كان يظهر لمحمد في صورة دحية حيث يقول: «كما يجب إسقاط ما ذكر أن جبريل كان يظهر لمحمد في صورة دحية». أما الكيفية الخامسة فهي تفسير آخر لسورة التكوير وسورة النجم بينما الكيفية السادسة فانبثقت من سورة المعراج[3].

أما الكيفية الرابعة يقول: «روي أن محمدا كثيرا ما اعترته نوبة شديدة لدى تلقيه الوحي، حتى أن الزبد كان يطفو فمه وكان يخفض رأسه ويشحب وجهه أو يشتد احمراره وكان يصرخ كالفصيل»[4]. مستشهدا بحديث عن عائشة: أن الحارث بن هشام سأل رسول الله قال: «يا رسول الله كيف يأتيك الوحي؟ فقال رسول الله: أحيانا يأتيني في مثل صلصله الجرس وهو أشده علي، فيفصم عني وقد وعيت عنه ما قال: وأحيانا يتمثل في الملك رجلا فيكلمني فأعي ما أقول»، قالت عائشة رضي الله عنها: ولقد رأيته ينزل عليه الوحي في اليوم الشديد البرد فيفصم عنه وإن جبينه ليتفصد عرقا[5].

[1]- تيودور نولدكه، تاريخ القرآن ، ص ص 21-22.
[2]- تيودور نولدكه، المصدر نفسه، ص 22.
[3]- تيودور نولدكه،المصدر نفسه، ص ص 21-22.
[4]- تيودور نولدكه ،نفسه، ص ص 23-24.
[5]- أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، فتح الباري شرح صحيح البخاري، ج 1، المكتبة السلفية، ص 18 .

ولكنه اعتقد مع فايل بأن هذا راجع إلى أن النبي كان يعاني من الصرع حيث يقول: «أن فقدان الذاكرة هو أحد عوارض داء الصرع الفعلي، فمن الضروري أن نصف ما كان يغشاه بحالة من الاضطراب النفسي الشديد ويقال أن محمدا كان يعاني منها منذ حداثته. وبما أن العرب شأنهم شأن الشعوب القديمة، كانوا يعتبرون من كانت تعتريه حالات كهذه مجنونا»[1]، ليصل في الأخير إلى أن الرسول كان هو مؤلف القرآن بأسلوبه عن مضمون ما كان يتلقاه من وحي لأنه من الطبيعي حسبه أن تؤثر قوة السكرة النبوية بشكل فعال في أسلوب الكاتب ويتجلى ذلك من خلال قوله: «لم يستطع محمد في أثناء الثوران النفسي الشديد أن يستمع إلى أجزاء كاملة من القرآن بل إلى كلمات وأفكار مفردة فقط لهذا السبب يعتبر البحث التاريخي أن ما أوحي به إليه لم يكن مقاطع قرآنية مستقلة بل بالأحرى الشكل الأدبي الذي عبر بواسطته النبي عن مضمون الوحي»[2].

واعتبر أن كل أنواع الوحي الأخرى هي مجرد افتراء ولم تحدث بل هي مجرد روايات قام بها المسلمون.

من خلال ما ذكرناه نستنتج بأن نولدكه يعتقد بأن الوحي ما هو إلا تشبع الرسول محمد بأفكار كان لها انعكاس على نفسيته نتيجة تدبره الدائم لها وكان بعد حالات الصرع التي تغشاه والإغماء يؤلف مقاطع من القرآن على أنها وحي وهي في الحقيقة حسبه إلهام داخلي.

وعليه يتضح لنا بجلاء أن نولدكه فرّق بين النبوة التي أثبتها للنبيّ محمد ومن جهة أخرى تنكر للوحي. فهو برأيه ليس وحيا إلهيا بل هو وحي داخلي ذاتي، وما يستلزم منطقيا من إنكار الوحي الإلهي هو أن القرآن حسبه هو كلام بشري و ليس كلام إلهي.

انطلاقا من النقاط التي تطرق إليها نولدكه سنحاول تحديد مفهوم الوحي واستعمالاته ومحاولة التعرف على هذا المصطلح لغويا واصطلاحيا في القواميس العربية والغربية وكذا حديث القرآن عن الوحي والتقصي حول حقيقة الوحي عند النبي محمد؟.

[1]- تيودور نولدكه، تاريخ القرآن، ص ص 24.
[2]- تيودور نولدكه، المصدر نفسه، ص 25.

في الحقيقة ليس من اليسير تحديد مفهوم الوحي كمصطلح وكسلوك لأنه معنى متغير بتغير الأديان والثقافات وحتى الأزمنة، وتكمن الصعوبة في تحديده حسب عبد المجيد شرفي في أنه مرتبط بالله ذلك السر أو الغيب mester الذي يفرقنا عندما ينكشف ويوحد بيننا حينما يمكث فينا[1]. لذا سنحصر بحثنا حول هذا المفهوم في الدين الإسلامي، فنجده في المعنى القرآني قد ذكر في حوالي ثمانية وسبعون موضعا وتختلف دلالته في الاستخدام القرآني نفسه. وعليه استنادا على النقاط التي ذكرها نولدكه لمفهوم الوحي سنبتدئ بـ:

2- **تعريف الوحي:**

أ- لغة:

عرف العرب هذا المفهوم قبل الإسلام ولكن لم يكن مرتبطا بالمفهوم الديني كما هو اليوم، فهذا المصطلح في معاجم اللغة يشمل عدة معاني كالإشارة والكتابة والرسالة والإلهام والكلام الخفي وكل ما ألقيته على غيرك، أما المعنى الديني فلا تشير إليه معاجم وموسوعات اللغة إلا بارتباطه بالقرآن، حتى سار رديفا له بعد نزوله[2].

قال **ابن فارس:** «الوحي: الإشارة، الوحي: الكتاب والرسالة، وكل ما ألقيته إلى غيرك حتى علمه فهو وحي كيف ما كان وأوحى الله تعالى ووحى»[3].

و كلمة الوحي كانت متداولة قبل البعثة ونجدها في بعض الأشعار:

يقول علقمة الفحل :

يوحي إليها بإنقاضٍ و نقنقة كما تراطن في أفدانها الروم

[1]- عبد المجيد شرفي، الإسلام بين الرسالة والتاريخ، دار الطليعة، بيروت، ط2، 2007، ص 17.

[2]- صابر مولاي أحمد، الوحي دراسة تحليلية للمفردة القرآنية، مؤسسة مؤمنون بلا حدود للنشر والتوزيع، الرباط، ط1، 2019، ص 33.

[3]- أحمد ستار الأعرجي وإيناس جاسم محمد الدروغي، شبهات المستشرقين حول الوحي القرآني، مجلة دراسات استشراقية، العدد 4، 2015، ص 14.

ويقول المرار بن منقذ:

و ترى منها رسوما قد عفت مثل خط اللام في وحي الزبر[1]

وكان العرب قبل البعثة يتصورون أن الشعر يتأتى لصاحبه من وحي الجن وهذا ما أكده الجاحظ فالعرب كانوا يعتقدون بأن لكل فَحل من فُحول الشعر جنا أو شيطانا يوحي له[2].

أما **ابن منظور** في لسان العرب فعرّف الوحي بأنه الإعلام في الخفاء وكلمة "وحي" هي مصدر الفعل "وحى"، وعندما نقول "وحى إلى فلان" نعني أنه أشار إليه أو أرسل إليه رسولاً. و"أوحى إليه أو وحى إليه كلاماً" تعني: كلمه سراً أو كلمه بما يخفيه عن غيره. و"أوحى الله في قلبه كذا" تعني: ألهمه إياه (المنجد في اللغة والإعلام، دار المشرق، بيروت). فإذاً الوحي يدور حول وصايا أو أفكار سرية أو رسل يرسلهم طرف آخر برسائل سرية لا يريد الراسل أن يطلع عليها بقية الناس، وإلا لأذاعها الراسل علناً»[3].

وحيت إليه وأوحيت إذا حدثته سرا ويتميز بالسرعة وقد يكون على أشكال متعددة كالرمز وقد يكون بصوت مجرد أو بإشارة بعض الجوارح. وهذا ما نجده عند الراغب الأصفهاني: «أصل الوحي الإشارة السريعة ولتضمن السرعة قيل "أمر وحي" للكلام على سبيل الرمز والتعريض وقد يكون بصوت مجرد عن التركيب وبإشارة بعض الجوارح وبالكتابة» وهو الإشارة السريعة على سبيل الرمز والتعريض وما جرى مجرى الإيماء والتنبيه على الشيء من غير أن يفصح به»[4].

وقد فصل **الجوهري في صحيحه** مصطلح الوحي لغويا فقال: «الإشارة والكتابة والرسالة والإلهام والكلام الخفيّ وكل ما ألقيته إلى غيرك. يقال وحيت إليه الكلام وأوحيت وهو أن تكلمه بكلام تخفيه، ويروى: أوحى لها، ووحى وأوحى أيضا، أي كتب، وأوحى الله

[1]- صابر مولاي أحمد، المرجع السابق، ص 34.
[2]- صابر مولاي أحمد، المرجع نفسه ، ص 34.
[3]- كامل النجار، نقد الفكر الديني. ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=110616&r=0
[4]- ستار الأعرجي وإيناس جاسم محمد الدروغي، شبهات المستشرقين حول الوحي القرآني، مجلة دراسات استشراقية، العدد 4، 2015، ص 14.

إلى أنبيائه. وأوحى أي أشار. قال تعالى: **(فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ أَنْ سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا)**[1]، ووحيت إليه بخير كذا أي أشرت وصوت به رويدا. والوحي: السريع يقال: موت وحيٌ»[2].

من خلال هذه التعاريف اللغوية نصل إلى أن للوحي خصائص هي: السرعة- الخفاء- الإشارة أو الإيماء- وبين الطرفين الموحي والموحى إليه رسالة.

أما طريقة الوحي فسوف نتناولها لاحقا.

ب- اصطلاحا:

كما ذكرنا في التعريف اللغوي فبعد البعثة ارتبط هذا المفهوم بالقرآن وبالجانب الإلهي. فأصبح هو ما أشار الله على أنبيائه ورسله، قال فريد وجدي: «إن الوحي لغة هو الإعلام في الخفاء ثم اصطلح على أنه تعليم الله لأنبيائه أمور الدين بواسطة الملائكة يرسلهم إليهم، وهو بهذا المعنى شامل وعام في أكثر الأديان السماوية: اليهودية، المسيحية، الإسلام»[3]، وهنا اشترط فريد وجدي بأنه يتم بالواسطة بين الله وأنبيائه وهم الملائكة.

بينما نجد بان مناع القطان لم يشترط الواسطة ما يستلزم أنه قد يكون مباشرا حينما عرفه هو كلام الله تعالى المنزل على نبي من الأنبياء إما بواسطة أو بغير واسطة[4].

بينما نجد أن ظاهرة الوحي عند محمد حسين علي الصغير بأنها هي عملية إرسال وتلقي بوقت واحد الأولى بواسطة ملك مؤتمن والثانية من قبل النبي خاتم الرسل وقد يسيطر على العملية شدة ودهشة مفاجئة[5]، فارتبطت عنده بالمفاجئة ولكنه حصرها في النبي محمد.

عبر عنه باللغة الفرنسية Révélation والتي تعني:

« Action de Dieu faisant connaitre aux hommes les vérités que leurs raisons ne saurait découvrir »[6].

---

[1]- سورة مريم، الآية 11.

[2]- الجوهري، الصحاح، ج6، تح: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، ط4 ،1987، ص 2519.

[3]- وجدي محمد فريد، دائرة معارف القرن 20، ج 10، دار الفكر، بيروت، 1971، ص707.

[4]- مناع القطان، مباحث في علوم القرآن، مكتبة وهبة،القاهرة، ط7، 1995، ص ص 31- 33.

[5]- محمد حسين علي الصغير، بحث حول تاريخ القرآن، جامعة المستنصرية، كلية الفقه، النجف الأشرف، ص 11.

[6]-Petit Larousse, Dictionnaire Encyclopédique, p p 804, 805 .

«فعل من الله لاطلاع الناس على الحقائق التي لا تستطيع عقول بلوغها»

« La manifestation d'une réalité qui restait jusqu'alors cachée absent ou inconnue »[1].

«إظهار حقيقة التي ظلت إلى ذلك الحين محجوبة وغامضة أو مجهولة».

جاء في تفسير كلمة الوحي في قاموس الكتاب المقدس المطبوع في المطبعة الأمريكانية في بيروت سنة 1894 ما نصه: «تستعمل هذه اللفظة للدلالة على النبوة خاصة بمدينة أو شعب... وعلى ذلك يقال أن كل كتاب هو موحى من الله».

والوحي بهذا المعنى هو حلول الله في الكتاب الملهمين وذلك على أنواع لإفادتهم بحقائق روحية أو حوادث مستقبلية لم يكن بإمكانهم التوصل إليها إلا به. فبرأي المسيحيين الله هو الذي أوحى للكتاب ليدوّنوا إرادته ويرشدون الناس إلى الخلاص[2].

3- أنواع استعمالات الوحي:

ذكرنا سابقا بأن الوحي يتطلب وجود طرفين الموحي والموحى إليه إضافة إلى الرسالة الخفية السريعة وكيفية الوحي:

- من الله إلى البشر العاديين أي غير الأنبياء على شكل الإلهام الفطري مثلما حدث مع أم موسى تقول الآية: **(وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ)**[3].
- من الله إلى الحيوان الإلهام الغريزي للحيوانات مثلما أوحى الله إلى النحل في الآية: **(وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ)**[4].
- من النبي إلى بني قومه على شكل إشارة سريعة في سبيل الرمز والإيماء سواء باليد أو كتاب كما في الآية: **(فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ أَنْ سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا)**[5] ويقصد هنا النبي زكريا.

---

[1]- Le coran et la révélation Judiou chrétienne, études comparées, p 211.

[2]- السيد محمد رشيد رضا، الوحي المحمدي، مؤسسة عز الدين للطباعة والنشر، بيروت، ط3، 1406هـ، ص 95 .

[3] - سورة القصص، الآية 7.

[4] - سورة النحل، الآية 68.

[5] - سورة مريم، الآية 11.

- من الله إلى الجماد مثلما في الآيات: **(إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا. وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا. وَقَالَ الْإِنْسَانُ مَا لَهَا. يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا. بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَى لَهَا)**[1].
- وهنالك الوحي الخاص بالأنبياء: **(وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِتُنْذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا وَتُنْذِرَ يَوْمَ الْجَمْعِ لَا رَيْبَ فِيهِ فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ)**[2].
- من الله إلى الملائكة على شكل أمر لينفذوه مستدلا بالآية: **(إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آَمَنُوا)**[3].
- من الشيطان للبشر على شكل وسوسة الشيطان كما في الآية:**(وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ)**[4].

وبالتالي هنالك عدة صور للوحي ولكن ما يهمنا هو الوحي الخاص بالأنبياء وبخاصة الوحي المحمدي.

أ- الوحي في القرآن:

ويمكن تلخيص المواضع التي ذكر فيها مصطلح الوحي في سبعة أوجه حسب بعض الباحثين وحتى علماء التفسير يذكرها الدكتور بليل عبد الكريم:

1) **الإرسال:** في قول الله :**(إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ...)**[5].
2) **الإشارة**: **(فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ أَنْ سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا)**[6]، والبيان فيما قبلها: **(قَالَ آَيَتُكَ أَلَّا أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَ لَيَالٍ سَوِيًّا)**[7]، **(قَالَ آَيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًا)**[8] والرمز الإشارة بالشفة والصوت الخفي.

[1] - سورة الزلزلة، الآيات 1-5.
[2] - سورة الشورى، الآية 7.
[3] - سورة الأنفال، الآية 12.
[4] - سورة الأنعام، الآية 121.
[5] - سورة النساء، الآية 163.
[6] - سورة مريم، الآية 11.
[7] - سورة مريم، الآية 10.
[8] - سورة آل عمران، الآية 41.

3) **الإلهام**: **(وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ)**[1]، قال الرازي: «يقال وحى وأوحى، وهو الإلهام والمراد من الإلهام أنه تعالى قرر في أنفسها هذه الأعمال العجيبة التي تعجز عنها العقلاء من البشر». **(وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ)**[2] هو إيقاع الشيء في القلب يطمئن له الصدر ويخص به بعض أصفيائه.

4) **الأمر**: **(يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا. بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَى لَهَا)**[3].

5) **القول والكلام المباشر** : **(فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى)**[4].

6) **الإعلام:** بالإلقاء في الروع وهو خاص بالأنبياء **(وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا)**[5].

7) **الوسوسة**[6] :**(يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا)**[7].

ب- الوحي عند محمد شحرور:

يرى بأن الوحي هو أحد أنواع المعرفة الخاصة، وهو في الأساس نقل المعلومات والأوامر والنواهي بعدة طرق عددها بالأشكال التالية:

1) **الوحي عن طريق البرمجة الذاتية:** وهي برمجة عضوية في الكائنات الحية أو الوظيفية في الظواهر الطبيعية وذلك عن طريق تخزين معلومات وأوامر في البنية الجينية للخلايا كقوله: **(وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ)**[8] أو في البنية الوظيفية للأشياء كقوله: **(فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَى فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا)**[9] وفي الآية: (يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا. بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَى لَهَا)[10] [11].

---

[1] - سورة النحل، الآية 68.
[2] - سورة القصص، الآية 7.
[3] - سورة الزلزلة، الآيتان 4-5.
[4] - سورة النجم، الآية 10.
[5] - سورة الشورى، الآية 51.
[6] -https://www.alukah.net/sharia/0/8045/
[7] سورة الأنعام، الآية 112.
[8] - سورة النحل، الآية 68.
[9] - سورة فصلت، الآية 12.
[10] - سورة الزلزلة، الآيتان4-5.
[11]- محمد شحرور، الكتاب و القرآن، ص 375.

2) **الوحي عن طريق التشخيص (صوت و صورة):** وسماه الوحي الفؤادي مثلما يحدث مع الأنبياء مستشهدا بمثال عليه في الآية: **(وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى قَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ فَمَا لَبِثَ أَنْ جَاءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ)**[1] [2].

3) **الوحي عن طريق توارد الخواطر:** وهو وارد حتى اليوم لكل البشر حينما ينشغل الإنسان بفكرة ما أو مشكلة ما تأتيه فكرة لم تكن ببباله كحل مثلما حدث مع نيوتن أو مع أم موسى[3].

4) **الوحي عن طريق المنام:** وهنا ميز بين الحلم والمنام فالأول يتصف بالفوضى وعدم الترابط وعدم التناسق بين الصور فتسمى أضغاث أحلام، بينما الثاني يعبر عن ظاهرتين عنده الأولى يختص بها الأنبياء بينما الثانية تكون بشرى وتتصف بالصدق مثلما حدث مع إبراهيم في الآية: **(فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ)**[4]، وسماه الوحي الصريح في المنام. بينما ذكر وحي غير غير صريح قابل للتأويل مثلما حدث في رؤية يوسف: **(إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ)**[5] [6].

5) **الوحي المجرد:** هو عنده أرقى أنواع الوحي وهو أن يأتي جبريل بدون آن يدرك بالحواس فيلتبس مع النبي ويسجل الموحاة بشكل مباشر في الدماغ (القلب)، هذا النوع من الوحي الأساسي الذي كان يأتي للنبي محمد الذي توهم البعض بأنه كان يغيب عن الوعي عندما كان يأتيه الوحي المجرد وقالوا أنه كانت تأتيه نوبات من الصرع لأن المريض بالصرع يصحو بعد النوبة كالمخبول أي لا يعلم ما حدث له بينما الرسول كانت تأتيه سور كاملة دفعة واحدة [7].

---

[1] - سورة هود، الآية 69.
[2]- محمد شحرور، الكتاب و القرآن، ص 376.
[3]- محمد شحرور، المرجع نفسه، ص ص 376-377.
[4] - سورة الصافات، الآية 102.
[5] - سورة يوسف، الآية 4.
[6]- محمد شحرور، المرجع السابق، ص 377.
[7]- محمد شحرور، المرجع نفسه، ص 383.

6) **الوحي الصوتي:** وهو شكل الوحي الذي جاء إلى موسى فقط بالإضافة إلى أشكال أخرى كالإلهام لذا فصل الوحي إلى موسى في آية وحدها: **(وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَرُسُلًا لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا)**[21].

ج- كيفيات الوحي المحمدي عند الفقهاء القدامى

ولكن المفكرين والفقهاء القدماء ردوا **كيفيات الوحي المحمدي** إلى سبعة نقاط حيث ذكرها ابن القيم:

- **الأولى:** الرؤيا الصادقة.
- **الثانية:** ما كان يلقيه الملك في روعه حيث أن النبي قال بأن الملك نفث في روعي.
- **الثالثة:** كان يتمثل الملك رجلا ويخاطبه مباشرة وفي بعض الأحيان يراه الصحابة.
- **الرابعة:** كان يأتيه مثل صلصلة الجرس وكان أشد أنواع الوحي عليه.
- **الخامسة:** يرى الملك في صورته الحقيقية ويذكر ابن القيم أنه حدث له مرتين.
- **السادسة:** ما أوحاه الله من فوق سبع سماوات ليلة المعراج من فرض الصلاة وغيرها.
- **السابعة:** كلمه الله مباشرة بلا واسطة[3].

بينما عند المفكرين المعاصرين نجد محمد شحرور الذي حدد أنواع الوحي على النبي محمد **أولهما الوحي المجرد:** حيث كان هذا النوع الأساسي للوحي المحمدي **أما ثانيهما** فهو الوحي الفؤادي حيث كانت بداية الوحي للنبي بداية فؤادية ولو بدا مجردا لما صدق النبي نفسه ولظن أنه يتوهم فكان هذا النوع من الوحي حسبه ضرورة بشرية لأن الحواس أساس

[1] - سورة النساء، الآية 164.
[2]- محمد شحرور، المرجع السابق، ص 384.
[3] -https://www.alukah.net/sharia/0/95177/

المعرفة فجاءه جبريل لأول مرة صوتا وصورة، وقد أوحيت له بالطريقة الفؤادية أوائل سورة العلق، وكان يأتيه جبريل أحيانا بصورة إنسان يراه هو والآخرون دون أن يغيب أحد عن الوعي لهذا توصل محمد شحرور إلى أن السبب الفؤادي هو ما جعل القران ينزل منجما وعلى دفعات ولم ينزل جملة واحدة ليثبت فؤاد النبي واستدل بالآية: **(وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا)**[1] [2].

ولكن رغم هذه الأنواع من الوحي ركز نولدكه على نوعين فقط مهملا بقية الأنواع ومن المؤكد أن مسألة الوحي وقيمتها في الرسالة المحمدية في غاية الأهمية ولكن رغم ذلك تبقى مسألة شخصية للموحى إليه لأن أصلها وميزتها السرعة والسرية، فلا يمكن الجزم بالكيفية الحقيقية ولكن ما يهمنا الآن هو محتوى الرسالة التي نقلها النبي محمد للبشرية جمعاء.

كما اعتقد بأن معظم الوحي كان ليلا ما برر له أن أغلب الوحي كان مجرد حلم ولكن الشواهد التاريخية الإسلامية وبخاصة علوم القرآن فصل في الوحي وأوقات وأماكن نزوله وفي حضره وسفره وما هو مكي وما هو مدني.

[1] - سورة الفرقان، الآية 32.
[2]- محمد شحرور، الكتاب و القرآن، ص ص 374-375.

المبحث الثاني: التنزيل وبداية الوحي والقرآن.

بعد عرضنا لمفهوم الوحي وأشكاله عند النبي محمد ننتقل إلى المرحلة الأهم وهي محتوى الوحي والرسالة الموحى بها أو تنزيل القرآن.

لقد ذكر نولدكه عند بداية الوحي بأن النبي أعلن بأنه يوحى إليه ونركز على مفهوم أعلن بحيث أنه في البداية كان مترددا أن لا يصدق أو قد يكون وهما ولكنه تشجع لإخراجه إلى العلن بعد ما أمر بذلك، لذا سنحاول استقراء التاريخ الإسلامي ونصوصه التاريخية لنتحرى الصدق والحقيقة من الخطأ في موقف نولدكه خاصة والمستشرقون بصفة عامة.

- عن أبي هريرة رضي الله عنه أن الرسول (ص) قال: «ما من الأنبياء نبي إلا أعطي من الآيات ما مثله أو من آمن عليه البشر وإنما كان الذي أوتيت وحيا أوحاه الله إلي فأرجو أني أكثرهم تابعا يوم القيامة»[1].
- يقول القرآن في مسألة نزول الوحي: **(وَبِالْحَقِّ أَنْزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ)**[2] ويقول: **(إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ)**[3].

من خلال هذين النصين الدينيين يتضح بأن الوحي المحمدي نزل أو منزل وهو نفس ما تبناه نولدكه حيث يقول: «تختلف السور فيما بينها في الطول اختلافا كبيرا وتتأرجح الروايات بشدة حول هذه المسألة، شأنها في ذلك شأن كثير سواها بعضها يزعم أن النبي تقبل القرآن آية آية وحرفا حرفا باستثناء سورة التوبة 9 وسورة يوسف 12 اللتين **نزلت** كل منهما عليه جملة واحدة، وبحسب روايات أخرى **نزلت** كل مرة آية أو آيتان... وبحسب روايات أخرى **نزلت** كل خمس آيات دفعة واحدة. يضاف إلى ذلك أنه يقال عن بعض السور أنها نزلت بأكملها من السماء جملة واحدة كسورة الأنعام وغيرها»[4]. وبعد عرض هذه الروايات أوضح موقفه من ترابط الآيات والسور قائلا: «إذا قرأنا القرآن بتجرد اكتشفنا أن العديد من

[1]- أبو الفداء عماد الدين إسماعيل ابن الكثير، فضائل القرآن، مكتبة ابن تيمية، دار ماجد عسيري، جدة، ط1، 1416هـ، ص 41.

[2] - سورة الإسراء، الآية 105.

[3] - سورة، الآية القدر 1.

[4]- تيودور نولدكه ، تاريخ القرآن، ص ص 25-26.

الآيات مترابط وأن عدد الآيات التي نزلت دفعة واحدة وافر جدا بلا شك... بعض السور منسق تنسيقا حسنا وليست له فقط بداية جيدة بل أيضا خاتمة مناسبة، خطاب القرآن يقفز على العموم كثيرا من موضع لآخر إلى درجة أن ترابط المعاني بعضها ببعض لا يتجلى دائما للعيان»[1]. استنادا على هذين النصين للمستشرق تيودور نولدكه نجد بأن موقفه انشطر إلى شقين الأول نقدي للروايات الإسلامية التي تختلف في حجم الآيات والسور المنزلة على النبي محمد أما الشق الثاني فهو موقفه من الانسجام داخل النص القرآني أو بتعبير أدق في المصحف العثماني، ولكن ما اتفق عليه ضمنيا أن القرآن نزل، أو منزل وهذا التنزيل لم يتم دفعة واحدة بل منجما وكان يلقيه النبي على أصحابه فكان مفرقا في مصاحف، وهذه النقطة سنتطرق إليها في بحثنا هذا بالتفصيل في موضع آخر، ونريد الآن أن نستقصي عن النزول والتنزيل القرآني أو للوحي المحمدي فما المقصود بالنزول؟

1- مفهوم النزول:

أ- تعريفه

النزول: الحلول، المنزل، النزول وهو الحلول تقول نزلت نزولا ومنزلا. وتنزل: نزل في مهلة.

والتنزيل: الترتيب، والتنزل: النزول في مهلة، ويقال: نزلت عن الأمر إذ تركته، كأنك كنت مستعليا عليه، ونزل من علو إلى أسفل: انحدر.

قال الجوهري جنات الفردوس نزلا مصدر، قال الأخفش هو من نزول الناس بعضهم على بعض. يقال: ما وجدنا عندكم نزولا[2].

النزول في اللغة واستعمالاتها يراد به: على حد تعبير الزرقاني في مناهل العرفان: «الحلول في مكان والأوي به ومنه قولهم "نزل الأمير بالمدينة" والمتعدي منه وهو الإنزال

[1]- تيودور نولدكه، تاريخ القرآن، ص ص 25-26.

[2]- ابن منظور الإفريقي، جمال الدين، لسان العرب، مادة (تنزل)، ج 11، دار الفكر، بيروت، ط1، 1990، ص 656./ المعجم الوسيط، ص910/ القاموس المحيط للفيروزآبادي، ص1602.

يكون معناه إحلال الغير في مكان وإيواءه به ومنه قوله جل ذكره: (وَقُلْ رَبِّ أَنْزِلْنِي مُنْزَلًا مُبَارَكًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ). ويطلق الإنزال إطلاقا آخر في اللغة على انحدار الشيء من العلو إلى سفل نحو ذلك قوله: "نزل فلان من الجبل" والمتعدي منه يكون معناه تحريك الشيء من علو إلى سفل ومنه قوله عز و جل: **(وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً)**[1]، ويردف الزرقاني بأن كلا المعنيين لا يليق إيرادته هنا في إنزال الله للقرآن لما يلزم هذين المعنيين من المكانية والجسمية، لذا فهو يعتقد بأننا بحاجة إلى التجوز فالمجاز باعتقاده مجاله واسع وبابه فسيح ليكون المعنى المجازي لإنزال القرآن هو الإعلام في جميع إطلاقاته[2].

فإنزال القرآن حسب الزرقاني معناه الإعلام به بواسطة ما يدل به من النقوش بالنسبة لإنزاله في اللوح المحفوظ وفي بيت العزة من السماء الدنيا وبواسطة ما يدل عليه من الألفاظ الحقيقية بالنسبة لإنزاله على قلب الرسول، والعلاقة بين المعنى الحقيقي والمعنى المجازي هي اللزوم لأن إنزال شيء إلى شيء يستلزم حسبه إعلام من أنزل إليه ذلك الشيء به إن كان عاقلا ويستلزم إعلام من يطلع عليه من الخلق به مطلقا وبالتالي توصل إلى أن المجاز مرسل[3].

وجاء في القرآن قوله: **(وَبِالْحَقِّ أَنْزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ)**[4].

كما في الآية: **(وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ. نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ)**[5].

وفي الآية: **(إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ تَنْزِيلًا)**[6].

وفرّق محمد شحرور بين كلمة إنزال وتنزيل، يرى بأن الفرق بينهما هو مفتاح فهم الكتاب وتأويله وربطه بمفهومي البلاغ والتبليغ.

---

[1]- سورة البقرة، الآية 22.

[2]- محمد عبد العظيم الزرقاني، مناهل العرفان في علوم القرآن، ج1، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاؤه، القاهرة، ط3، ص ص 39 - 44.

[3]- محمد عبد العظيم الزرقاني، المرجع نفسه، ص ص 39 - 44.

[4]- سورة الإسراء، الآية 105.

[5]- سورة الشعراء، الآيتان 192-193.

[6]- سورة الإنسان، الآية 23.

- فالتنزيل: هو عملية نقل موضوعي خارج الوعي الإنساني.
- والإنزال: هو عملية نقل المادة المنقولة خارج الوعي الانساني من غير المدرك إلى المدرك، أي دخلت مجال المعرفة الانسانية[1].

من خلال النص القرآني يتضح لنا بأن القرآن نزل على النبي محمد الذي اصطفاه الله لهذه الرسالة لذا سنحاول الإجابة في هذا العنصر على أسئلة أساسية: ما هي مراحل النزول وما مدته وكيفيته؟

ب- تنزيلات القرآن:

اختلف المفكرون المسلمون و المستشرقون حول مراحل النزول وعددها إلى رأيين:

- **الرأي الأول:** يؤكد البعض بأنها **ثلاث تنزيلات** ومن بين هؤلاء نجد الزرقاني الذي قال في تنزيل القرآن: شرف الله هذا القرآن بأن جعل له ثلاثة تنزيلات وعددها كالتالي:

- **التنزيل الأول:** في لوح محفوظ لقوله عز وجل: **(بَلْ هُوَ قُرْآَنٌ مَجِيدٌ. فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ)**[2]، وكان هذا الوجود في اللوح بطريقة وفي وقت لا يعلمها إلا الله تعالى ومن أطلعه على غيبه، وكان جملة لا مفرقا...، ولأن أسرار تنجيم القرآن الكريم على النبي صلى الله عليه وسلم لا يعقل تحققها في هذا التنزيل... والحكمة من هذا النزول هي الحكمة من وجود اللوح نفسه وإقامته سجلا جامعا لكل ما قضى الله وقدر»[3].
- **التنزيل الثاني:** كان إلى بيت العزة في السماء الدنيا لقوله عز وجل: **(حم. وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ. إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ)**[4] وقوله: **(إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ**

[1]- محمد شحرور، المرجع السابق، ص ص 145-147.
[2]- سورة البروج، الآيتان 21-22.
[3]- محمد عبد العظيم الزرقاني، مناهل العرفان في علوم القرآن، ص ص 39 - 44.
[4]- سورة الدخان، الآيات 1-3.

الْقَدْرِ) أي أنه نزل جملة واحدة في وقت واحد، كما استدل الزرقاني على موقفه من خلال أربعة أحاديث نبوية نذكر منها:

1) أخرج الحاكم وابن أبي شيبة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: فصل القرآن من الذكر فوضع في بيت العزة من السماء الدنيا فجعل جبريل ينزل به على النبي.

2) أخرج النسائي عن عكرمة عن ابن عباس قال (أنزل القرآن في ليلة واحدة إلى السماء الدنيا ليلة القدر، ثم أنزل بعد ذلك بعشرين سنة، ثم قرأ **(وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا)**[1].

3) وأخرج ابن مردوية والبيهقي عن ابن عباس أنه سأله عطية بن الأسود فقال: «وقع في قلبي شك في قوله تعالى: **(شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ)**[2] وقوله **(إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ)**[3] وهذا أنزل في شوال وفي ذي القعدة وفي ذي الحجة وفي محرم وصفر وشهر ربيع فقال ابن عباس: «إنه أنزل في رمضان في ليلة القدر جملة واحدة ثم أنزل على مواقع النجوم رسلا في الشهور والأيام».

- **التنزيل الثالث:** نزول جبريل ليبلغ النبي الوحي، يقول الزرقاني أن هذا هو واسطة عقد التنزيلات لأنه المرحلة الأخيرة التي منها شع النور الى العالم ووصلت هداية الله إلى الخلق. وكان هذا النزول عن طريق أمين الوحي جبريل يهبط به على قلب النبي[4]. و دليله في ذلك قوله تعالى: **(نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ. عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ. بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ)**[5].

---

[1]- سورة الفرقان، الآية 33.
[2] - سورة البقرة، الآية 185.
[3] - سورة القدر، الآية 1.
[4]- محمد عبد العظيم الزرقاني، المرجع السابق، ص 41.
[5]- سورة الشعراء، الآيات 193-195.

أما الذي قام بمهمة التنزيل من بيت العزة إلى النبي محمد فهو الملك جبريل وهذا حسب نص الآية: **(قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ آَمَنُوا وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ)**[1]. وتسمية الملك جبريل لم تذكر في السور المكية بل في السور المدنية وسنتناول هذه النقطة في عنصر آخر من البحث.

- **الرأي الثاني:** بينما يعتقد فريق آخر بأن التنزيل تم بمرحلتين فقط الأولى أنه نزل مرة واحدة دفعة واحدة أما النزول الثاني فقد كان مفرقا مفصلا. وهذا ما اعتقده بعض المستشرقين وعلى رأسهم نولدكه الذي اعتبر بان الله أنزل القرآن كله أولا إلى السماء الدنيا السفلى، فنقل الملاك إلى النبي القطع متفرقة بحسب الحاجة... التصورات الآلية للوحي ليست خواطر عبثية بل تقوم على معرفة للتراث اليهودي ـ المسيحي الذي تلعب فيه الكتب التي كتبها الله بيده فنزلت من السماء وأحضرها الملائكة دورا كبيراً»[2] في ترسيخ الوحي.

وكعصارة لهذه الفكرة نرى ما يراه الزركشي حيث أكد بأن أغلبية المنشغلين بالتنزيل القرآني اتفقوا على أن القرآن نزل دفعة واحدة ليلة القدر ثم نزل منجما في عشرين سنة أو في ثلاث وعشرين على حسب الاختلاف في مدة إقامة النبي بمكة[3]. مستدلا بالآية: **(شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآَنُ)**[4].

ولا يفوتنا في هذا المقام الإشارة إلى موقف محمد باقر الصدر في بيان وتفسير الآية: **(كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آَيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ)**[5] الذي أكد بأنه يشير إلى وجود مرحلتين أولهما: إحكام الآيات والثانية تفصيلها، فالأول كان التنزيل مرة واحدة على سبيل الإجمال وهي مرحلة الإحكام دون الإنزال الثاني تفصيلا تدريجيا وهي مرحلة التفصيل[6].

---

[1]- سورة النحل، الآية 102.
[2]- تيودور نولدكه، تاريخ القرآن، ص 73.
[3]- بدر الدين الزركشي، البرهان في علوم القرآن، تح: أبو الفضل الطمياطي، دار الحديث، القاهرة، 2006، ص 228.
[4]- سورة البقرة، الآية 185.
[5]- سورة هود، الآية 01.
[6]- الحكيم محمد باقر، علوم القرآن، مجمع الفكر الإسلامي، 1417هـ، ط3، ص 28.

وهو نفس ما أكده محمد سالم محيسن الذي يرى بأن نزول الوحي مر بمرحلتين نزوله من اللوح المحفوظ إلى بيت العزة في السماء الدنيا، وأن كيفية وجوده في اللوح المحفوظ برأيه هي من المسائل الغيبية التي لا يمكن للعقل البشري بلوغها ولا إدراكها لأنه قاصر ومحدود أمام قدرة الله وهذا النزول الأولي تم جملة واحدة في ليلة القدر التي وصفها القرآن نفسه بأنها ليلة مباركة تقول الآية: **(إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ)**[1] والآية: **(إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنْذِرِينَ)**[2].

أما النزول الثاني وكان تدريجيا بهدف تثبيت وتقوية قلب النبي، تنوير الأمة وعلى حسب الحاجة والمقتضيات والأحداث والوقائع التي دعت لنزول الآية ومسايرة الحوادث والطوارئ[3]، مستدلا بالآية: **(وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلًا)**[4]

قال تعالى: **(نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ)**[5].

كما يذكر الزرقاني أنه روي عن مقسم قال: سأل عطية بن الأسود بن عباس فقال: إنه قد وقع في قلبي الشك في قوله تعالى: **(شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ)** وقوله **(إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ)** وقد أنزل في شوال، ذي القعدة، وذي الحجة ومحرم وشهر ربيع الأول. فقال ابن عباس: في رمضان وفي ليلة القدر، جملة واحدة ثم أنزل على مواقع النجوم مرسلا في الشهور والأيام [6].

كما نجد في مراجع الشيعة بأن الكتب السماوية كلها نزلت في شهر رمضان لعظمته عند الله. وهذا فيلسوف الفقهاء فيض الكاشاني يذكر في المقدمة التاسعة المعنونة بـ نبذ ما جاء في زمان نزول القرآن و تحقيق ذلك: «روي في الكافي عن حفص بن غياث عن أبي عبد

[1]- سورة القدر، الآية 01.
[2]- سورة الدخان، الآية 03.
[3]- محمد سالم محيسن، تاريخ القرآن، ص ص 08-10.
[4]- سورة الإسراء، الآية 106.
[5]- سورة الشعراء، الآية 193.
[6]- محمد عبد العظيم الزرقاني، مناهل العرفان في علوم القرآن، ج1، دار الكتاب العربي، بيروت،1995م، ص 41.

الله ، قال سألته عن قوله تعالى: **(شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآَنُ)**[1] وإنما أنزل في عشرين سنة بين أوله وآخره؟ فقال أبو عبد الله عليه السلام «أنزل القرآن جملة واحدة في شهر رمضان في البيت المعمور، ثم نزل في طول عشرين سنة». ثم قال النبي: أنزلت صحف إبراهيم في أوّل ليلة من شهر رمضان، أنزلت التوراة لست مضين من رمضان، والإنجيل لثلاث عشرة خلت منه، والزبور لثمان عشرة خلت منه، والقرآن في ليلة ثلاث وعشرين من شهر رمضان[2].

ومنه نصل إلى أن القرآن نزل منجما في ثلاث وعشرين سنة أو عشرين حسب الاعتقاد خلال مدة بعث الرسول، موزعا على الحوادث والوقائع. فما الحكمة من ذلك؟

تقول الآية: **(وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآَنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا)**[3].

ويذكر محمد سالم محيسن بعض الحكم من نزوله منجما:

- الأولى: لتثبيت النبي مستدلا بالآية: **(لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ)** حيث كان ينشرح صدر الرسول بنزول الوحي وكان يقنط حين انقطاعه - وسنفصل في هذا لاحقا- وذلك من خلال شعوره بالعناية الإلهية.
- الثانية: في التنجيم تيسير للحفظ ومعرفة الأحكام لكل آية.
- الثالثة: كان يتحدى حسبه المشركين أن يأتوا بسورة من مثله بل بآية من مثله.
- الرابعة: التدرج في الواجبات والأحكام وفي التشريع لأن الناس كانت تسير وفق عادات وتقاليد لعصور ليس يسيرا تقبلهم لأفكار جديدة وأحكام وحدود جديدة كشرب الخمر مثلا وأكل الربا.

[1] - سورة البقرة، الآية 185.
[2] - ملا محسن فيض الكاشاني، تفسير الصافي، ج 1، ص 56.
[3] - سورة الفرقان، الآية 32.

- الخامسة: ليست لتثبيت قلب النبي فقط بل حتى أتباعه من المؤمنين مستدلا بالآية: **(وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آَمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ)**[1].
- السادسة: مسايرة الحوادث والوقائع وإجابة تساؤلات المؤمنين التي كانوا يطرحونها على النبي[2]، كقول الآية: **(وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا)**[3] و**(وَيَسْأَلُونَكَ عَنْ ذِي الْقَرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُو عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْرًا)**[4].

2- مدة نزول الوحي على النبي محمد:

يتفق جميع المؤرخين والباحثين أن القرآن منه ما هو مكي ومنه ما هو مدني أي ما قبل الهجرة وما بعدها، والشائع عندنا أن الرسول مكث في مكة ثلاث عشر سنة وفي المدينة عشر، ولكن هنالك بعض الروايات التاريخية التي تعتقد بأن الرسول مكث عشرا فقط في مكة. يقول البخاري في كيفية نزول الوحي: حدثنا عبيد الله بن موسى عن شيبان عن يحي عن أبي سلمة قال: «أخبرتني عائشة وابن عباس قالا: لبث النبي بمكة **عشر** سنين ينزل عليه القرآن وبالمدينة **عشر**»[5].

وقال أبو عبيد القاسم ابن سلام: حدثنا يزيد عن داود عن أبي هند عن عكرمة عن ابن عباس قال: «أنزل القرآن جملة واحدة إلى سماء الدنيا في ليلة القدر ثم نزل بعد ذلك في **عشرين** سنة ثم قرأ: **(وَقُرْآَنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلًا)**»[6].

---

[1] - سورة النور، الآية 55.

[2]- محمد سالم محيسن، تاريخ القرآن، ص ص 08-10.

[3] - سورة الإسراء، الآية 85.

[4] - سورة الكهف، الآية 82.

[5]- أبو الفداء عماد الدين إسماعيل ابن الكثير، فضائل القرآن، مكتبة ابن تيمية، دار ماجد عسيري،جدة، ط1، 1416هـ، ص 33.

[6]- أبو الفداء عماد الدين إسماعيل ابن الكثير، المصدر نفسه، ص ص 35-36.

ولكن هذين النصين رغم أهميتهما في تحديد مدة النزول إلا أنهما شاذين لأن الكثير من النصوص تؤكد بأن الرسول بعث في الأربعين من العمر وتوفي في الثالثة والستين واتفق الجميع على إقامته في المدينة عشر سنين وبالتالي منطقيا تبقى ثلاث عشر سنة وربما لم تحسب فترة انقطاع الوحي التي سنتناولها لاحقا.

وهذه الفكرة نبه لها نولدكه أيضا في كتابه تاريخ القرآن بل أنه حتى ذكر بعض المصادر التي ترى بأن بعثته تمت وهو في عمر الثالثة والأربعين لكنه في الختام انحاز إلى الرأي الشائع في أنه بقي ثلاث عشر سنة في مكة[1].

وهنالك طرح هشام جعيط وجلال الربعي أيضا الذين شككا في تاريخ مولده كما ذكرنا سابقا وحتى في عمره ويؤكدان بأنه لم يبعث في الأربعين من العمر فهذا الرقم سحري كانت العرب تستخدمه كثيرا وليؤكد الربعي موقفه استدل بحجج نقلية من السيرة حيث ذكر الطبري في تاريخ الرسل والملوك: «ثم تكلم رسول الله فقال: يا بني عبد المطلب إني والله ما أعلم شابا في العرب جاء قومه بأفضل مما قد جئتكم به» كما ذكر البلاذري عن الزهري: «كان رسول الله إذا مر عليهم - أي كفار قريش- في مجالسهم يشيرون إليه ويقولون: غلام بني عبد المطلب يكَلمُ من السماء» فصفتي الشاب والغلام في هذين النصين لا يطلقان على من تجاوز الأربعين ونفس الفكرة نجدها عند هشام جعيط حينما قال: «رأيي أن محمدا بعث في الثلاثين أو قبل ذلك»[2].

فرغم التضارب الكبير الذي نجده في تحديد المدة الحقيقية التي عاشها الرسول في مكة ما يصعب التحديد الدقيق لمدة نزول الوحي لذا سنقول بأنها دامت بين العشرين والخامسة والعشرون سنة.

[1]- تيودور نولدكه، تاريخ القرآن، ص ص62-63.
[2]- تيودور نولدكه، المصدر نفسه، ص ص62-63.

أ- بداية نزول الوحي على النبي محمد:

يذكر المستشرقون بأن فترة العزلة في جبل النور وبالتحديد في غار حراء كان التفكير في صناعة دين جديد ولكن القرآن نفسه برأه من ذلك حينما قالت الآية: **(وَمَا كُنْتَ تَرْجُو أَنْ يُلْقَى إِلَيْكَ الْكِتَابُ إِلَّا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ ظَهِيرًا لِلْكَافِرِينَ)**[1]، حيث يذكر مالك بن نبي أن هذه الآية تبرئ النبيّ من هذه التهمة بل وتؤكد بأن النبي لم يتوقع أن يوحى إليه هذا ما يدفعنا إلى التساؤل **ما الغرض من هذا الاعتزال ؟**

إن الغرض الأساسي لهذا الاعتزال كما يذكر المفكر الياباني توشيهيكو إيزوتسو هو الصلاة اقتداءً بما كان يقوم به بعض المكيين الورعين على اعتزال الحياة اليومية وشؤونها مؤقتا لعدد من الأيام، وهو ما يعرف عندهم بالتحنث[2]. ولم يكن بالتالي الرسول محمد ينتظر الوحي، حسب الروايات الإسلامية الكلاسيكية بل كان يتأمل ويتعبد لأنه كان حنفيا. في حين أن المستشرقين يعتقدون بأنها مرحلة الإعداد للدين الجديد لأن مصدر القرآن كما ذكرنا عند أغلبهم هو النبي محمد وثقافته.

اختلفت كتب السيرة والحديث على بداية الوحي، فوجدنا أربع آراء سنذكرها متفرقة ثم نعلق عليها:

- **الرأي الأول:**

بداية الوحي وشكله الأول كان من خلال الرؤية الصادقة وهذه الطريقة في الوحي كما ذكرناها سابقا حدثت مع بعض الأنبياء قبل النبي محمد كالنبي إبراهيم الذي أوحي إليه في المنام بذبح ابنه والحديث الذي يثبت بأن بداية الوحي كانت برؤية صادقة حيث يروي البخاري في صحيحه: «حدثنا يحي بن بكير قال حدثنا الليث عن عقيل عن ابن شهاب عن عروة ابن الزبير عن عائشة أم المؤمنين أنها قالت: «أول ما بدئ به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوحي الرؤيا الصالحة في النوم فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح

[1] - سورة القصص، الآية 86.

[2]- توشيهيكو إيزوتسو، الله والإنسان في القرآن، ترجمة وتقديم: د.هلال محمد الجهاد، المنظمة العربية للترجمة، ط1، 2007، ص 234.

ثم حبب إليه الخلاء وكان يخلو بغار حراء فيتحنث فيه - وهو التعبد- الليالي ذوات العدد قبل أن ينزع إلى أهله ويتزود لذلك ثم يرجع إلى خديجة فيتزود لمثلها حتى جاءه الحق وهو بغار حراء فجاءه الملك فقال: "اقرأ" قال: "ما أنا بقارئ" فأخذني فغطني حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني فقال: "اقرأ" قلت "ما أنا بقارئ" فأخذني فغطني الثانية حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني فقال: "اقرأ" قلت "ما أنا بقارئ" فأخذني فغطني الثالثة ثم أرسلني فقال: **(اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ. خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ. اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ. الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ. عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ)**[1]. فرجع بها رسول الله صلى الله عليه وسلم يرجف فؤاده فدخل على خديجة بنت خويلد رضي الله عنها فقال: "زملوني زملوني" فزملوه حتى ذهب عنه الروع فقال لخديجة وأخبرها الخبر: "لقد خشيت على نفسي" فقالت خديجة كلا والله ما يخزيك الله أبدا إنك لتصل الرحم وتحمل الكل وتكسب المعدوم وتقري الضيف وتعين على نوائب الحق فانطلقت به خديجة حتى أتت به ورقة ابن نوفل بن أسد بن نوفل بن عم خديجة وكان امرءا تنصر في الجاهلية وكان يكتب الكتاب العبراني فيكتب من الإنجيل بالعبرانية ما شاء الله أن يكتب وكان شيخا كبيرا قد عمي فقالت له خديجة يا بن عم اسمع من ابن أخيك فقال له ورقة يا بن أخي ماذا ترى؟ فأخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم خبر ما رأى فقال له ورقة هذا الناموس الذي نزل الله على موسى يا ليتني فيها جذعا ليتني أكون حيا إذ يخرجك قومك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أو مخرجي هم" فقال نعم لم يأت رجل قط بمثل ما جئت به إلا عودي، وإن يدركني يومك أنصرك نصرا مؤزرا. ثم لم ينشب ورقة أن توفي، وفتر الوحي»[2].

وحديث آخر قال ابن إسحاق: حدثني وهب بن كيسان قال عبيد: «... حتى إذا كانت الليلة التي أكرمه الله فيها برسالته ورحم العباد بها جاءه جبريل عليه السلام بأمر الله تعالى، قال رسول الله (ص) فجاءني جبريل وأنا نائم بنمط من ديباج فيه كتاب فقال اقرأ قال قلت ما أقرأ؟ قال فاغتنى به حتى ظننت أنه الموت ثم أرسلني فقال اقرأ قال قلت ماذا أقرأ؟ قال فاغتنى به حتى ظننت أنه الموت ثم أرسلني فقال اقرأ قلت ماذا أقرأ؟ ما أقول ذلك إلا افتداء

[1]- سورة العلق، الآيات 1-5.

[2]- محمد بن اسماعيل البخاري، صحيح البخاري، دار ابن كثير، دمشق-بيروت،ط1، 2002 ، ص 7.

منه أن يعود لي بمثل ما صنع بي فقال: **(اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ. خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ. اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ. الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ. عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ)**[1] قال فقرأتها ثم انتهى فانصرف عني وهببت من نومي فكأنما كتبت في قلبي كتابا، قال فخرجت حتى إذا كنت في وسط من الجبل سمعت صوتا من السماء يقول يا محمد أنت رسول الله وأنا جبريل قال فرفعت رأسي إلى السماء أنظر فإذا جبريل في صورة رجل صاف قدميه في أفق السماء يقول: يا محمد أنت رسول الله وأنا جبريل قال: فوقفت أنظر إليه فما أتقدم وما أتأخر وجعلت أصرف وجهي عنه في آفاق السماء قال فلا أنظر في ناحية منها إلا رأيته كذلك»[2]. وهو ما ذهب إليه مالك بن نبي حيث يتفق مع هذا الطرح في أن هذه الآيات هي بداية الظاهرة القرآنية التي ستضم بين دفتيها الثلاثة والعشرون سنة الأخيرة من حياة الرسول[3].

وبالتالي من خلال هذه النصوص التاريخية تثبت بأن خمس الآيات الأولى من سورة العلق هي أول التنزيل القرآني فرجح مثلا أبو عبد الله الزنجاني أن أول ما نزل قوله تعالى **(اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ. خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ. اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ. الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ. عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ)**[4]. ويقول محمد حسين على الصغير في كتابه "تاريخ القرآن" أن سبب قولنا أن هذه الآية أول ما نزل على رسول الله والاطمئنان بذلك لأنه ناشئ من أمرين الأول تاريخي ومصدره إجماع المفسرين ورواة الأثر وأساطير علوم القرآن والثاني عقلي[5]، لكون أن القرآن أنزل على أمي ليبلغ الرسالة وكانت دعوة الفطرة، ولكننا أثبتنا سابقا أن المقصود بما أنا بقارئ لا يعني بأن النبي لا يعرف القراءة والكتابة.

لقد عارض المستشرق فايل أن تكون سورة العلق أول آية نزلت على النبي محمد لأن الآية برأيه تدل على أمر من الله لنبيه أن يتلو ما أوحي إليه سابقا[6] وهذا ما لم يوافقه فيه

[1] - سورة العلق، الآيات 1-5.
[2] - عبد الملك بن هشام، السيرة النبوية، ص ص 303-304.
[3] - مالك بن نبي، الظاهرة القرآنية، دار الفكر، دمشق، ط2، 1961، ص 126.
[4] - سورة العلق، الآيات 1-5.
[5] - محمد حسين على الصغير، تاريخ القرآن، ص ص 35-36.
[6] - تيودور نولدكة، تاريخ القرآن، ص 73.

نولدكه حيث رد عليه بالقول لأي سبب أمر الله النبي بواسطه تنزيل خاص بأن يتلو سورة كانت موجودة أصلا أو يقرأها[1].

«هو إرهاص بإيمان سيشع، وإشعار بإفاضات ستنتشر مصدرها تخالف وأدواتها القلم لارتياد المجهول واكتشاف المكنون والقرآن كتاب هداية وعلم»[2].

- **الرأي الثاني:**

في الصحيحين هنالك حديث عن جابر يثبت أن سورة المدثر هي أول ما نزل من القرآن: فعن أبي سلمة بن عبد الرحمان بن عوف أنه قال: سألت جابر بن عبد الله: أي القرآن أنزل قبل؟ فقال: **(يَاأَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ)** فقلت أو **(اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ)** فقال أحدثكم بما حدثنا به رسول الله (ص)، قال رسول الله (ص): «إني جاورت بحراء فلما قضيت جواري نزلت فاستنبطت الوادي (زاد في رواية) فنوديت فنظرت أمامي وخلفي وعن يميني وشمالي ثم نظرت إلى السماء فإذا هو (يعني جبريل) زاد في رواية جالس على العرش بين السماء والأرض، فأخذتني رجفة فأتيت خديجة فأمرتهم فدثروني فأنزل الله: **(يَاأَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ. قُمْ فَأَنْذِرْ)**.

وفي رواية أخرى: عن أبي سلمة عن جابر أيضا: «فبينما أنا أمشي إذ سمعت صوتا من السماء فرفعت بصري قبل السماء، فإذا الملك الذي جاءني بحراء قاعد على كرسي بين السماء والأرض فجئثت حتى هويت إلى الأرض فجئت أهلي فقلت زملوني زملوني فأنزل الله تعالى: **(يَاأَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ. قُمْ فَأَنْذِرْ. وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ. وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ. وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ)**.

هذين النصين التاريخيين يثبتان بأن أول ما نزل من القرآن هو خمس آيات الأولى من سورة المدثر.

[1]- تيودور نولدكة، المصدر السابق، ص74.
[2]- تيودور نولدكة، المصدر نفسه، ص 36.

- **الرأي الثالث:**

أول ما نزل هو سورة الفاتحة حيث روى البيهقي في الدلائل عن ميسرة عمر بن شرحبيل أن رسول الله (ص) قال لخديجة: «إني إذا خلوت وحدي سمعت نداءا فقد والله خشيت على نفسي أن يكون هذا أمرا» قالت معاذ الله ما كان الله ليفعل بك إنك لتؤدي الأمانة وتصل الرحم وتصدق الحديث فلما دخل أبو بكر ذكرت خديجة حديثه له وقالت: اذهب مع محمد إلى ورقة فانطلقا فقصا عليه فقال: «إذا خلوت وحدي سمعت نداءا خلفي يقول يا محمد يا محمد فأنطلق هاربا في الأفق» فقال: لا تفعل إذا أتاك فاثبت حتى تسمع ما يقول ثم ائتني فأخبرني فلما خلا ناداه: يا محمد قل **(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ.الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ)** حتى بلغ (وَلَاالضَّالِّينَ)[1]. ففاتحة الكتاب حسب هذا النص هي أول ما نزل من القرآن.

- **الرأي الرابع:**

يعتقد البعض بأن أول ما نزل قوله تعالى "بسم الله الرحمن الرحيم" فقد روى الواحدي عن عكرمة والحسن قالا: أول ما نزل من القران "بسم الله الرحمن الرحيم" فهو أول ما نزل من القرآن بمكة وأول سورة **(اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ)**[2] فهي مفتاح القرآن وأول ما كتب القلم في اللّوح المحفوظ، ولأن البسملة تسبق السورة إلا في حالة أن سورة نزلت بلا بسملة هي سورة التوبة وفي حالة نزلت ببسملتين في سورة النمل: **(إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ)**[3].

وكتعقيب على هذه الروايات التاريخية المتضاربة حاول المسلمون تبرير هذا التضارب التاريخي للنصوص بإيجاد رأي توفيقي بينها وقد حاول الكثير من المفسرين الجمع بين هذه الآراء ومنهم القاضي أبو بكر في الانتصار حيث يؤكد بأن أثبت الأقاويل **(اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ)** وتليها في القوة **(يَاأَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ)** فقال أن طريق الجمع بينهما هو أن أول ما نزل من

[1]- محمد عبد العظيم الزرقاني، المرجع السابق، ص 29؛ السيوطي جلال الدين، الإتقان في علوم القرآن، ج 1، دار ابن كثير، ط 3، دمشق، بيروت، 1996، ص 74.

[2]- علي بن سليمان العبيد، الوجيز في علوم القرآن العزيز، دار التدمرية، المملكة العربية السعودية، ط3، 2015، ص ص 67- 68.

[3]- سورة النمل، الآية 30.

الآيات هو (اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ) وأول ما نزل من أوامر التبليغ: **(يَاأَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ)** وأول ما نزل من السور هو سورة الفاتحة[1].

أما عن الرأي القائل بأن بسم الله الرحمان الرحيم فكل سور القرآن بدأت به وهو ليس بآية. وهذا ما أكده الكثير من الفقهاء.

لذا فلا يمكن الجزم قطعا بأي رأي ولكن من باب تغليب الرأي نرى بأن: **(اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ)** هي أول آية نزلت في القرآن.

ب- فتور الوحي:

اتفقت أغلب الكتب التاريخية أن الرسول محمد (ص) بعدما نزلت عليه أولى الآيات من السماء توقف الوحي وانقطع لفترة قاربت الثلاث سنوات حتى أن النبي شك بأن ما نزل عليه أنه كان وهما منه أو تصورا وخيالا، فحزن حزنا شديدا وقنط فكان يصعد شوامخ الجبال وغار حراء يبحث عن الملك الذي زاره من قبل وهذا ما نجده في حديث الزهري: عن عروة عن عائشة: «وفتر الوحي فترة حتى حزن رسول الله (ص) حزنا شديدا وغدا مرارا كي يتردى من شواهق الجبال وكلما أوفى بذورة ليلقى نفسه تبدى له جبريل فقال: يا محمد إنك رسول الله حقا، فيسكن لذلك جأشه وتقر نفسه فيرجع فإذا طالت عليه فترة الوحي غدا لمثل ذلك فإذا أوفى بذروة جبل تبدى له جبريل فقال مثل ذلك»[2].

وقد نفى مالك بن نبي أن يكون النبي محمد قد حاول الانتحار ولكنه شك فيما أنزل إليه يقول في كتابه الظاهرة القرآنية: «انتظر النبي زمنا طويلا أكثر من عامين قبل أن يرى مرة ثانية زائره الغريب ويسمع صوته لقد يئس منه وأخذ الشك يستولي مرة أخرى على نفسه التواقة إلى اليقين، فهو إما يعتقد أنه إما أن يكون قد خدع في جوارحه، وإما أن القدرة قد

[1]- السيوطي جلال الدين ، الإتقان في علوم القرآن، ص 74.

[2]- عمر بن إبراهيم رضوان، آراء المستشرقين حول القرآن وتفسيره، ج1، دار طيبة للنشر والتوزيع، الرياض، دط، دس، ص 402.

تخلت عنه... دعاء إلى صوت لا يجيب أو لا يريد أن يجيب فقد التزم الصمت خلال أكثر من عامين»[1].

3- آخر ما نزل من القرآن:

بعد الإطلاع على عديد المراجع اتضح لنا بأن الاختلاف حول أول ما نزل من القرآن ليس استثناءا بل أن آخر آية كانت كذلك محل خلاف وتعددت الآراء فيها، حيث يذكر محمد سالم محيسن أنه وجد فيها أحد عشر قولا ورأيا سنذكر بعضها بهدف بيان درجة الاختلاف:

- **الرأي الأول:** إن آخر ما نزل قول الله تعالى في سورة البقرة: **(وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ)**[2] أخرجه النسائي من طريق عكرمة عن ابن عباس وكذلك أخرج ابن أبي حاتم فقال: «آخر ما نزل من القرآن كله: **(وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ)** وعاش النبي (ص) بعد نزولها تسع ليال ثم مات لليلتين خلتا من ربيع الأول[3].
- **الرأي الثاني:** أخرج البخاري في صحيحه عن ابن عباس والبيهقي عن ابن عمر أن آخر ما نزل من القرآن قول الله: **(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ)**[4].
- **الرأي الثالث:** إن آخر ما نزل هو آية الدين في سورة البقرة أيضا قوله: **(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدَيْنٍ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى فَاكْتُبُوهُ)** إلى قوله سبحانه: **(وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ)** وهي أطول آية في القرآن، أخرج ابن جرير عن سعيد بن المسيب: «أنه بلغه أن أحدث القرآن عهدا بالعرش آية الدين»[5].

[1]- مالك بن نبي، الظاهرة القرآنية، ص ص126-127.
[2] - سورة البقرة، الآية 281.
[3]- محمد عبد العظيم الزرقاني، مناهل العرفان، ص 97.
[4]- مالك بن نبي، الظاهرة القرآنية، ص97.
[5]- مالك بن نبي، المرجع نفسه، ص97.

- **الرأي الرابع:** سورة النصر وهو المروي عن الإمام الصادق، وعن ابن عباس قال: آخر سورة نزلت النصر[1].
- **الرأي الخامس:** قال ابن واضح اليعقوبي[2]: وقد قيل إن آخر ما نزل عليه (ص): **(أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا)**»[3].
- **الرأي السادس:** وفي كتاب الإتقان في علوم القرآن للسيوطي نجد سورة البراءة. ولكي يهون القاضي أبي بكر الباقلاني من وقع هذا الاختلاف قال: «هذه الأقوال ليس في شيء منها ما رفع إلى النبي (ص) ويجوز أن يكون قاله قائله بضرب من الاجتهاد وتغليب الظن ويحتمل أن كلا منهم أخبر عن آخر ما سمع من النبي (ص) في اليوم الذي مات فيه أو قبل مرضه بقليل، وغيره سمع منه بعد ذلك وإن لم يسمعه هو، ويحتمل أيضا أن تنزل الآية التي هي آخر آية تلاها الرسول صلى الله عليه وسلم مع آيات نزلت معها فيأمر برسم آيات نزلت معها بعد رسم تلك فيظن أنه آخر ما نزل في الترتيب»[4].

فإذا كان هذا الاختلاف الكبير في تحديد أول وآخر ما نزل من القرآن فلنا أن نتصور نسبة التفاوت في مجموع السور والآيات التي يتكون منها القرآن.

[1]- حسين على حسين مطر الهاشمي، قراءة نقدية في تاريخ القرآن، دار الكفيل للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، 2014م، ص ص 298- 299.
[2]- حسين على حسين مطر الهاشمي، المرجع نفسه، ص 300.
[3]- محمد سالم محيسن، تاريخ القرآن، ص 32.
[4]- محمد سالم محيسن، المرجع نفسه، ص 97.

المبحث الثالث: مفهوم القرآن.

في البداية اعتقدت بأنه من اليسير تحديد مفهوم القرآن بالعودة إلى القواميس العربية منها والغربية، ولكن وجدنا صعوبة في الأمر نظرا لتداخله مع مفاهيم أخرى خاصة في الجانب الاصطلاحي يلزم ظبطها لمعرفة حدد كل مصطلح .

1- الجانب اللغوي:

1-1- الباحثين المسلمين:

القرآن مصدر مرادف للقراءة. قرأ يقرأ قرآنا. قال أبو عبيدة: «سمي القرآن لأنه يجمع السور فيضمها»[1]. فنجد الآية تقول: **(إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ. فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ)**[2] أي قراءته، قال ابن عباس: فإذا بيّناه لك بالقراءة فاعمل بما بيّنا لك... وأقرأه القرآن فهو مقرئ، وجمع القرئ قُرأة، والقُراء: الرجل المتنسك، و قد تقرأ، أي تنسك والجمع القراءون[3].

وقرأ الكتاب يقرؤه قراءة وقرآنا: أي تلاه وتتبع كلماته نظرا ونطق بها وتتبع كلماته ولم ينطق بها أي نطق بكلماته المكتوبة جهرا أو سرا[4].

كما نجد في الكثير من القواميس: القرآن: قرءا وقرآنا، فهو قارئ من قراءة وقراء وقارئين: ويقال صحيفة مقروءة ومقروة ومقرية وتقراء أي تفقه[5].

أما في لسان العرب لابن منظور فالأصل في هذه اللفظة الجمع وكل شيء جمعته فقد قرأته وسمي القرآن لأنه جمع القصص والأمر والنهي والوعد والوعيد والآيات والسور بعضها ببعض وهو مصدر كالغفران والكفران[6].

---

[1]- محمد علواش، مناهج تحليل الخطاب القرآني، صفحات للنشر والتوزيع، دبي، الإمارات العربية المتحدة، ط1، 2017، ص 32.
[2]- سورة القيامة، الآيتان 18/17.
[3]- محمد علواش، المرجع نفسه، ص 32.
[4]- المعجم الوسيط لإبراهيم مصطفى وآخرين، مجمع اللغة العربية، مكتبة الشروق الدولية، مصر، ط4، 1425هـ/2004م، ج2، ص 722.
[5]- مجد الدين محمد يعقوب الفيروزآبادي، القاموس المحيط، تحقيق: أنس محمد الشامي وزكريا جابر أحمد، مطبعة المدني، دار الحديث، القاهرة، 2008، ص 1298.
[6]- ابن منظور، لسان العرب، ص 128.

وهو نفس ما أكده الراغب الأصفهاني في قوله: والقراءة ضم الحروف والكلمات بعضها إلى بعض في الترتيل، وليس يقال ذلك لكل جمع. لا يقال قرأت القوم إذا جمعتهم، والقرآن في الأصل مصدر نحو كفران ورجحان[1].

بينما أرجع الطرابلسي في كتابه مجمع البيان في تفسير القرآن أن أصل لفظة القرآن هو القراءة ومصدر قرأت أي تلوت وهو المروي عن بن عباس، وقيل مصدر قرأت أي الجمع وكل شيء جمعته فقد قرأته. وسمي قرآنا لأنه جمع القصص، الأمر والنهي والوعد والوعيد، والآيات في السور بعضها إلى بعض[2].

وفي النص القرآني نجد أن هذه اللفظة تستخدم مجازا للدلالة على الصلاة فتقول الآية: (وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا)[3] نظرا لقيمة صلاة الفجر.

بينما استند الهادي خلفة في تعريفه للقرآن على صبحي صالح حينما عرفه القرآن لفظ مشتق وهو على وزن فُعلان وهو زنة وردت في المشتقات من أسماء المصادر مثل غفران وبهتان كما وردت زيادة النون في أسماء الأعلام مثل عثمان وحسان وعدنان. فاسم القرآن مشتقا كان أو علما يرتد حسبهما إلى القراءة مستدلين بأول نزول الوحي وطلب الملك جبريل من الرسول فعل القراءة: **(اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ)**... وهمزة القرآن أصلية ووزنه فُعلان ولذلك اتفق أكثر القراء على قراءة لفظة القرآن مهموزا حيثما وقع في التنزيل، ولم يخالفهم إلا ابن كثير الذي قرأه قُرَان على لغة تخفيف المهموز وهي لغة حجازية، كما ذهب البعض إلى لفظ القرآن هو قُران بوزن فُعال من فعل قَرَنَ بين الأشياء أي جمع بينها كون السور والآيات والحروف قرنت بعضها ببعض في الكتاب القرآني، بينما قدم الشافعي طرحا مخالفا حيث رفض أن يكون مصدر اللفظ الفعلين قرأ وقرن واعتقد بأنه اسم علم لهذا الكتاب المجيد فكما سميت التوراة توراة وسمي الزابور زابورا والإنجيل إنجيلا[4].

---

[1]- الراغب الأصفهاني، مفردات غريب القرآن، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت لبنان، ص 402.

[2]- الطبرسي، مجمع البيان في تفسير القرآن، ج1، دار العلوم للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت لبنان، 1426هـ/2005م، ط1، ص 13.

[3]- سورة الإسراء، الآية 78.

[4]- مهدي خلفة، القرآن الكريم من التنزيل إلى الترتيل، مجمع الأطرش لنشر وتوزيع الكتاب المختص، تونس، ط1، 2019، ص 47.

وقد وردت هذه اللفظة في الكتاب القرآني 67 مرة فصلها الهادي خلفة:

- معرفة في خمسين موضعا منها: **(شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآَنُ هُدًى لِلنَّاسِ)**[1].
- مرفوعا نكرة في ثلاثة مواضع منها : **(إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآَنٌ مُبِينٌ)**[2].
- ومنصوبا نكرة في عشرة مواضع منها : **(إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآَنًا عَرَبِيًّا)**[3].
- ومسبوقا بحرف الجر في ثلاث مواضع منها : **(قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا ائْتِ بِقُرْآَنٍ غَيْرِ هَذَا أَوْ بَدِّلْهُ)**[4].
- ومجرورا بالإضافة مرة واحدة هي: **(الر تِلْكَ آَيَاتُ الْكِتَابِ وَقُرْآَنٍ مُبِينٍ)**[5] [6].

وعليه نتوصل إلى أن لفظ القرآن يشمل الدلالات التالية:

- القراءة لفظا وإلقاءً.
- الجمع والضم.
- اسم علم لكتاب المسلمين مثل التوراة والزابور والانجيل.
- اسم مصدر من القراءة.

1-2- القرآن في دوائر المعارف الغربية:

أ- دائرة المعارف البريطانية:

القرآن المقدس هو كتاب المسلمين ويعده المؤمنون كلمة الحق من ربهم وأنه كتاب أوحى به إلى النبيّ محمد (ص) وجمع في كتاب بعد مماته، ويعتقدون أنه كتاب أزلي وأنه أوجد في لوح محفوظ، ومن المحتمل أن كلمة قرآن مشتقة من كلمة قرأ وهي كلمة سريانية في أصلها.

[1] - سورة البقرة، الآية 185.
[2] - سورة يس، الآية 69.
[3] - سورة يوسف، الآية 2.
[4] - سورة يونس، الآية 15.
[5] سورة الحجر، الآية 1.
[6] - مهدي خلفة، القرآن الكريم من التنزيل إلى الترتيل ، ص ص 46-47.

وقالت الموسوعة: «القرآن ينظر إليه كمرجع أساسي للفصل فى المسائل التي تتعلق بالأمور التشريعية... إنه لا مجال لتقليده... حيث أن هذا هو الجنون بعينه»[1].

ب-**دائرة المعارف الدولية Encyclopedia International:**

المصدر الصريح للرسالة التي يعتقد فيها محمد أنها أوحيت إليه من الله.

(The record of the explicit message, which Mohamed believed, had been given him by god)[2].

ج- دائرة معارف هارفرد العالمية Harvard World:

«القرآن هو الكتاب المقدس في دين الإسلام وهو بالنسبة للمسلمين ليس كتابا وحي مقدسا فحسب بل إنه كلام الله الحقيقي».

"Koran sacred scripture of the religion of Islam, to Muslims the book is not only divinely inspired but enshrines the actual word is of God"[3].

3-1- لفظ القرآن عند المستشرقين:

يرى كل من تيودور نولدكة ومونتجمري وات أن كلمة (قراء. قرآن) هما كلمات أدخلتهما المسيحية في شبه الجزيرة العربية[4]، يقول نولدكه: «ما يمكن اشتقاقه من اللغة الآرمية المسيحية (الفرقان بمعنى الخلاص)»[5]، فبحكم وجود بعض المسيحيين في جزيرة العرب وفيه تلميح إلى اقتباس النبيّ محمد لهذا اللفظ من المسيحية.

نرى بأن موقف نولدكه فيه وجهان فهو تارة يقول: «كلمة قرآن أو بتخفيف الهمزة "قُران" لا تعني مجرد مقطع مفرد من الوحي بل أيضا مقاطع عديدة أو كل المقاطع كما

[1]- فضل حسن عباس، قضايا قرآنية في الموسوعة البريطانية، دار البشير للنشر والتوزيع، عمان، 1987، ص 23.
[2]- Encyclopedia International, Graliercanada limited Canada, 1973, vol. 9, p 443.
[3]- Encyclopedia New York, London, 1973, vol. 13, P P 2317 -2318 .
[4]- مونتجمري وات، محمد في مكة، ص 83 .
[5]- تيودور نولدكه، تاريخ القرآن، ص 8.

تعني ذلك الكلمة اليهودية مقرا»[1]، ومن جهة أخرى يقول أيضا: «مصطلح القرآن لم يتطور داخل اللغة العربية من مصدر المشابه في المعنى، بل أن تكون الكلمة مأخوذة من الكلمة السريانية، ومطبقة في الوقت نفسه على وزن فُعلان»[2].

أما المستشرقان شيفالي وولهاوزن يجدان أنها كلمة مستعارة من العبرية قريانا keryna أو بالكسر kinyana فيحاول هذان المستشرقان توضيح تأثير اليهودية على مصادر تكوين شخصية النبي محمد، وهو ما ذهب إليه العديد من المستشرقين على غرار كيلر حيث يقول هذا الأخير: «أن أصل كلمة قرآن هو غير معلوم لنا بصورة أكيدة. لكن على ما يبدو هو مشتق من الفعل قرأ أو يقرأ» ويرجع أصلها إلى العبرية، ففي سياق متصل يقول المستشرق أ.ت ويلش: «إن معظم علماء الغرب قد قبلوا وجهة النظر التي طورها ف إسكوالي وآخرون والتي تذهب إلى أن لفظ القرآن مأخوذ من الكلمة السريانية قريانا (keryana) والتي تعني درسا في قراءة الكتاب المقدس كما هو مستعمل في الطقوس والشعائر النصرانية، ويؤيد الكاتب هذا الزعم بالإحالة إلى مخطوط سرياني قديم يرجع إلى القرن السادس ميلادي والموجود ضمن مخطوطات المتحف البريطاني بلندن، إلحاقي رقم: - 432، وهو تحت عنوان: keryana d-yom ba awata lection for the day of (supplications) والتي ترجمتها فصول مقتبسة من الكتاب المقدس لقراءتها بغرض الدعاء أو الابتهال أثناء تأدية الطقوس النصرانية[3].

وهو ما أكده أيضا المستشرق الفرنسي بلاشير فهذا المصطلح حسبه مستمد من أول سورة حيث يقول: «أن السور المنزلة الأولى التي افتتحت دعوة محمد تشمل على الأصل اللغوي للاسم القرآن بمعنى التلاوة ويمكن أن تكون لفظة القرآن مأخوذة من السريانية، التي يرد فيها لفظ مشابه جدا للمعنى»[4].

[1]- تيودور نولدكه، تاريخ القرآن، ص 67.
[2]- تيودور نولدكه، المصدر نفسه، ص 68.
[3]- محمد محمد أبو ليلة، القرآن من منظور استشراقي، دار النشر للجامعات، القاهرة، ط 1، 2002، ص 25.
[4]- بلاشير، القرآن نزوله تدوينه، ترجمته وتأثيره، رضا سعادة، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1974، ص 23.

ومن خلال هذا العرض لموقف بعض المستشرقين نرى بأنهم حاولوا ربط مصطلح القرآن إلى مصادر خارجية من العبرية أو السريانية ونرى بأنهم جانبوا الصواب وأخطئوا في هذا الطرح لأن كلمة كريانا تعني الدعاء ولكن القرآن لا تقتصر نصوصه على الدعاء بل هي جزء ليس بكثير فيه ونجد بأن كلمة قرآن عربية أصيلة سواءً من الفعل قرأ أو قرن.

وعليه فالمستشرقون برأينا حاولوا إثبات أن القرآن بكل ما يحتويه ما هو إلا نسخة جديدة من العهدين القديم والجديد في كل شيء حتى في الاسم، وهذا ما صرح به نولدكه حينما قال: «الإسلام هو الصيغة التي دخلت بها المسيحية إلى بلاد العرب كلها»[1].

2- الجانب الاصطلاحي:

عرفه مهدي خلفة: القرآن هو الاسم الذي جُعل علما على الوحي المنزل على محمد (ص) وهو جملة المكتوب في المصحف المشتمل على مائة وأربعة عشر سورة. كما أن الله تعالى لم يجعل له من قبل سميا، فلم يسبق أن أطلق على غيره قبله وهو أشهر أسمائه وأكثرها ورودا في آياته وأشهرها دورانا على ألسنة المسلمين سلفا وخلفا[2].

وقال عنه أيضا: هو الوحي العربي المتين وقد كُتب له من العناية به ما كفل به صيانته في حرز حريز وما جعله بنجوة من خوض العابثين وتلاعب المنحرفين، فهو لم ينقل كجميع الكتب كتابة وحدها ولا بالحفظ في الصدور وحده بل وافقت كتابته تواتر إسناده ولاءم إسناده المتواتر نقله الأمين الدقيق والحفظ المتين الرصين[3].

بينما عرّفه ابن تيمية: «هو كلام الله المتلو المقروء، ومن المشهور عن السلف: أن القرآن العزيز كلام الله غير مخلوق منه بدأ وإليه يعود»[4]، حيث فصل بأنه كلام الله وليس بمخلوق.

---

[1]- تيودور نولدكه، تاريخ القرآن، ص 8.

[2]- مهدي خلفة، القرآن الكريم من التنزيل إلى الترتيل، ص ص 47-48.

[3]- مهدي خلفة، المرجع نفسه، ص 47.

[4]- أحمد بن تيمية، مجموع الفتاوى، جمع وترتيب: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، المجلد06، ج2، مكتبة الملك فهد الوطنية، المملكة العربية السعودية، 1425هـ/2004م، ص 219.

بينما قال عنه أبو حامد الغزالي: «القرآن هو الكلام القائم بذات الله تعالى، وهو صفة قديمة من صفاته... وما نقل إلينا بين دفتي المصحف، على الأحرف السبعة المشهورة، نقلا متواترا»[1]. فتطرق بذلك الغزالي إلى أن التواتر هو سر صحته والضامن لأمانة نقله.

هو ما عبر عنه صراحة عبد القادر العودة حينما قال: «القرآن هو الكتاب المنزل على رسوله محمد والمدوّن بين دفتي المصحف المبدوء بسورة الفاتحة والمختوم بسورة الناس... وقد نقل إلينا بطريق التواتر كتابة ومشافهة، والتواتر يفيد الجزم والقطع بصحة المنقول»[2].

وهو نفس ما أكده الشوكاني أيضا فهو حسبه الكلام المنزّل على الرسول المكتوب في المصاحف المنقول إلينا نقلا متواترا[3].

كما نجد في الموسوعة العربية الميسرة نفس الطرح الكلاسيكي الشائع: «القرآن هو كتاب الله المنزل على محمد (ص) ومعجزته الكبرى يسمى: "الذكر" "الكتاب" نزل منجما في بضع وعشرون سنة حسب الحوادث والمناسبات...»[4].

فاتفق كلّ الأصوليين والفقهاء على أنه كلام الله القديم الغير محدث الذي نزل على الرسول محمد من طرف أمين الوحي جبريل، وهذا النص مطلق الصحة لأن مصدره الله ولأنه نُقل إلينا بالتواتر، وكل من يرى غير هذا الرأي فهو حسبهم خارج عن الدين زنديق. وقد سلم كل المسلمين لقرون بهذا الطرح الذي أغلق باب الاجتهاد وإعمال العقل في النص القرآني فاكتفى الفقهاء والمسلمون عموما باجترار ما قاله الأوائل بل حتى المسائل المستحدثة في هذا الزمان أصبحنا نبحث لها عن أجوبة من الماضي وهو ما سماه زكي نجيب محمود بسلطان الماضي على الحاضر. وهو ما تفطن إليه في المرحلة المعاصرة عدد من الباحثين والفلاسفة الذين تجرؤوا على دراسة النص القرآني التاريخي بموضوعية دون أحكام مسبقة

[1]- الإمام أبو حامد بن محمد الغزالي الطوسي، المستصفى، اعتناء: الشيخ الدكتور ناجي السويد،ج1، ص ص139-141.
[2]- عبد القادر عودة، التشريع الجنائي الإسلامي مقارنا بالقانون الوضعي، ج1، دار الكتاب العربي، بيروت، ص 165.
[3]- محمد بن علي الشوكاني، إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول، ط1، مطبعة السعادة، مصر،1327هـ، ص28 .
[4]- علي مولا وآخرون، الموسوعة العربية الميسرة، المجلد الرابع، المكتبة العصرية، صيدا لبنان، دط، دس، ص 2546.

وبإخضاعه للمناهج المعاصرة في البحث. ربما للمستشرقين فضل غير يسير في إثارة العقل العربي الإسلامي من خلال تساؤلاتهم حول قضايا تخص تراثنا.

3- أسماء القرآن الكريم:

وردت أسماء كثيرة للفظة القرآن في الكثير من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية، لذلك نجد أن العلماء قد اختلفوا في تحديد العدد الصحيح لأسماء القرآن. ومن بين هذه المسميات: "الفرقان، الذكر، الروح، الكتاب، كلام الله، الوحي". التي اعتقد البعض بأنها مردفات سنذكرها بالشرح ثم نقوم بالتحليل والتوضيح بأن هنالك فروق بينها.

أ- **الفرقان:** هو اسم من أسماء القرآن المشهورة وجاء هذا اللفظ في عدة مواضع أحيانا معرفا في ستة مواضع كالآيات التالية:

- **(تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا)**[1].
- والآية: **(وَإِذْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَالْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ)**[2].
- وفي الآية : **(وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى وَهَارُونَ الْفُرْقَانَ وَضِيَاءً وَذِكْرًا لِلْمُتَّقِينَ)**[3].

وورد نكرة منصوبا في موضع واحد في الآية:

- **(إِنْ تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا)**[4].

فلفظ فرقان على وزن فُعلان من الفعل فرق وحسب الفقهاء والمفسرين سمي بهذا الاسم لسببين: الأول لأنه نزل مفصلا منجما كقول الآية: **(وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلًا)**[5] بمعنى فصلناه وأحكمناه. وهنالك سورة من القرآن تسمى بهذا الاسم الفرقان من آياتها قال تعالى: **(لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً)**[6].

---

[1]- سورة الفرقان، الآية 01.
[2]- سورة البقرة، الآية 53.
[3]- سورة الأنبياء، الآية 48.
[4]- سورة الأنفال، الآية 29.
[5]- سورة الإسراء، الآية 106.
[6]- سورة الفرقان، الآية 32.

السبب الثاني: هو أن النص القرآني فرق بين الحق والباطل بين الحلال والحرام فأصبح القول الفصل. وسميت غزوة بدر بيوم الفرقان وهو نصر للمؤمنين وتفرقة بين الدين القويم والشرك المهين قال تعالى: **(لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً)**[1].

ب-**الذكر:**

نعني بالذكر التذكر. الذكر الولد أو الرجل. ذكر وذكير أي شهم، الذكر المذكر: نعني بها الولد الذكر. المذكار: الأرض تنبت ذكور العشب والمذكرة من النوق التي خلقها، وذكر الميت: بقاء اسمه جاريا بعد وفاته. والذكر: العلاء والشرف[2].

جاء على معان كثيرة... الموعظة، الشرف، اللوح المحفوظ، الشكر، التسبيح.

إن المسلم مطالب بذكر الله والتسبيح وقراءة القرآن فهو ينهى عن الفحشاء والمنكر والعادات السيئة. فيتذكر خالقه وفرائضه ونواهيه.

وقد ذكر في القرآن في عشرين موضعا منها الآيات التالية:

- **(وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ)**[3] بمعنى التسبيح.
- **(وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ)**[4]، والآية **(وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ)**[5]، بمعنى الشرف.
- **(وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ)**[6].
- قال تعالى: **(فَمَا لَهُمْ عَنِ التَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ)**[7] بمعنى الموعظة.
- **(إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ)**[8].

---

[1]- الهادي خلفة، القرآن من التنزيل إلى الترتيل، ص 48.
[2]- أبو الحسن أحمد بن فارس بن زكرياء، معجم مقاييس اللغة، دار الفكر، 1979م، ج2، ص 359.
[3]- سورة العنكبوت، الآية 45.
[4]- سورة الزخرف، الآية 44.
[5]- سورة الشرح، الآية 04.
[6]- سورة الذاريات، الآية 55.
[7]- سورة المدثر، الآية 49.
[8]- سورة الحجر، الآية 09.

- **(وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ)**[1]، بمعنى العمل
- قال تعالى **(فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ)**[2] بمعنى الطاعة.
- وقوله تعالى: **(حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ. فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالًا أَوْ رُكْبَانًا فَإِذَا أَمِنْتُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَمَا عَلَّمَكُمْ مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ)**[3]، **تَعْلَمُونَ)**[3]، بمعنى الصلاة.
- قال تعالى: **(فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ)**[4]. يعتقد البعض بأن المقصود المقصود هنا هم أهم العلم من المسلمين والبعض بأنهم أهل الكتب السابقة.

ج- **الكتاب:**

الكتاب مصدر واسم لما كتب مجموعا وجامعا للقصص والآيات والأحكام[5]. وأصل الكلمة اسم جنس مطلق معهود خص به الله قرآنه - حسب الهادي خلفة- وذكر بهذا المعنى لأن الله جعله جامعا للشريعة فهو كالتوراة لأنها كانت مكتوبة في زمن موسى عليه السلام وكالإنجيل الذي كتبه بعض حواريي عيسى عليه السلام... وقد ذكر القرآن بهذا اللفظ في الآية الأولى أو الثانية للكثير من السور كالبقرة وهود ويونس ويوسف والرعد وإبراهيم والحج والكهف والشعراء والنمل والقصص ولقمان[6]. ومن بين هذه الآيات نذكر:

- **(الم. ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ)**[7].
- **(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى...)**[8].
- **(الر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ وَقُرْآنٍ مُبِينٍ)**[9].

---

[1]- سورة البقرة، الآية 63.
[2]- سورة البقرة، الآية 152.
[3]- سورة البقرة، الآيتان 238-239.
[4]- سورة النحل، الآية 43.
[5]- ينظر: بدر الدين الزركشي ، البرهان في علوم القرآن، ج1، ص347.
[6]- الهادي خلفة، القرآن الكريم من التنزيل إلى الترتيل ، ص ص 48-49.
[7]- سورة البقرة، الآيتان 1-2.
[8]- سورة البقرة، الآية 178.
[9]- سورة الحجر، الآية 01.

- **(وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ مُصَدِّقُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنْذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا...)**[1].
- **(... وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ)**[2]، وجاء لفظ الكتاب بمعنى الإلزام.
- **(طس تِلْكَ آيَاتُ الْقُرْآنِ وَكِتَابٍ مُبِينٍ)**[3].

د- كلام الله:

ورد بهذا الاسم في أربعة مواضع، في الآيات التالية:

- **(وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ)**[4].
- **(وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ)**[5].
- **(وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ)**[6].
- **(وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ)**[7].

وقد شهد القرنان الثالث والرابع للهجرة صراعا فكريا حول مسألة خلق القرآن ومحدثيته من جهة وكلام الله وأقدميته من جهة أخرى، هذا الصراع الذي أنهته السلطة السياسية لصالح الحنابلة على حساب المعتزلة. ولكن الذي يهمنا الآن هو أنه اسم من أسماء القرآن.

ه- الوحي:

هو الطريقة التي تم نقل القرآن بها إلى محمد الرسول فكان أحد أسماءه. وقد ورد لفظ الوحي في القرآن الكريم في العديد من المرّات وسنفصل المقصود به في عنصر لاحق ولكن حينما قصد القرآن فوجدناه في الآيتين التاليتين:

---

[1]- سورة الأنعام، الآية 92.
[2]- سورة النحل،الآية 89.
[3]- سورة النمل، الآية 01.
[4]- سورة الأنعام، الآية 115.
[5]- سورة البقرة، الآية 75.
[6]- سورة الزخرف، الآية 28.
[7]- سورة التوبة، الآية 06.

- **(إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى)**[1].
- و**(قُلْ إِنَّمَا أُنْذِرُكُمْ بِالْوَحْيِ)**[2].

وبذلك نجد أن القرآن أخذ أسامي عديدة ومتنوعة اتفق عليها المسلمون لعصور.

ولكن: **هل فعلا هذه الأسماء هي مرادفات للقرآن؟**

انتقينا خمسة أسماء شائعة بين المسلمين بأنها مرادفة للقرآن على سبيل الذكر لا الحصر لأنه هنالك أسماء أخرى ملتبس معها مقرون بها كاللوح المحفوظ والسبع المثاني وأم الكتاب وله صفات كالنور وشفاء ورحمة وموعظة.

ولكن المتأمل في بعض الآيات يجد بأن النص القرآني نفسه لم يربط بين الكثير من هذه المرادفات فمثلا الآية: **(وَإِذْ آَتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَالْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ)**[3]. والآية: **(وَلَقَدْ (وَلَقَدْ آَتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآَنَ الْعَظِيمَ)**[4]. والآية: **(رَسُولٌ مِنَ اللَّهِ يَتْلُو صُحُفًا مُطَهَّرَةً)**[5].

بعد تأمل في هذه المفاهيم المذكورة سابقا نجد بأن لكل لفظة دلالتها وليس كما يرى الفقهاء وأغلب المفكرين المسلمين وعلى رأسهم الزرقاني في المناهل فهو ربط بينها وأكد بأنها مترادفات.

ولعل المفكر محمد شحرور هو أكثر من أسهب في البحث عن دلالة كل مفهوم إبستيمولوجيا فاجتهد إلى حد كبير في كتابه الذائع الصيت "الكتاب والقرآن"، فنظرا لأهميته سنحاول تتبع منطلقات المفكر محمد شحرور المنطقية لتوصيل الفكرة وحدود كل مصطلح: حيث فرّق في بداية بحثه بين النبوة التي هي حسبه مجموعة من المعلومات والأخبار التي

[1] - سورة النجم، الآية 4.
[2] - سورة الأنبياء، الآية 45.
[3] - سورة البقرة، الآية 53.
[4] - سورة الحجر، الآية 87.
[5] - سورة البينة، الآية 2.

أوحيت إلى النبيّ، بينما الرسالة هي حسبه مجموعة التشريعات والأوامر والنواهي التي أصدرها الرسول والدّين الإسلامي، فالنبوّة علوم والرسالة أحكام[1].

وفي هذا لم نتفق كليا معه في طرحه ولكن مسألة النبوة والرسالة ليست موضوعنا الآن لنستقصي عنها .

بدأ شحرور أولا بمفهوم **الكتاب** فهو حسبه حينما يذكر معرفا يقصد به القرآن ولكنه هو نفسه يحتوي على كتب فكل موضوع تناوله القرآن هو كتاب ككتاب الصلاة وكتاب الصوم... والكتاب نفسه يحتوي كتابين رئيسيين: كتاب النبوّة وكتاب الرسالة.

وقد استدل على ذلك من سورة آل عمران: **(هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ)**[2].

لذا قسم الآيات التي تتشكل منها سور النص القرآني إلى ثلاث أنواع:

- **أولا: الآيات المحكمات:** وهي تمثل الرسالة وهي التي سميت حسبه بأم الكتاب وهي تمثل الحلال والحرام.
- **ثانيا: الآيات المتشابهات:** هي التي سميت بالسبع المثاني وهي قابلة للتأويل وتخضع للعقل ونسبيته. وهي إخبارية عن قصص الأولين.
- **ثالثا: آيات لا محكمات ولا متشابهات:** وسميت بتفصيل الكتاب.

ثم رجع إلى الآية: **(الر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ وَقُرْآنٍ مُبِينٍ)**[3]. انطلاقا من هذه الآية لاحظ كيف عطفت (القرآن) على (الكتاب)، وفي لسان العرب لا تعطف إلا المتغايرات وقام بتفسير ذلك من خلال الآيات التالية:

[1]- محمد شحرور، الكتاب و القرآن، ص 35.
[2]- سورة آل عمران، الآية 07.
[3] - سورة الحجر، الآية 1.

- **(المر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ وَالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ)**[1].
- **(ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ)**[2].
- **(شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ)**[3] (البقرة 185).

فذكر الكتاب للمتقين والقرآن للناس أجمعين فالأول خاص والثاني عام.

أما المصطلح الثاني فهو (**الذكر**) فهو حسبه الصياغة اللغوية اللسانية للقرآن استدل على خلافهما من الآية: **(ص وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ)**[4] حيث أنهما مربوطان بـ "ذي" وهي مشابهة للآية: **(وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ)**[5] ففرعون شيء والأوتاد شيء آخر، فالذكر حسبه هو تحول القرآن إلى الصيغة اللغوية الإنسانية[6]. ثم أحيا بهذا التفريق مسألة أقدمية القرآن ومحدثيته فالقرآن قديم بينما الذكر محدث، وأهل الذكر هم أهل اللسان العربي حسبه.

أما المصطلح الثالث فهو (**الفرقان**) فسرد الآيات الستة التي ذكر فيها لفظ الفرقان:

- **(وَإِذْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَالْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ)**[7].
- **(شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ)**[8].
- **(وَأَنْزَلَ التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ. مِنْ قَبْلُ هُدًى لِلنَّاسِ وَأَنْزَلَ الْفُرْقَانَ)**[9].
- **(وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى وَهَارُونَ الْفُرْقَانَ وَضِيَاءً وَذِكْرًا لِلْمُتَّقِينَ)**[10].
- **(تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا)**[1].

---

[1] - سورة الرعد، الآية 1.
[2] - سورة البقرة، الآية 2.
[3] - سورة البقرة، الآية 185.
[4] سورة ص، الآية 1.
[5] - سورة الفجر، الآية 10.
[6] - محمد شحرور، الكتاب و القرآن، ص 62.
[7] - سورة البقرة، الآية 53.
[8] - سورة البقرة، الآية 185.
[9] - سورة آل عمران، الآيتان 3-4.
[10] - سورة الأنبياء، الآية 48.

- **(وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ)**[2].

فالفرقان غير الكتاب وغير القرآن لأنه من جهة جاء معطوفا معه فهما متغايران كما أن الفرقان الذي أنزل إلى موسى هو نفسه الذي أنزل إلى محمد النبي في رمضان، وهنا ربط شحرور بين وصايا القرآن والوصايا العشر في اليهودية وهي نفس الوصايا في المسيحية[3].

واستند في هذه المقارنة بين الوصايا العشر للنبي موسى وبين النص القرآني في سورة الأنعام: **(قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ. وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ. وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ)**[4].

فالفرقان حسبه يتضمن المعاملات الأخلاقية فهي إنسانية الصالحة لكل زمان ومكان منذ موسى إلى اليوم كالتوحيد لله وطاعة الوالدين والصدق والعدالة والابتعاد عن الفواحش وغيرها.

فرغم اجتهاد محمد شحرور إلا أن الملاحظ هو أنه ربما لم يدقق في الوصايا العشر للنبي موسى في سفر الخروج خاصة وفي بقية الأسفار لذا شبه هذه الأوامر والنواهي بها فرغم وجود بعض التقاطع بينها في بعض النقاط إلا أن هذه الوصايا فيها ما هو ذو بعد طقسي تعبدي ومنها ما هو أخلاقي سلوكي، وهذا ما تنبه له جلال الربعي في كتابه "من القرآن إلى المصحف" حيث يقول: «إن الوصايا العشر ذات البعد الأخلاقي ليست هي الوصايا الأولى التي دعا إليها موسى قومه ففي سفر الخروج نفسه نجد في الإصحاح

[1] - سورة الفرقان، الآية 1.
[2] - سورة البقرة، الآية 41.
[3] - محمد شحرور، الكتاب و القرآن، ص 65.
[4] - سورة الأنعام، الآيات 151-153.

الموسوم بفريضة الصفح وصايا فيها بعد طقسي (ذبح شاة ذكر ابن سنة)، وأخرى ذات بعد تحريمي (tabou) (عدم أكل الخبز مخمرا)...»[1].

قال الرب لموسى: «إن أخطأ أحد في حق الربو رفض أن يرد لصاحبه وديعة أو أمانة أو مسلوبا أو اغتصب منه شيئا أو عثر على شيء مفقود وأنكره أو حلف على خطيئة ارتكبها وهو آثم... يحضر إلى خيمة الاجتماع ذبيحة إثم كبشا سليما... ويأتي به إلى الكاهن فيكفّر عنه الكاهن أمام الرب فيغفر له الرب ذنبه الذي ارتكبه» (كتاب اللاويين، الإصحاح6)[2].

إضافة إلى محمد شحرور نجد من بين المفكرين المعاصرين الذين حاولوا تحديد الفرق بين أسماء القرآن عبد المجيد الشرفي في كتابه "الإسلام بين الرسالة والتاريخ" ويعتبر من أبرز من اهتم بهذه المهمة خاصة بين: الوحي- القرآن- الكتاب- الذكر- الفرقان:

أولا: الوحي.

حيث وضح بأنه تتداخل في الوحي عاملان أحدهما ذاتي يرجع إلى شخصية محمد الرسول كونه ابن بيئته والآخر موضوعي متمثل في الاستقرار النفسي والمادي، حيث يقول الشرفي: «وبذلك تفاعلت العوامل الذاتية والعوامل البيئية في تكوين شخصية محمد وفي اكتسابه تلك الثقة في النفس، وتلك القدرة على الإقناع وتلك العبقرية في تأليف القلوب واستقطاب الرجال التي ميزته، منذ أن جاهر بدعوته وكانت عاملا فاعلا في نجاحها رغم كل العقبات»[3]. حيث مهد بهذا للعامل الإنساني الداخلي في عملية الوحي واستشهد بتعريف محمد عبده له حينما قال: «الوحي عرفان يجده الشخص من نفسه، مع يقين بأنه من قبل الله بواسطة أو بغير واسطة» بمعنى أن هذا العرفان لا يأتي بين ليلة وضحاها بل ينضج بالتدرج نتيجة تداخل عوامل ثقافية وتاريخية ونفسية... فكان مهيأ للوحي[4]، ليصل إلى أن الوحي هو

[1]- جلال الربعي، من القرآن إلى المصحف، ص 26.
[2]- جلال الربعي، المرجع نفسه، ص 27.
[3]- عبد المجيد شرفي، الإسلام بين الرسالة والتاريخ، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، ط 2 ،2007، ص 33.
[4]- عبد المجيد شرفي، المرجع نفسه، ص 34.

كلام الله من حيث مصدره المتعالي وكلام البشر من حيث انتماءه إلى اللغة العربية المكتوب بها بين دفتي المصحف يقول الشرفي: «هو كلام الله من حيث مصدره وكلام البشر من حيث انتماءه إلى لغة بعينها وصياغته في ألفاظ وتراكيب يقتضيه معجم تلك اللغة ونحوها، وفي أطر فكرية مستمدة من ثقافة المتكلم الشخصية ومن الثقافة المتاحة في الوسط الذي يعيش فيه»[1]. ثم تطرق إلى كيفية وصل الوحي من جبريل بذكره بأن الشائع هو أن المنزل على الرسول هو اللفظ والمعنى معا ولكنه عارض هذا الطرح وأكد بأن المنزل على الرسول هو المعنى فقط وهو من عبر عنه باللّفظ واستشهد بموقف السيوطي في كتابه "الإتقان" حيث قال: «إن جبريل إنما نزل بالمعاني خاصة وأنه (صلعم) علم تلك المعاني وعبر عنها بلغة العرب» لذلك هو لم يفصل بين البعدين الإلهي والبشري في الوحي[2].

ثانيا: القرآن.

يمثل الخطاب النبوي الذي تم بصفة شفوية بلغة إنسانية عربية يقول شرفي: «الرسالة الشفوية التي بلغها الرسول إلى الجماعة التي عاصرته»[3]، وهو ما جعل النبي يكون لينا مع اللهجات أو ما يعرف بالأحرف السبعة التي عرفت فيما بعد أيضا بالقراءات.

ثالثا: الذكر.

يقول شرفي: «إن الذكر الذي وعد الله بحفظه هو المحتوى وليس الظرف»[4]، فمضمون الدعوة بما يحمله من تعاليم أخلاقية سلوكية إجرائية وطقوس العبادة وليس الكلام الذي دوّن عند الصحابة فيما وجد أمامهم من وسائل وأدوات الكتابة لذا فالإعجاز فيه هو مضمونه وليس لغته، والتاريخ الإلهي كما سنتناوله لاحقا يثبت بأن عثمان أحرق الكثير من المصاحف لأنه حافظ على المضمون وهذا ما فسّر به شرفي الآية: **(إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ)**[5].

---

[1]- عبد المجيد شرفي، الاسلام بين الرسالة و التاريخ، ص 36.

[2]- عبد المجيد شرفي، المرجع نفسه، ص 38.

[3]- عبد المجيد شرفي ،نفسه، ص 49.

[4]- نفسه، ص 50.

[5] - سورة الحجر، الآية 9.

رابعا: الكتاب.

لقد تعدد هذا اللفظ في القرآن كما ذكرنا سابقا ولكن شرفي ينفي أن يكون المقصود بالقرآن هو شيء مادي يمكن للإنسان لمسه وتصفحه بل هو المضمون الذي تتقاطع فيه كل الديانات فيما بينها وما أمر به الله كل أنبياءه بتبليغه، فقد أوتي موسى من قبل الكتاب وهذا دليل على أنه ليس القرآن هو الكتاب يقول شرفي: «هو المضمون الذي ارتأى الله تكليف الأنبياء بتبليغه إلى البشر»[1] فهو جامع القيم المشتركة بين الأنبياء.

خامسا: كلام الله.

قبل الخوض فيه ذكّر بالمعارك الطاحنة التي عرفها التاريخ الإسلامي بسبب القول بأنه كلام الله مخلوق أو غير مخلوق، وأرجع ذلك إلى قياس الغائب على الشاهد أي إسقاط البشري على المتعالي، لذا فهو يقول: «لتجنب المآزق التي يوقع فيها الخلط بين الحقائق الغيبية المجردة المتعالية والحقائق البشرية المحايثة... يحسن بنا أن لا نغفل عن الأسلوب الذي توخاه الوحي والذي يقوم على الرمز والمجاز والاستعارة والإشارة والتلميح وضرب الأمثال»[2]، مستشهدا بدليلين الأول من القرآن: **(قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا)**[3]، واستشهد بما أورده ليفيناس على لسان أحد أحبار اليهود: «لو كانت كل البحور مدادا وكل الغدران مزروعة أقلاما ولو كانت السماء والأرض قراطيس، ولو كان كل البشر يمارسون فن الكتابة لما استنفذوا التوراة التي حفظتها، بينما لا ينقص من التوراة ذاتها إلا بقدر ما تحمله ريشة القلم المغموس في البحر»[4].

فكان طرح عبد المجيد شرفي هو الأقرب من وجهة نظرنا إلى الصواب وهو من نراه قد توصل إلى حد كبير إلى الفرق بين القرآن والكتاب والوحي والفرقان والكلام الإلهي.

---

[1]- عبد المجيد شرفي، الاسلام بين الرسالة و التاريخ، ص 53.
[2]- عبد المجيد شرفي، المرجع نفسه، ص 49.
[3] - سورة الكهف، الآية 109.
[4]- عبد المجيد شرفي، المرجع السابق، ص 55.

خاتمة الفصل:

ما تعرضنا له في هذا الفصل هو أننا عملنا على خلق نوع من التوليف بين مفهوم الوحي والنزول والقرآن ذلك لأنهم يلتقون في شخص النبي والبيئة المكية لذلك قمنا بعملية مسح مفاهيمي لكل هده العناصر من أجل ضمان الوحدة والتسلسل في هذا السياق المتعلق بنزول الوحي القرآني على النبي في مكة .

هذه الثلاثية المفاهيمية ستساهم في تشكل الديانة الإسلامية في مكة بل ستتعدى الحدود التي تنتمي إليها وهنا كان تركيز نولدكه على الوحي وكيفية تعامل النبي معه وكيف كانت تأثيراته عليه مما جعلنا نركز على مفاهيم الوحي والنزول والقرآن وسبب تعمقنا في التعريفات كان من باب توضيح أهمية هذا العنصر الذي يعد بمثابة النقطة الأساسية في بحثنا بغية تحقيق التكامل والانسجام بين هذه العناصر وهذا بدوره يوصل إلى موضوع كيفية تجميع القرآن وصياغة المصحف باعتباره مرجع حافظ للقرآن المنزل عن طريق الوحي.

الفصل الثالث

جمع القرآن

الفصل الثالث: جمع القرآن

تمهيد.

المبحث الأول: جمع القرآن.

1- مفهوم الجمع.

2- من الوحي إلى المصاحف

3- هل الأحرف السبع هي القراءات السبع؟

المبحث الثاني: من المصاحف إلى المصحف

1- الرواية الشيعية.

2- جمع القرآن في عهد أبي بكر.

3- جمع القرآن في عهد عمر بن الخطاب.

خلاصة الفصل.

تمهيد:

هذا الفصل يلخص الظروف والسياقات التي تشكل فيها المصحف ككتاب مقدس للمسلمين يحمل في طياته الوحي المحمدي، أي إلى كلام الله المنزل على نبيه محمد في فترة 23 سنة قضاها بين مكة والمدينة حتى أن أصبحت سور القرآن مقسمة بين المكية والمدنية، وبناءا على هذا سيتكون المصحف لكي يصبح مرجعية قدسية للمسلمين يحتوي على النص القرآني، وقد كانت مسألة جمعه محض نقد تاريخي وتحري معرفي إبستيمولوجي من قبل المستشرقين بما فيهم نولدكه وحتى المؤرخين المسلمين، حيث بدأنا بضبط مفهوم الجمع وذكر مراحله، فتعددت الروايات حول جمعه، التطرق إلى الجدل الذي أثير حول الصحابة الذين أشرفوا على عملية جمعه، دون نسيان فترة حكم كل خليفة ومدى مساهمته في جمع القرآن بدءا من خلافة أبو بكر حتى خلافة عثمان وخطواته وهذه الخطوات كلها ستساعدنا في صياغة فصلنا الذي اخترنا له عنوان جمع النصوص القرآنية

المبحث الأول: جمع القرآن.

لم يصل النص القرآني إلينا في المصحف إلا بمروره على عدة محطات أساسية، بداية من الوحي الإلاهي المحمدي، هذا الوحي الذي لا يعرف شكل الرسالة الموحى بها وهي القرآن إلا صاحبها الذي هو النبي محمد، والتي نقلها إلى أصحابه وكتبة وحيه بلسان قريش العربي، وبما أنه لم يكن له كاتب محدد لما يوحى إليه فكان منطقيا أن يكون الوحي متفرقا عند كتبة الوحي خصوصا وعند عموم المسلمين الذين يحفظونه إما في الصدور للصلاة أو التدبر، أو يكون مكتوبا في صحف متفرقة، لذا بعد وفاة النبي كان لزاما على السلطة السياسية أن تتخذ موقفا صارما لجمع القرآن من المصاحف، فما المقصود بالجمع؟ و كيف تم جمع النصوص القرآنية؟

1- مفهوم الجمع:

يقول ابن منظور: «جمع الشيء عن تفرقة بجمعه جمعا وجمّعَه وأجمعه فاجتمع واجدمع... وجمعت الشيء إذا جِئت به من هاهنا وهاهنا»[1]، وقد استشهد بقول النبي: «أوتيت جوامع الكلم». وفسره ابن منظور بأن النبي كان يقصد القرآن.

أما في المعجم الوسيط نجد جمع المتفرق- جمعا: ضم بعضه إلى بعض وفي المثل: تجمعين خلابة وصدودا[2].

وهو نفس ما تطرق له الفيروزآبادي حينما عرّف الجمع بأنه تأليف المتفرق[3].

وقد ذكر في القرآن في عدة مواضع نذكر منها: **(وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَجَمَعْنَاهُمْ جَمْعًا)**[4].

---

[1]- ابن منظور، لسان العرب، ج7، دار المعارف، القاهرة، ط3، 1981، ص 678.
[2]- المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، ص ص134-135.
[3]- الفيروزابادي، القاموس المحيط، ص 293.
[4]- سورة الكهف، الآية 99 .

وكذلك في الآية: **(لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ. إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ)**[1].

كما نجد عند البعض بأن المراد بالجمع في القرآن أمران أحدهما حفظه واستظهاره في النفوس وثانيهما كتابته بعد جمعه من الصحابة والصحف الأخرى المكتوبة فيه من عهد الرسول إلى عهد الخليفة عثمان بن عفان[2].

كما ذكر بعض العلماء المسلمون عدة معاني لجمع القرآن، الأول جمعه وحفظه في الأذهان والصدور أي حفظه عن ظهر قلب وقد كانوا يطلقون على حفظة القرآن بجماع القرآن، والثاني تدوين القرآن وكتابته لكل مفرق الآيات والسور، والثالث تدوينه متسلسل الآيات ومرتب السور، والرابع نسخه على قراءة واحدة متواترة في مصحف موحد بغية توحيد القراءات[3].

- **الجمع بمعنى الحفظ في الصدور:**

ومنه جُمّاع القرآن أي حُفّاظه، ويستشهد القائلون بهذه المقاربة بما روى البخاري عن قتادة قال: «سألت أنس بن مالك رضي الله عنه ـ عمن جمع القرآن على عهد رسول الله قال: أربعة كلهم من الأنصار: أبي بن كعب، معاذ بن جبل، زيد بن ثابت وأبو زيد». فالنبي لم يمت إلا بعدما حفظ بعض من الصحابة القرآن كاملا والبعض الآخر حفظه متفرقا أو عرفوه وعلموا مواضع الآيات والسور. لقد كان أول من حفظ القرآن هو الرسول (ص)[4].

كما تذكر بعض الشواهد التاريخية بأن المسجد النبوي أصبح عامرا بتلاوة القرآن يضج بأصوات القراء، فأمرهم النبي أن يخفضوا أصواتهم لئلا يتغالطوا، حيث يذكر الزرقاني عن عبادة بن الصامت: «كان الرجل إذا هاجر دفعه النبي إلى رجل مما يعلمه القرآن، وكان يسمع لمسجد رسول الله ضجة بتلاوة القرآن، حتى أمرهم رسول الله أن

[1]- سورة القيامة، الآيتان 16-17.
[2]- ساسي سالم الحاج، نقد الخطاب الاستشراقي، ج 1، دار الكتب الوطنية، بنغازي، ليبيا، ط1، 2002، ص 314.
[3]- داود العطار، موجز علوم القرآن، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ط3، 1995، ص ص 153- 154.
[4]- السيد علي الشهرستاني، جمع القرآن، نقد الوثائق وعرض الحقائق، ج1، المركز الإسلامي للدراسات الإستراتيجية، دس، د ط، ص 219.

يخفضوا أصواتهم لئلا يتغالطوا»[1]. فانطلاقا من هذه الشواهد وغيرها تبيّن لأنصار هذا الطرح بأن القرآن كان مجموعا في الصدور وسنفصل في الأمر في عنصر لاحق.

- **الجمع بمعنى التدوين:**

رغم أن أغلب المسلمين لم يكونوا يحسنون القراءة والكتابة إلا أن بعضهم كان يكتب ما يمليه الرسول على ما توفر لديهم من أدوات الكتابة كالجلود والعظام فيدلهم النبي على مواضع السور وكذا مواضع الآيات في السور وأماكنها، واستشهد البعض بأن هذه العملية - التدوين - هي جمع للوحي.

- **أما عن المعنى الثالث:** جمع القرآن من الأدوات التي كتب فيها والتي كانت مفرقة في كتاب واحد.
- **جمع بمعنى توحيد القراءات:**

أخرج ابن اشتة عن أبي قلابة قال: «اختلفوا في القراءة في عهد عثمان حتى اقتتل الغلمان والمعلمون، فبلغ ذلك عثمان بن عفان، فقال: عندي تكذبون به وتكنون فيه، فمن تأتي عني كان أشد تكذيبا وأكثر لحنا، يا أصحاب محمد فاجتمعوا فاكتبوا للناس إماما فاجتمعوا فكتبوه»[2].

بينما فرق المفكر محمد عدنان زرزور بين "حفظ القرآن وكتابته" الذي كان زمن النبي وبين "جمعه" الذي تم أيام أبو بكر الصديق و"النسخ" الذي تم أيام عثمان بن عفان[3]. وعليه يترتب عن ذلك ثلاث مراحل لعملية الجمع وتدوين المصحف وهذا ما تنبه له العديد من المؤرخين والباحثين على غرار السيوطي والحاكم في المستدرك حيث قال: «جمع القرآن ثلاث مرات إحداها بحضرة النبي... والثانية بحضرة أبي بكر... والجمع الثالث هو ترتيب السور في زمن عثمان»[4].

[1]- محمد عبد العظيم الزرقاني، مناهل العرفان، ص 241.
[2]- جلال الدين السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، ج1، ص ص389 - 390.
[3]- محمد عدنان زرزور، علوم القرآن، المكتب الإسلامي، دمشق، ط1، 1981، ص 81.
[4]- ينظر: جلال الدين السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، ص ص 378 إلى 387.

لذا فمثلما ذكرنا سابقا في عنصر أول ما نزل من القرآن وآخره والاختلاف وتعدد الأقوال في الأمر فإن نفس الأمر ينطبق على جمع القرآن ومتى بدأ. يقول محمد حسن بدر الدين نقلا عن كامل نجار: «يقول أحد المعارضين للقرآن بأننا لا نعرف بالتأكيد متى جمع القرآن لأن أول شيء ظهر في كتاب الطبقات لابن سعد عام (844م) ثم البخاري (عام 870 م) ومسلم (847م) وإذا أخذنا بعين الاعتبار أن محمدا توفي سنة 632م تظهر حقيقة هذا التاريخ الذي كتب بعد مرور أكثر من مائتي عام بعد وفاة محمد... فالاعتماد على الإسناد لا يبعث على الثقة في نفس القارئ»[1]. كما يشير المستشرق غولدزهير بأن المشكلة في التاريخ الإسلامي هي تضارب الأحاديث في المرجع الواحد حول نفس الموضوع.

وهنا لا بد أولا أن نثمن مجهودات كلّ الباحثين عربا كانوا أو مسلمين أو غربيين، ولا نلقي أحكاما على نواياهم وإنما نناقش أفكارهم ونمحصها. فالنقطة الأولى تشير إلى أن كل الأخبار قد نقلت بالتواتر عن فلان عن فلان مع إمكانية التغيير ونقول بأن هذه ميزة كل النصوص التاريخية، فعلى المؤرخ أن يبحث في المصادر أولا يجمعها ثم يتفحصها بالنقد الداخلي والخارجي ويعيد بناء الحادثة التاريخية وهذا هو المنهج العلمي الذي أقره عبد الرحمان بن خلدون، فكل الحوادث الماضية تبنى من خلال هذا المنهج ولا ينقص من قيمتها ومصداقيتها. أما بالنسبة للنقطة الثانية فابن سعد أو البخاري أو مسلم هم بشر اجتهدوا يصيبون ويخطئون ولكن جمع الأحاديث لم يركز على صحة المحتوى بقدر صحة السند لذا سنحاول ذكر مختلف النصوص لنرجح الرأي المنطقي المعقول بكل موضوعية.

2- من الوحي إلى المصاحف:

ولنتتبع مراحل الانتقال من الوحي إلى المصحف نبتدئ بـ المرحلة الثانية من تشكل المصحف العثماني وهي مرحلة الانتقال من الوحي إلى المصاحف قبل توحيدها أي من الوحي الإلاهي إلى التدوين البشري :

[1]- محمد حسن بدر الدين، من الوحي إلى المصحف، مؤسسة مؤمنون بلا حدود للنشر والتوزيع، ط1، 2018، ص 29.

أولاً: من النبي إلى الصحابة.

وسنسميها مرحلة الحفظ في الصدور أي من الوحي إلى المصاحف، حيث أن العرب لم يكونوا أهل كتاب فوصفهم النص القرآني بالأميين فبعث منهم رسولا يعلمهم الكتاب والحكمة تقول الآية: **(هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ)**[1]، فكان الرسول يُقرئ من يكون معه من الصحابة ما كان ينزل عليه من الوحي ويستحفظهم إياه، لأن البيئة العربية المحبة للشعر والأقوال المأثورة جعلت الحفظ أحد الأدوات الأساسية للمحافظة على الموروث الثقافي فنقل من جيل إلى جيل والأمر نفسه حدث مع الرسول أولا وأصحابه ثانيا، حيث كان الرسول حين تلقيه الوحي حريصا على حفظ هذه الآيات لنقلها إلى أصحابه رغم الحالة النفسية والجسدية التي كان يعانيها من أعراض نزول الوحي، حيث تذكر بعض النصوص التاريخية بأنه كان لدرجة خوفه من ضياع الوحي يسرع لنقله فنزلت الآية: **(لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ. إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ. فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ)**[2]. فكان يأمر كتاب الوحي بكتابته ويدلّهم على موضع المكتوب من سورته فيقول لهم: ضعوا هذه السورة بجانب تلك السورة وضعوا هذه الآية جنب هذه الآية[3].

وهنالك العديد من الحجج النقلية التي تثبت هذا الأمر فنجد مثلا ما روى البخاري في صحيحه عن شفيق بن سلمة قال: «خطبنا ابن مسعود رضي الله عنه فقال: «والله لقد أخذت من رسول الله بضعا وسبعين سورة والله لقد علم أصحاب رسول الله أني من أعلمهم بكتاب الله وما أنا بخيرهم»[4].

[1]- سورة الجمعة، الآية 2.
[2]- سورة القيامة، الآيتان 16-18.
[3]- محمد سالم محيسن، تاريخ القرآن الكريم، دار الأصفهاني للطباعة بجدة، ط1، 1393هـ، ص 129.
[4]- أبو عبد الله الزنجاني، تاريخ القرآن، مؤسسة الهنداوي للتعليم والثقافة، ط1، القاهرة، 2014، ص 39.

وروى البخاري أن النبي (ص) قال لأبي بن كعب: «إن الله أمرني أن أقرأ عليك القرآن» قال الله سماني؟ قال: «نعم وقد ذكرت عند رب العالمين» قال فذرفت عيناه واشتهر بين القوم بعدة طرق، قال الرسول: «أبي أقرأكم»[1].

وقد ذكر عبد الصبور شاهين في كتابه تاريخ القرآن كتبة الوحي فقال: «كان الرسول (ص) كلما جاءه الوحي تلاه على الحاضرين وأملاه من فوره على كتبة الوحي ليحفظوه وكان الحفظ في الصدور أو الكتابة، حيث أول من كتب له بمكة من قريش عبد الله بن أبي سرح ثم ارتد ثم عاد إلى الإسلام يوم الفتح، وكتب له في الجملة الخلفاء الأربعة والزبير بن العوام وخالد، وابنا سعيد بن العاص بن أمية، وحنظلة بن الربيع، الأسدي، ومعيقب بن أبي فاطمة، وعبد الله بن الأرقم الزهري، وشرحبيل بن حبشة وعبد الله بن رواحة، وأول من كتب بالمدينة أبي بن كعب وقد كتب له قبل زيد بن ثابت وجماعة آخرون كتبوا له وفي إحصاء آخر قد بلغ عدد كتاب الوحي 43 كاتبا[2].

إن هذه النصوص التاريخية تثبت بأن النبي محمد كان يتلو على أصحابه الوحي فور نزوله حتى لا يضيع وخوفا عليه من النسيان.

هل أمر النبي بكتابة الوحي؟

موقف تيودور نولدكه والمستشرقون:

يعتقد المستشرق الألماني تيودور نولدكه وجمع من المستشرقين بأن النبي كان يريد جمع القرآن في مصحف، ولكن الأمر الإلهي منعه انطلاقا من نص الآية المذكورة سابقا من سورة القيامة، حتى يترك المجال لنفسه لتغيير بعض النصوص وهو في حالة سكينة نفسية وهو ما حدث في المدينة حيث كانت هنالك إضافات واستطرادات، لأن همه في مكة كان هو كسب اعتراف الناس به كما أمره الله، فكانت حسبهم هذه النقطة مسألة ملحة ولم يكن التدوين في هذه المرحلة ذا أهمية، لأن النصوص كانت تحفظ في الذاكرة، هذه الأخيرة حسب نولدكه

[1]- أبو عبد الله الزنجاني، تاريخ القرآن، ، ص 38.
[2]- عبد الصبور شاهين، تاريخ القرآن، ص97.

التي كانت في بعض الأحيان تخون النبي فكان يطمئن المسلمين بأن الله سوف يغيرها بأحسن منها مستشهدا بالنص القرآني[1]، وأشار نولدكه إلى موقف الشيعة حيث يقول: «تقول روايات مختلفة أن على ابن أبي طالب كان وراء جمعه وبناءه فقد قام بهذا والنبي لا يزال قيد الحياة... ويصنع آخرون هذه العملية بعد موت محمد (ص) ويجعلون القسم على اللسان على لكي يأخذ الكرامة من أبي بكر... فقرر أن يدون القرآن من الذاكرة، فقام بذلك في ثلاثة أيام[2]، وعلق على هذه الروايات بأن مصادر هذه الأخبار تفاسير قرآنية شيعية، وكتب تاريخية سنية ذات أثر شيعي مشكوك في أمرها[3]، حيث صرح بعدها بموقفه بأنه من البديهي أن لا يكون القران قد جمع كاملا في عهد النبي[4].

وتوصل إلى أن المسلمين أنفسهم انقسموا حول مسألة جمع القرآن كاملا في حياة النبي، بين المؤيدين لمسألة جمعه في عصر النبي وبأمر وإشراف منه وبخاصة الشيعة مثل الخوئي وباقر الصدر، نجد أيضا من بين المستشرقين من يتبنى هذه المقاربة أمثال جولدزيهر وجوزيف شاخت وغيرهم، بينما نجد شبه إجماع عند السنة بأنه تم تدوينه وحفظه في الصدور في عهد النبي ولم يكن لدى الصحابة آنذاك كتابا مجموعا، واعتبروا مسألة جمع القرآن تمت بعد رحيله ، بل ويجمع أغلبهم أن محتوى القرآن ونصوصه كانت موجودة على شكل سور مستقلة في عهد الرسول.

ولكن بلاشير الذي يعتبرمن أكثر المستشرقين الذين ركزوا على مسألة جمع القرآن بمراحله المختلفة بالنقد والتحليل، حيث توصل إلى أن المرحلة الأولى من جمع القرآن كانت بأداة واحدة هي الذاكرة وتدوين غير منتظم في مكة وفي المدينة في السنوات الأولى، ولكن بعد استقرار الدولة أصبح توحيد تدوين القرآن مسألة ضرورية خوفا من ضياع بعض القرآن حيث شجعها النبي ولكن لم يجعلها واجبة وفي النهاية لم يوفق المسلمون في ذلك في حياة النبي. يقول بلاشير: «لقد شجع النبي حماسة التدوين هذه ولكنه لم يجعلها واجبة، ... هذا

[1]- تيودور نولدكه، تاريخ القرآن، ص ص 237-239.
[2]- ينسب نولدكه هذا القول إلى كتاب الفهرس، ص 28.
[3]- تيودور نولدكه، المصدر السابق، ص ص 243-244.
[4]- تيودور نولدكه، المصدر نفسه، ص 240.

التدوين كان جزئيا ومثارا للاختلاف»[1]، وحول سبب عدم كتابة النبي لمصحف واحد قبل وفاته عرض المستشرق بلاشير موقف المستشرق كازانوفا الذي يؤكد بأن الإسلام ليس دينا دنيويا بالدرجة الأولى بل هو دين أخروي ، وكان المسلمون يعتقدون حسبه بأن القيامة على الأبواب قريبة بل أن بعضهم كان يعتقد بأن القيامة ستكون في حياة النبي والبعض بعد وفاته مباشرة استنادا إلى قول الآية: **(اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُعْرِضُونَ)**[2] (الأنبياء 1)، فليس هناك متسع من الوقت لتدوين القرآن، ولكن حينما تأخر ذلك اليوم أصبحت مسألة التدوين ضرورة، اقتداءً بالأديان السماوية السابقة[3]. ثم فند بلاشر أطروحة كازانوفا لأن القرآن برأيه لم يهتم بالجانب الأخروي فقط ، بل هو قائم على ما هو دنيوي وأخروي ففيه تعاليم أخلاقية وتنظيم للشأن العام، وأسباب عدم تدوين القرآن في زمن الرسول تبقى غير معروفة بالمعنى القطعي وكل ما قيل عنها يبقى مجرد احتمال وهو يحتمل أن يكون السبب لأنهم استسلموا لإرادة الله حينما قال النص القرآني إن علينا جمعه[4].

المقاربة التاريخية الإسلامية:

بحسب المصادر الإسلامية نجد تضاربا حول ما إذا كان النبي أمر بكتابة القرآن أو هو مجرد اجتهاد من الكتبة فنجد رأيين مختلفين:

- **الموقف الأول: أمر النبي بذلك.**

قدم أنصار هذه الفرضية أدلة من التاريخ تثبت هذا الأمر على غرار ما أخرجه مسلم من حديث أبي سعيد قال: قال رسول الله (ص): «لا تكتبوا عني شيئا غير القرآن» ويعلق السيوطي على هذا الحديث وقد كان القرآن كله كتب في عهد رسول الله (ص) ولكن غير مجموع في موضع واحد ولا مرتب السور، وقال الحاكم في المستدرك: جمع القرآن ثلاث

[1]- بلاشير، القرآن نزوله وتدوينه ترجمته وتأثيره، تر: رضا سعادة،دار الكتاب اللبناني ،بيروت ، ط1974،1،ص 30.
[2] - سورة الأنبياء، الآية 1.
[3]- بلاشير، المرجع نفسه، ص ص 29-32.
[4]- باسم المكي وآخرون، علوم القرآن في الإبستيمية المعاصرة، مؤسسة مؤمنون بلا حدود للنشر والتوزيع، الرباط، ط 1، 2018، ص 30.

مرات إحداها بحضرة النبي (ص). ثم أخرج بسند على شرط الشيخين عن زيد بن ثابت قال: «كنا عند رسول الله (ص) نِلف القرآن من الرقاع»[1].

فكان الصحابة أو الكتاب يكتبون في الأدوات المتاحة لهم لأن العرب لم يكونوا قد وصلوا إلى الورق إلا مع القرن الثامن عشر كما يذكر أركون، وما كان متاحا لهم هو:

- العسب: جمع عسيب وهو جريد النخل فكانوا يكتبون بطرفه الغليظ.
- واللخاف: جمع لخفة وهي الحجارة الرقيقة.
- والرقاع وهي جمع رقعة جلود الدواب.
- والأكتاف وغيرها من الأدوات المتاحة.

وكان الرسول حينما يأتيه الوحي - حسبهم - يستدعي الكتاب يدلهم على موضع الآية والسورة بدليل نص رواية عن ابن عباس قال: «كان رسول الله (ص) إذا نزلت آية دعا بعض من يكتب فقال: «ضعوا هذه السورة في الموضع الذي يذكر فيه كذا وكذا»[2] وهذا زيد بن ثابت حينما طلب منه بعض النفر أن يحدثهم عن الرسول قال: «ماذا أحدثكم كنت جار رسول الله (ص) فكان إذا نزل الوحي أرسل إلي فكتبت الوحي ...»[3].

أكد داود العطار نفس الفكرة حينما قال: «لقد بدأ تدوين القرآن في عهد الرسول فما ينزل القرآن حتى يبادر الصحابة إلى كتابته على أدوات من قبيل العسب والرقاع واللخاف وما إلى ذلك مما يقع في متناولهم وكان يتم الحفاظ على ما يكتب في بيت رسول الله»[4] - هنا نتحفظ على أن كل ما كان يكتب كان يحفظ في بيت رسول الله وسنوضح ذلك -.

[1]- جلال الدين السيوطي، الإتقان، ص 379.
[2]- محمد عبد العظيم الزرقاني، مناهل العرفان، ص 247.
[3]- ابن أبي داوود السجستاني، المصاحف، ص 145.
[4]- داود العطار، موجه علوم القرآن، مؤسسة الأعلى للمطبوعات، بيروت لبنان، ط3، 1995، ص 160.

كان الرسول طيلة مدة الوحي ما يقارب ثلاث وعشرين سنة يقول لأصحابه ويدعو من يكتب عنده كلما نزل عليه شيء من القرآن «ضعوا هذا في السورة التي يذكر فيها كذا وكذا، وتنزل الآيات فيقول ضعوا هذه في السورة التي يذكر فيها كذا وكذا»[1].

بل لنا في قصة إسلام عمر بن الخطاب دليلا على أن القرآن كان يكتب في صحف متفرقة فحينما جاء شخص لعمر وقال له أختك صبئت (دخلت في الدين الجديد) فرجع ولطم أخته... فلما سكت عنه الغضب وجد صحيفة في البيت فيها بسم الله الرحمان الرحيم **(سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ)** إلى قوله تعالى: **(إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ)**، واطلع على صحيفة أخرى فوجد فيها بسم الله الرحمان الرحيم **(طه. مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى)** إلى قوله **(لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى)** فأسلم بعدما فهم بلاغة تلك الآيات[2]. وهذا يدل على أن الصحابة والمسلمين كانوا يحتفظون بنسخ مما نزل على النبي ولم تكن تحفظ في بيت النبي. ويدل أيضا بأنه لم يخص النبي أي صحابي بوحيه ، بل كان ذلك متاحا للجميع نقصد الذين يحسنون القراءة والكتابة.

فاتفق البعض من المؤرخين على أن جمع القرآن كاملا كان في عهد الرسول ومن بين أدلتهم في ذلك: حديث الثقلين «إني تارك فيكم الثقلين ما تمسكتم بهما لن تضلوا بعدي أبدا كتاب الله وعترتي»[3] أي أن القرآن حسبهم جمع كاملا كتابة وحفظا في عهد النبي وقبل وفاته ولكنه كان مفرقا في مصاحف، فكلما هبط الوحي بآيات ثبتت في ذاكرة الرسول هذا لأنه سيد الحفاظ، وقد رغب المسلمون باستمرار في حفظه وتدارسه واستظهاره[4].

ويؤكد شاهين عبد الصبور بأن الكتّاب كانوا أمناء في نقل ما يقوله الرسول حيث يقول: «لا ريب أن هؤلاء كانوا يكتبون نص القرآن كما يمليه الرسول (ص) بلسان قريش أي أن دلالة الأحرف السبعة لا يمكن ضمها في رمز خطي واحد وقد تمت عملية الكتابة في

[1]- داود العطار، المرجع السابق، ص ص 162- 163.
[2]- أبو عبد الله الزنجاني، تاريخ القرآن، ص 45.
[3]- السيد أبو القاسم الخوئي، البيان في تفسير القرآن، دار نو الهدى، ط8، 1981، ص 227.
[4]- محمد باقر، المدرسة القرآنية، ص 275.

مكة بيد كتاب قرشيين وفي المدينة بيد جماعة مختلطة من المهاجرين والأنصار»[1]. ثم في ختام هذا الرأي الذي سنعقب عليه لاحقا اعتبر المؤيدون لهذه الفكرة أن النبي (ص) خير ضامن لسلامة النص القرآني وخير حافظ له كونه كان يعرض القرآن على جبريل مرة في كل عام وعرضه عليه مرتين في العام الذي قبض فيه. وهو ما أكده كذلك محمد سالم محيسن حيث أكد أن النبي كان يعارض جبريل بالقرآن مرة في كل شهر رمضان فلما كان العام الذي قبض فيه عارض به مرتين وكان النبي حسبه يعرضه للناس وكان يأمر كتاب الوحي بكتابته[2].

- **الموقف الثاني: لم يأمر النبي بكتابة القرآن بل هو اجتهاد من الكتبة.**

يعتقد المؤيدون لهذه المقاربة بأن النبي لم يأمر بجمع الوحي فكل ما كان يقوم به هو نقله لهم وأمرهم بالكتابة كما ذكرنا في الأدلة والشواهد التاريخية في الرأي الأول، وبقي القرآن مفرقا بلا ترتيب في مصاحف شتى، على شكل سور وآيات مفرقة ولم تكن بين دفتي كتاب فلم يتحقق ذلك إلا بعد وفاة الرسول (ص)، ولهم أدلتهم العقلية والتاريخية لإثبات ذلك منها رواية لزيد بن ثابت قال فيها: «لقد مات رسول الله (ص) ولم يكن قد تم جمع القرآن الكريم في أي مكان»[3].

بالتالي كان هنالك رأيان مختلفان حسب الشواهد التاريخية، ولكننا نرجح الرأي الثاني حيث أن النبي بالفعل كان يطلب كتبة الوحي ليستحفظهم إياه ، وكانوا يجتهدون في كتابته كما سمعوه بلهجتهم ، ولكنه لم يُجمع بين دفتي كتاب كما هو اليوم فلو جمع الرسول القرآن لما حدث بعد وفاته كل ذلك الصراع الذي وصل إلى حد الاقتتال ، ولما ظهرت مصاحف متعددة فكان الصحابة يكتبون القرآن في صحفهم ما يعرفون من القرآن وما يصل إليهم من آيات

[1]- عبد الصبور شاهين، تاريخ القرآن، ص 97.
[2]- محمد سالم محيسن، تاريخ القرآن الكريم، ص 129.
[3]- عمر بن إبراهيم رضوان، آراء المستشرقين حول القرآن وتفسيره، ج1، دار طيبة للنشر والتوزيع، الرياض، دط، دس، ص 437.

ولم يدوّنوه كله لأنّهم كانوا يذهبون للغزوات ومشاغل الحياة من تجارة ورعي... فيتنزل القرآن ولا يعلمون به[1].

بينما حاول بعض الفقهاء على غرار الزرقاني تبرير عدم جمع القرآن من قبل النبي في مصحف واحد ، حيث فأرجع ذلك لعدة أسباب:

- أولها: لم تكن مسألة التدوين ضرورية بدرجة وأد الفتن من جهة ومن جهة أخرى لم تتوافر وسائل الكتابة وكان يعول على الحفظ.
- ثانيا: هو ما يعرف بالنسخ حيث كانت تنزل آيات تنسخ ما قبلها فلو كتب الكتاب ثم تنسخ آية يعاد تدوين الكتاب من جديد وتوزيعه على المسلمين في مختلف الأمصار وكان هذا مسألة في غاية التعقيد والصعوبة.
- ثالثا: القرآن لم ينزل دفعة واحدة بل كان منجما فانتهى الوحي بوفاة الموحى إليه وهو النبي محمد[2].

وهو نفس ما ذهب إليه السيوطي ردا على هذا التساؤل بقوله: «قال الخطابي إنما لم يجمع الرسول (ص) في مصحف لما كان يترقبه من ورود ناسخ لبعض أحكامه أو تلاوته فلما انقضى نزوله بوفاته ألهم الله الخلفاء الراشدين ذلك وفاءا بوعده الصادق بضمان حفظه على هذه الأمة»[3]. ولكن هذا الإلهام الرسمي السياسي جاء متأخرا بسنة كاملة أي بعد معركة اليمامة وسنتطرق إلى هذا في المرحلة الثانية من الجمع. وما يدعم رأينا هو أن القرآن لم يجمع كاملا في كتاب واحد في حياة النبي لأن النبي في سنته الأخيرة عرض القرآن على جبريل مرتين وكان من عادته عرضه مرة واحدة فقط ،وكان في هذا إشارة إلى النبي باقتراب وفاته ،ورغم ذلك لم يأمر بكتابته ، لأنه لو أمر النبي بذلك لتسابق الصحابة على ذلك ولوئدت الفتنة التي حدثت لاحقا، أو بمعنى آخر لم يتلقى الرسول وحيا يأمره بذلك فهو

[1]- ساسي سالم الحاج، نقد الخطاب الاستشراقي، ص 315.
[2]- محمد عبد العظيم الزرقاني، مناهل العرفان، ص 248.
[3]- عمر بن إبراهيم رضوان، آراء المستشرقين حول القرآن وتفسيره، ص 437.

كان رسولا وعبدا مأمورا وتركت مهمة الجمع إلى الله نفسه حسب نص الآية: **(إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ. فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ)**.

إذن النتيجة التي نتوصل إليها من خلال هذا التقصي أنه في حياة النبي لم يكن هنالك مصحف واحد، بل مصاحف ناقصة متعددة ومختلفة حتى في المضمون، هذا يحيلنا إلى نقطة في غاية الأهمية في الحقيقة أثارها بلاشير وهي الثقة في الكتبة لأن الرسول لم يكن له كاتب محدد بل كتبة متعددون ، فأحيانا من يكون معه من الصحابة يقرؤه ما نزل عليه.

كيف كان تعامل النبي مع هذا الاختلاف في المصاحف والقراءات؟

- **موقف النبي وتساهله مع أصحابه في التعامل مع النص القرآني:**

إن النبي محمد كان حريصا على إنجاح رسالته وتبليغها ولم يكن منفردا برأيه في الكثير من الأمور، بل حتى أن النص القرآني كان يأمره بمشورة أصحابه والمؤمنون وكان يأخذ بآرائهم في بعض الأحيان سواء في الحرب مثلما أشار به سلمان الفارسي على المسلمين بحفر خندق في الغزوة التي سميت باسمه وهذا نراه مقبولا ،ولكن في الأمور العقائدية التعبدية وفي النص القرآني يجعلنا نطرح علامات استفهام كثيرة، لذا سنذكر بعض الأحداث والنصوص التي وافق فيها النبي أصحابه. يرى عبد المجيد شرفي في كتابه الإسلام بين الرسالة والتاريخ بأن النبي لم يتحرج من تبني العديد من المواقف التي أشار بها أصحابه وتبناها الوحي وذكر مثالا:

- البراء بن معرور الذي بادر بالتوجه نحو الكعبة عوض الشام قبل تحويل القبلة بأمر من الوحي[1].
- حينما قدم النبي إلى المدينة كان المسلمون يجتمعون إليه للصلاة بغير دعوة، فهمَّ أن يجعل بوقا كبوق اليهود الذين يدعون به لصلاتهم ثم كرهه، ثم أمر بالناقوس فنُحِتَ

[1]- عبد المجيد شرفي، الإسلام بين الرسالة والتاريخ، ص 40.

ليضرب به للمسلمين للصلاة، قبل أن يأخذ برأي عبد الله بن زيد بن ثعلبة ويكلف بلالا بالآذان بالصيغة التي سيستقر عليها أو قريب منها[1].

- عبد الله بن جحش أول من عزل خُمس الغنيمة للرسول حين هجم على عير قريش في نخلة وفي الشهر الحرام[2].

من خلال هذه الأمثلة التي ذكرتها كتب السيرة بصفة عادية ولم يتحرج النبي في إقرار الوحي لها ،ننتقل إلى مستوى النص القرآني **فهل تساهل الرسول فيه أيضا؟**

إن كتبة الوحي على غرار عبد الله بن أبي السرح وابن مسعود وأبي بن كعب وضمن عملية التدوين كانت لهم بعض الممارسات التي تمس من المكتوب[3]. هو ما نجده في كتاب المصاحف: يقول حدثنا عبد الله قال: حدثنا يونس بن حبيب، قال: حدثنا أبو داود قال: حدثنا حماد بن سلمة عن ثابت عن أنس بن مالك: أن رجلا كان يكتب لرسول الله (ص) فكان إذا أملى عليه سميعا بصيرا كتب سميعا عليما، وإذا أملى عليه سميعا عليما كتب سميعا بصيرا وكان قد قرأ البقرة وآل عمران، وكان من قرأهما قد قرأ قرآنا كثيرا، فتنصر الرجل، وقال: إنما كنت أكتب ما شئت عن محمد...»[4].

- في رواية يثبتها الزمخشري أن عبد الله بن سعد بن أبي سرح كان يكتب للنبي (ص) فنطق بذلك قبل إملائه فقال له «أكتب هكذا نزلت» فقال عبد الله إن كان محمد نبيا يوحى إليه، فأنا نبي يوحى إلي فلحق بمكة كافرا ثم أسلم يوم الفتح[5].
- كما لا يفوتنا هنا أن نذكر موافقات عمر بن الخطاب حيث أن الوحي كان يؤيد ما قاله عمر منها لما سمع عمر أول آية خلق الإنسان من طين: (ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا

[1]- عبد المجيد شرفي، الاسلام بين الرسالة و التاريخ، ص ص 40-41.
[2]- عبد المجيد شرفي، المرجع نفسه، ص 41.
[3]- جلال الربعي، من القرآن إلى المصحف، ص 134.
[4]- ابن أبي داوود السجستاني، المصاحف، ص 146.
[5]- جلال الربعي، المرجع السابق، ص 135.

الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ) قال متمتماً «**فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ**»[1] فقال رسول الله (ص): «هكذا نزلت»[2].

- عن أنس بن مالك قال: قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه لقد وافقت ربي في ثلاث فقلت يا رسول الله لو اتخذنا من مقام إبراهيم مصلى فنزلت: (وَاتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى) وآية الحجاب قلت يا رسول الله لو أمرت نساءك أن يحتجبن، فإنه يكلمهن الحّر والفاجر، فنزلت آية الحجاب، واجتمع نساء النبي (ص) في الغيرة عليه فقلت لهن: (**عَسَى رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَكُنَّ أَنْ يُبْدِلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِنْكُنَّ**) «فنزلت هذه الآية» (صحيح البخاري 402).
- قال بن عمر قال عمر: «وافقت ربي في ثلاث: في مقام إبراهيم وفي الحجاب وفي أسارى بدر» (رواه مسلم 2399)[3].
- يروي الطبري: «... أخبرني سعيد بن مسيب أن الذي ذكر الله (إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ) (النحل 103) إنما افتَتن أنه كان يكتب الوحي فكان يملي عليه رسول الله: سميع عليم أو عزيز حكيم وغير ذلك من خواتم الآي، ثم يشتغل عنه رسول الله (ص) وهو على الوحي فيستفهم رسول الله (ص) فيقول: أعزيز حكيم؟ أو سميع عليم؟ أو عزيز عليم؟ فيقول رسول الله أي ذلك كتبت فهو كذلك» ففتنه ذلك فقال: إن محمدا وكّل ذلك إلي فأَكتُبُ ما شِئتُ»[4].

لقد تميزت هذه المرحلة المهمة في تشكل النص القرآني - حسب الروايات التاريخية المذكورة- بتعامل الرسول بشيء من اللين مع أصحابه والمسلمين الذين حوله في مسألة قراءة القرآن حيث سمح بالقراءات المتعددة أو ما يعرف بالأحرف السبعة، وهنالك العديد من الأدلة النقلية والتاريخية التي تثبتها نذكر منها:

[1] - سورة المؤمنون، الآية 14.
[2]- جلال الربعي، ، من القرآن إلى المصحف، ص 135.
[3]- جلال الربعي، المرجع نفسه، ص 135.
[4]- جلال الربعي عن أبو جعفر الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ج1، تح: عبد المحسن التركي، دار الهجر للطباعة، مقدمة المصنف، ص 49.

ما رواه الترمذي عن أبي ابن كعب أن رسول الله قد لقي جبريل فقال: «يا جبريل إني بعثت إلى أمة أميين منهم العجوز والشيخ الكبير والغلام والجارية والرجل الذي لم يقرأ كتابا فقال يا محمد إن القرآن أنزل على سبعة أحرف»[1].

روى الحافظ أبو يعلى في مسنده الكبير أن عثمان رضي الله عنه قال يوما وهو على المنبر: «أذكر الله رجلا سمع النبي (ص) قال: «إن القرآن أنزل على سبعة أحرف كلها شاف كاف» لما قام. فقاموا حتى لم يحصوا فشهدوا أن رسول الله (ص) قال: «أنزل القرآن على سبعة أحرف كلها شاف كاف» فقال عثمان رضي الله عنه وأنا أشهد معهم»[2].

روى البخاري أن عمر بن الخطاب قال: سمعت هشام بن حكيم يقرأ سورة الفرقان في حياة رسول الله (ص) فاستمعت لقراءته فإذا هو يقرؤها على حروف كثيرة، لم يقرئنيها رسول الله (ص) فكدت أساوره في الصلاة فانتظرته حتى سلم ثم لببته بردائه أو بردائي فقلت من أقرأك هذه السورة؟ فقال أقرأنيها رسول الله (ص) فاستمعت لقراءته فقلت له كذبت فوالله إن رسول الله أقرأني هذه السورة التي سمعتك تقرؤها فانطلقت أقوده إلى رسول الله (ص) فقلت يا رسول الله إني سمعت هذا يقرأ بسورة الفرقان على حروف لم تقرئنيها وأنت أقرأتني سورة الفرقان فقال رسول الله أرسله يا عمر: «اقرأ يا هشام، فقرأ هذه القراءة التي سمعته يقرؤها، قال رسول الله (ص): «إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف فاقرؤوا ما تيسر منه»[3].

روى مسلم بسنده عن أبي ابن كعب قال: كنت في المسجد فدخل رجل يصلي فقرأ قراءة أنكرتها عليه ثم دخل آخر فقرأ قراءة سوق قراءة صاحبه، فلما قضينا الصلاة دخلنا جميعا على رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقلت إن هذا قرأ قراءة أنكرتها عليه ودخل آخر قرأ قراءة صاحبه. فأمرهما رسول الله (ص) فقرآ، فحسن النبي (ص) شأنهما فسقط في نفسي من التكذيب ولا إذ كنت في الجاهلية، فلما رأى رسول الله (ص) ما قد غشيني ضرب

[1]- محمد محمد أبو ليلة، القرآن من منظور استشراقي، ص 171.
[2]- محمد عبد العظيم الزرقاني، المناهل، ص 139.
[3]- عمر بن إبراهيم رضوان، آراء المستشرقين حول القرآن وتفسيره، ص 437.

في صدري ففضت عرقا، وكأنما أنظر إلى الله عز وجل فرقا فقال لي: «أرسل إلي أن أقرأ القرآن على حرف فرددت إليه: أن هون على أمتي فرد إلي الثانية: اقرأه على حرفين فرددت إليه أن هون على أمتي، فرد إلي الثالثة اقرأه على سبعة أحرف ولك بكل ردة رددتها مسألة تسألنيها، فقلت اللهم اغفر لأمتي اللهم اغفر لأمتي وأخرت الثالثة ليوم يرغب إلي الخلق كلهم حتى إبراهيم صلى الله عليه وسلم»[1].

وروى الطبري والطبراني عن زيد ابن الأرقم قال: جاء إلى رسول الله (ص) فقال: أقرأني ابن مسعود سورة أقرأنيها زيد ابن ثابت وأقرأنيها أبي ابن كعب فاختلفت قراءتهم فبقراءة أيهم آخذ؟ فسكت رسول الله (ص) وعلي (ض) إلى جانبه فقال علي: «ليقرأ كل إنسان منكم كما علم فإنه حسن جميل»[2].

بالاعتماد على هذه الأدلة النقلية التاريخية التي بين أيدينا يتبين لنا بأن المقصود بالأحرف هي القراءات التي أقرها النبي لصحابته، وأصل هذه القراءات هو دخول عدد من القبائل العربية في الإسلام وبعد تعلمهم للقرآن على يد الصحابة حافظوا على لهجاتهم فعاملهم الرسول بلين أن قبل قراءاتهم من باب تأليف القلوب لدين الله ولكن هل الذي سمح به الرسول هو النطق فقط أم تغيير كلمات بذاتها؟ للجواب على هذا الاستفهام عدنا إلى المصادر التاريخية لنجد بأنه هنالك كلمات تغير بموافقة الرسول ذاته ولتأكيد ذلك نذكر منها: ما ذكره عدنان محمد زرزور في كتابه علوم القرآن: عن حديث الملك الذي استزاده حتى بلغ سبعة كلها شاف كاف - أوليس فيها إلا كاف شاف قلت: غفورا رحيما أو قلت سميعا حكيما، أو قلت عليما حكيما... أي ذلك قلت فهو كذلك»[3]. أي الاتفاق في المعنى دون اللفظ وهذا لا يعني التبديل اعتباطيا.

قال ابن عطية: «وعلى هذا يحمل قول أنس ابن مالك حينما قرأ: (إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْئًا **وَأَصْوَب** قِيلًا) فقيل له إنما تقرأ: (وَأَقْوَمُ) فقال أنس: وأقوم وأصوب وأهيأ واحد

[1]- محمد عبد العظيم الزرقاني، مناهل العرفان في علوم القرآن، ص 140.
[2]- عدنان محمد زرزور، علوم القرآن مدخل لتفسير القرآن وبيان إعجازه، ص 110.
[3]- عدنان محمد زرزور، المرجع نفسه، ص 110.

فإنما معنى هذا أنها مروية عن النبي (ص) وإلا لو كان لأحد من الناس أن يصنعه لبطل قول الله تعالى: **(إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ)**»[1].

بينما حرم البعض تغيير اللفظ والمعنى مستدلا بالآية: **(قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا ائْتِ بِقُرْآَنٍ غَيْرِ هَذَا أَوْ بَدِّلْهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِنْ تِلْقَاءِ نَفْسِي إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ)**[2] فإذا كان ليس من حق الرسول التغيير فما بالك ببقية المسلمين.

حاول الكثير من المختصين في الدراسات الإسلامية ربط الحرف باللهجة وبالفتوحات الإسلامية ودخول قبائل عربية إلى الإسلام ولكن مضمون نص رواية عمر وهشام يبين أن كلاهما كان قرشيا فلغتهما ولهجتهما واحدة ورغم ذلك اختلفا لدرجة كبيرة ومنه نجد بأن الحرف ليس اللهجة ولا اللغة. يقول الطحاوي: «بأن لسانهما هو لسان رسول الله الذي نزل به القرآن»[3].

هذا ما دفع بمحمد حسن بدر الدين إلى نقد الرواية ذاتها داخليا و خارجيا حيث حصر فزع عمر من قراءة هشام بن حكيم في ثلاث نقاط هي:

- أولا: غير هشام النص القرآني في سورة الفرقان فأبدل باللفظ القرآني لفظا من عنده، أي أنه قرأ سورة الفرقان بالمعنى.
- ثانيا: حافظ هشام على النص القرآني بلفظه ولكنه غير ترتيب الآيات في السورة وربما كون هو آيات بمقاطع متفرقة من الآيات الأصلية في سورة الفرقان.
- ثالثا: حفظ ابن هشام جزءا من سورة الفرقان نزل بعد أن حفظ عمر ما نزل منها ولم تبلغه بقية السورة[4].

[1]- عدنان محمد زرزور، علوم القرآن مدخل لتفسير القرآن وبيان إعجازه، ص 111.
[2] - سورة يونس، الآية 15.
[3]- أبو جعفر الطحاوي، مشكل الآثار، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، ج8، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1994، ص 115.
[4]- محمد حسن بدر الدين ،من الوحي إلى المصحف، ص132.

ونحن نرجح الافتراض الأول لأن منطوق الرسول واضح هكذا أنزلت أي المهم هو الحفاظ على المعنى وهذا ليس تحريفا للقرآن.

ما المقصود بالأحرف السبعة ؟

عدّد الفقهاء هذه الأحرف فنهم من أرجعها إلى سبعة ومنهم من أرجعها عشرة.

فالمقاربة الأولى تؤكد بأن القرآن أنزل بحرف من جبريل وطلب النبي الزيادة فزاده حتى انتهى إلى سبعة أحرف مثلما ذكر عدنان محمد زرزور حيث فاوض الرسول ربه وطلب منه التسهيل والتيسير لأمته فمنهم الشيخ الكبير والعجوز والغلام و... وهذا ما أكده كذلك مسلم في صحيحه قال حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة... عن أبي بن كعب أن النبي كان عند أضاة بني غفار، قال فأتاه جبريل فقال: «إن الله يأمرك أن تقرأ أمتك القرآن على حرف فقال: أسأل الله معافاته ومغفرته، إن أمتي لا تطيق ذلك ثم أتاه الثانية فقال إن الله يأمرك أن تقرأ القرآن على حرفين فقال أسأل الله معافاته ومغفرته وإن أمتي لا تطيق ذلك ثم جاءه الثالثة فقال إن الله يأمرك أن تقرأ أمتك القرآن على ثلاثة أحرف فقال أسأل الله معافاته ومغفرته، وإن أمتي لا تطيق ذلك، ثم جاءه الرابعة فقال: إن الله يأمرك أن فقرأ أمتك القرآن على سبعة أحرف، فأيما حرف قرؤوا عليه فقد أصابوا»[1]. رغم أنه توجد رواية أخرى تؤكد بأن الرسول كان يفاوض بإيعاز من ملك آخر هو ميكائيل ولكن المهم في كل هذا أن الله أقر الروايات السبعة وهو ما دفع النبي إلى التساهل في القراءات رغم أن الخلافات بين الصحابة أنفسهم وكان هذا الاختلاف وخاصة عند الصحابة الذين امتلكوا مصاحف خاصة بهم الذين كان أغلبهم قرشيين ويقرؤون بلسان قريش كما نزل القرآن.

لذا اجتهد البعض وربط الحرف بالوجه مستأنسين بالآية: **"وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ"**[2].

[1]- أبو الحسين مسلم النيسابوري، صحيح مسلم، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، ج1، دار إحياء الكتب العربية، بيروت، ط1، 1991، ص ص 562-563.

[2] - سورة الحج، الآية 11.

نجد من بين هؤلاء ابن قتيبة حيث عددها بقوله: «أولها: ما يتغير حركته ولا يزول معناه ولا صورته مثل: **(وَلَا يُضَارَّ كَاتِبٌ)**[1] بالرفع والفتح.

وثانيهما: ما يتغير بالفعل مثل بعد وبَاعِد (سبأ 19) بلفظ الطلب والماضي.

ثالثها: ما يتغير بالنقط مثل ننشرها وننشزها (البقرة 259).

رابعها: ما يتغير بإبدال حرف قريب المخرج مثل طلع منضود، طلح (الواقعة 29).

خامسها: ما يتغير بالتقديم والتأخير مثل: **(وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ)**[2]: «وجاءت سكرة الحق بالموت».

سادسها: ما يتغير بزيادة أو نقصان مثل (والذكر والأنثى)، **(وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى)**[3].

سابعها: ما يتغير بإبدال كلمة بأخرى مثل: **(كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ)** و«كالصوف المنفوش» (القارعة 5)[4].

وذكر ابن الجزري سبعة أوجه في مقابل سبعة أحرف حيث قال: «قد تتبعت صحيح القراءات وشاذها وضعيفها، ومنكرها فإذا هي يرجع إلى سبعة أوجه لا يخرج عنها وذلك إما في الحركات بلا تغير في المعنى والصورة نحو **(بِالْبُخْلِ)** (النساء 37) بأربعة، و: (يَحْسَبُ) (الهمزة 3) بوجهين، أو بتغير في المعنى فقط، نحو و**(تَلَقَّى أَدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ)** (البقرة 37)، إما في الحروف بتغير المعنى لا الصورة نحو تبلوا وتتلوا" أو عكس ذلك نحو "الصراط" (الفاتحة 6) و"السراط" أو بتغيرهما نحو فامضوا و(فاسعوا) (الجمعة 9)، وإما

[1] - سورة البقرة، الآية 282.
[2] - سورة ق، الآية 19.
[3] - سورة الليل، الآية 3.
[4] - السيوطي، الإتقان، ص 314.

في التقديم والتأخير نحو: **(فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ)** (التوبة 111)، أو في الزيادة والنقصان نحو "أوصى" (ووصى) (البقرة 132). فهذه سبعة لا يخرج عنها الاختلاف[1].

وبالإضافة إلى هذه هنالك من يؤكد بأن المقصود بالأحرف السبعة كما ذكرنا هو استبدال لفظ بمرادفه مستدلين برواية أحمد والطبراني من حديث أبي بكرة: «إن جبريل قال: يا محمد اقرأ القرآن على حرف قال ميكائيل استزده حتى بلغ سبعة أحرف. فقال كلها شاف كاف، ما لم تختم آية عذاب برحمة، أو رحمة بعذاب نحو قولك: تعال وأقبل وهلم، واذهب وأسرع وعجل» على غرار سفيان بن عيينه وابن جرير وابن وهب وغيرهم[2].

وبما أن السماع والمشافهة كانتا أدوات نقل القرآن إلى الأمصار المفتوحة، وبما أن النبي رخص لتلاوة القرآن وقراءته وكتابته بالأحرف السبعة فكانت نتيجة منطقية أن يحدث اختلاف كبير بين المسلمين في القراءات ما يجعلها متعددة، دون أن ننسى بأن الخط الذي كتب به المصحف العثماني لا يحتوي على نقط ما يجعل الاختلاف يزيد أكثر مثلا: فتبينوا البعض يقرأها فتثبتوا في الآية 94 من سورة النساء فهي تفتح باب اجتهاد القراء من جهة وتزيد من شرخ الاختلاف بين المسلمين. ولكن دافع ابن جرير في كتابه "الأحرف السبعة في لقراءات"عن القراءات وأكد بأن السماع والمشافهة هي أساس القراءات فلا باب للاجتهاد فيها وإنما قرأت كما وصلت شفهيا[3].

بينما ربط الطبري بين الأحرف واللغات فاعتقد بأن القرآن نزل على سبعة لغات وسبعة أوجه يقول: «فإن قال: وما برهانك على أن معنى قول النبي: «نزل القرآن على سبعة أحرف»... هو ما ادعيت من أنه نزل بسبع لغات وأمر بقراءته على سبعة ألسن دون أن يكون معناه ما قاله مخالفوك، من أنه نزل بسبع لغات، وأمر بقراءته على سبعة ألسن دون أن يكون معناه ما قاله مخالفوك، من أنه نزل بأمر وزجر وترغيب وترهيب وقصص ومثل ونحو ذلك من أقوال فقد علمت قائل ذلك من سلف الأمة وخيار الأئمة. قيل له: إن الذين قالوا

[1]- جلال الدين السيوطي، الإتقان، ص 316.
[2]- جلال الدين السيوطي، المصدر نفسه، ص 317.
[3]- ابن جرير، السبعة في القراءات، تحقيق: شوقي ضيف، دار المعارف بمصر، القاهرة، دط، د س، ص 8.

ذلك لم يدعوا أن تأويل الأخبار التي تقدم ذكرها هو ما زعمت أنهم قالوه في الأحرف السبعة التي نزل بها القرآن دون غيرها لقولنا مخالفا وإنما أخبروا أن القرآن نزل على سبعة أحرف يعنون بذلك أنه نزل على سبعة أوجه»[1]. وبذلك ربط الطبري بين السبع لغات وسبع أحرف أو سبع ألسن فاللسان واللغة عنده مترادفان ولكن اليوم نعرف أن هنالك فرق بينهما، ولكن إذا انطلقنا مما اعتقده فقد فتح علينا باب التأويل الذي لا نعرف نهايته وهو ما أكده أيضا محمد حسن بدر الدين في كتابه من الوحي إلى المصحف حيث يقول تعليقا على رأي الطبري: «ربّ تعليل يزيد المسألة عللا ورب شرح هو للمنطق والتاريخ شرخ فلا يكفي الطبري أنه في رده على السؤال المطروح اكتفى في شقشقته اللغوية بتغيير مصطلح بآخر لا معنى لكليهما: إذ غيّر "الأحرف" بكلمة "أوجه" بل إنه حوّل القارئ إلى تأويلات عديدة كلها تنتهي به إلى تحريف القرآن»[2].

فبالعودة إلى الروايات التاريخية وأهل الحديث خاصة نجد بأنهم هم أنفسهم عجزوا في تحديد المقصود بالأحرف السبع وكل راح يدلي بدلوه ويجتهد في حدود الحديث الذي يرى بأنه صحيح فأصبحوا يجترون ما قاله السابقون ويكررون اجتهاداتهم، فبلغت الاختلافات بينهم درجة كبيرة سواء عند القدماء منهم مثل القرطبي الذي يعدِّد الاختلافات حول الأحرف السبعة إلى خمسة وثلاثون قولا، أو عند المعاصرين حيث عددها محمد أنور الكشميري إلى خمسة وأربعين استنادا إلى السيوطي في كتاب الإتقان ولكنه في النهاية توصل إلى أن الصحيح منها هو ثلاثة فقط:

أولها: ما توصل إليه النحاة وهو أن القراءات السبع باللغات السبع من لغة بني هذيل وبني تميم وبني قيس - فاللغة هنا بمعنى اللهجة -

ثانيها: هو رأي المحدثين والشارحين حصروا الاختلاف في القراءات وليس في الحلال والحرام وهذا لا يؤثر على العقيدة كالاختلاف في التشكيل والنطق ...

[1]- الطبري، جامع البيان، ج 1، ص 45.
[2]- محمد حسن بدر الدين، من الوحي إلى المصحف، ص 155.

ثالثها: ابن مسعود الذي أجاز تغيير لفظ بلفظ إذا كان المعنى واحد كأقبل وهلم وتعال وعجل أو الأسماء الحسنى فآية العذاب مع آية الرحمة وآية الرحمة كآية العذاب[1].

3- **هل الأحرف السبع هي القراءات السبع؟**

وهنالك عدد من الفقهاء والمحدثين حاولوا الربط بين القراءات والأحرف السبعة لأن القراءات نفسها تعددت إلى أن وصلت إلى 50 في بعض الروايات ما جعل الحاجة إلى توحيدها كالحاجة إلى توحيد المصاحف في مصحف فقرر حصرها ابن جرير في سبعة قراء ترتيبهم حسب تاريخ وفاتهم:

1) عبد الله بن عامر اليحصبي: ت 118هـ قارئ أهل الشام.
2) عبد الله بن كثير: ت 120هـ قارئ أهل مكة.
3) عاصم بن أبي النجود ت 127هـ قارئ أهل الكوفة.
4) أبو عمرو بن علاء ت 154 هـ قارئ أهل البصرة.
5) حمزة بن حبيب الزيات ت 156هـ قارئ أهل الكوفة أيضا.
6) نافع بن عبد الرحمان ت 169 هـ قارئ أهل المدينة.
7) علي بن حمزة الكسائي ت 189هـ نشأ في الكوفة ثم انتقل إلى بغداد فكان يقرئ فيها[2].

إلا أن القرطبي مثلا يرى ببطلان الربط بين القراءات السبع والأحرف السبعة - رغم أن أغلبية جمهور العلماء ربط بينهما على غرار البخاري والطبري وابن حجر وغيرهم كثير- وهذا الربط ليس سليما[3].

بينما محمد الحبش ربط بينهما بعدما اشتهرت القراءات السبع في الأمصار وأصبح الناس يتحدثون عن قراءات سبع وأحرف سبع استدل برأي القاضي أبو بكر الكي قال: الصحيح أن هذه الأحرف السبعة ظهرت واستفاضت عن رسول الله (ص) وضبطها عنه

[1]- محمد حسن بدر الدين، المرجع السابق، ص ص 164 – 165.
[2]- غانم قدوري الحمد، أصل القراءات القرآنية بين حقائق التاريخ ودعاوى المبطلين، مجلة الحكمة، العدد 20، شوال 1420هـ، ص 5.
[3]- القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج1، ص 46.

الأئمة وأثبتها عثمان والصحابة في المصحف وأخبروا بصحتها، وإنما حذفوا منها ما لم يثبت متواترا».

ويرى بأن الحرف المقصود يحمل معان متعددة فقد يكون بمعنى القراءة كقول ابن الجزري: «كانت الشام تقرأ بحرف بني عامر» وقد تفيد المعنى والجهة[1].

وبعد عرض مختلف الآراء نجد بأن غاية السبع أحرف كانت منذ البدء واضحة حسب نص الحديث هي التخفيف عن القبائل الجديدة في الإسلام لتحافظ على لهجتها، فكان موقف النبيّ متساهلا فيها ليحافظوا على لهجاتهم، ولكن حادثة عمر قدمت لنا مقاربة أخرى هي أن النبيّ نفسه كان يرخّص لهم تغيير بعض الألفاظ ولكن مع الحفاظ على المعنى وانفتاح النبي هذا تترتب عنه فرضيتان:

- **الأولى:** يؤمن بها أغلب المستشرقين حيث أن القرآن ليس بوحي وإنما هو كلام بشري ألفه محمد وهذا ما جعله يغير الآيات ويساير الوقائع والأحداث ويتساهل في مضمون ما يقوله.
- **الثانية:** إن القرآن نزل على محمد النبي بالمعنى الإلهي وهو عبر عليه اللغة العربية التي هي لسان قومه حتى يبلغ رسالة الله لذا كان يغير الألفاظ ويحافظ على المعنى.

والفرضية الثانية عندنا هي المرجحة لأن اللغة هي أداة تواصل فكان النبي من خلالها ينقل المعنى إلى أصحابه وإلى المسلمين عامة والبشرية جمعاء لأنه بشير ونذير. أما الوحي ذاته فهو مسألة شخصية لا يمكن لأيّ شخص معرفة طريقتها إلا الموحى إليه وكل ما ذُكر عن الوحي سواء من قبل زوجات النبي أو صحابته فهي الحالة الظاهرية التي كانت تنعكس على بدن النبيّ وما بقي للبشرية هو الرسالة التي أوحاها الله للرسول.

[1]- محمد الحبش، القراءات المتواترة، القراءات المتواترة وأثرها في الرسم القرآني والأحكام الشرعية، دار الفكر، دمشق،ط1، 1999، ص 19.

أ- مشكلة القراءات السبع و تأثيرها على المعنى القرآني:

متفق عند الأغلبية بأن أول فعل أمر به الرسول هو القراءة، أي أن يتلو الرسول ما يتنزل عليه من الوحي فبالتالي القراءة النبوية الأولى بلسان قريش إذا استأنسنا بقول عثمان للجنة جمع القرآن إذا اختلفتم مع زيد فكتبوه بلسان قريش، فالخطوة الأولى هنا هي نقل الرسول الوحي بلسان قريش إلى أصحابه أو الكتبة أو من كان برفقته حين نزول الوحي وفي هذه المرحلة كانت قراءة القرآن واحدة، فيحفظه من يمتلك ذاكرة قوية ويكتبه من يخاف نسيانه فيما أتيح له من أدوات التدوين التي ذكرناها سابقا ولكن في نفس الوقت ينسى بعضهم بعض ما نزل أو كلّه.

فينتقل القرآن من المنطوق الأول إلى المنطوق الثاني: أي من الصحابة الذين كانوا مع رسول الله لحظة نزول الوحي إلى من لم يكن معه من المسلمين، وكان هؤلاء الصحابة حريصون على نقل الوحي كما نزل دون زيادة أو نقصان فكيف إذن ظهرت الاختلافات في قراءة القرآن؟ للإجابة على هذا السؤال عاد محمد حسن بدر الدين إلى طبيعة المجتمع الأول الذي تلقى القرآن وهو المجتمع المكي الذي كان متجانسا حسب رأيه لا يختلف في اللهجة أو النطق إلا بحسب النبرات الصوتية أو ما في شخص من عيب في النطق ولم يكن في الصحابة أو المتلقين الأوائل من يتجرأ على التغيير، ولكن بفعل الحركية الثقافية (سوق عكاظ) أو الحركة الدينية (موسم الحج) انتقل القرآن إلى عدة مناطق خارج مكة واستنتج بأن القراءات لم تظهر في مكة يقول: «انتقل القرآن بحكم التنقلات التجارية والمواسم المختلفة والهجرة من مكة إلى مناطق عديدة في الجزيرة العربية لكن النص القرآني بقي واحدا في لفظه ونطقه في مكة، فلم تظهر فيها اختلافات الأحرف ولا اختلاف القراءات طول الفترة المكية من الدعوة وهي أطول من الفترة المدنية، وكذلك لم يظهر اللحن في القرآن في مكة»[1]، حيث بقي المنطوق الأول كما هو، ولكن كل ما في الأمر أنهم بدؤوا بقراءة القرآن

[1]- محمد حسن بدر الدين، من الوحي إلى القرآن، ص ص 192-193.

بلهجاتهم على غرار كشكشة تميم، وبكسكة بدر، وبشنشنة تغلب وبغمغمة قضاعة وبطمطمانية حيمر وبعنعنة تميم وبرطانة قريش[1].

ويعتبر الفقيه أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي من الأوائل الذين فصلوا هذه المسألة في كتابه العقد الفريد في الجزء الثاني منه فبدأه بقصة رواها الأصمعي: قال معاوية يوما لجلسائه: أي الناس أفصح؟ فقال رجل من السماط: يا أمير المؤمنين قوم قد ارتفعوا عن رتة العراق وتياسروا عن كشكشة بكر وتيامنوا عن شنشنة تغلب، ليس فيهم غمغمة قضاعة، ولا طمطمانية حِمير، قال من هم؟ قال قومك يا أمير المؤمنين قريش قال صدقت فمن أنت؟ قال من جرم...»[2].

أولا: كشكشة تميم.

فإن بني عمرو بن تميم إذا ذكرت كاف المؤنث فوقفت عليها أبدلت منها شينا لقرب الشين من الكاف في المخرج، وقال راجزهم:

هل لك أن تنتفعي و أنفعش وتدخلي الذي معي في اللذ معش[3]

بمعنى إذا قرأ بنو تميم بدلوا الكاف شين وما زالت هذه الكشكشة موجودة إلى اليوم خاصة في العراق والكويت، وإذا قرؤوا القرآن قد يتغير اللفظ وقد يتغير المعنى فمثلا سورة الإخلاص تُقرأ: «قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ. اللَّهُ الصَّمَدُ. لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ. وَلَمْ **يَشُنْ** لَهُ **شُفُوًا** أَحَدٌ».

ثانيا: كسكة بكر.

أما كسكسة بكر فقوم يبدلون من الكاف سينا كما فعل التميميون مع الشين[4]. مثالا عن سورة الفيل: «أَلَمْ تَرَ **سَيْفَ** فَعَلَ **رَبُّسَ** بِأَصْحَابِ الْفِيلِ. أَلَمْ يَجْعَلْ **سَيْدَهُمْ** فِي تَضْلِيلٍ. وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ. تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِنْ سِجِّيلٍ. فَجَعَلَهُمْ **سَعَصْفٍ مَأْسُولٍ**». فهذه القراءة قد

[1]- محمد حسن بدر الدين، المرجع السابق، ص 193.

[2]- أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي، العقد الفريد، تحقيق: محمد مفيد قميحه، ج2، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1983، ص 305.

[3]- أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي، المرجع نفسه، ص 306.

[4]- أحمد بن محمد بن عبد الله الأندلسي ،نفسه، ص 307.

ينجم عليها خلط حتى في المعنى ناهيك على أن الحروف لم تكن فيها نقط ما قد يضيف إلى المشكل مشكلا آخر.

ثالثا: طمطمانية حِمير.

أخرج الإمام أحمد في مسنده أن وفدا من حِمير جاؤوا إلى النبيّ (ص) قالوا: «يا رسول الله أمِن امبِرِ امصيام في امسفر؟ فقال (ص): ليس من امبِرِ امصام في امسفَر وتعجب الأصحاب مما سمعوا حتى تبيّن لهم أن الوفد حيّ من العرب يبدلون اللام ميما والميم لام. وكان سؤالهم: أمِن البر الصيام في السفر؟ ورد عليهم الرسول (ص) ليس من البر الصيام في السفر[1]. فإذا قرؤوا سورة الناس تصبح: «قُمْ أَعُوذُ بِرَبِّ امنَّاسِ. مَمِكِ امنَّاسِ. إِماَهِ امنَّاسِ. مِنْ شَرِّ امْوَسْوَاسِ امْخَنَّاسِ. امَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ امنَّاسِ. مِنَ امْجِنَّةِ وَامنَّاسِ».

بعد أخذ نماذج عن لهجات العرب وما أكثرها نفهم بأن النبي تساهل مع القبائل العربية وحتى غير العرب بقراءة القرآن بلهجتهم لأن الذي يهم وأساسي ليس نقط الكلمة وإنما هي الفكرة أو المعنى من وراء اللفظ ودلالته. يقول محمد حسن بدر الدين: «لنفترض أن بعض اليمنيين سمعوا من النبي آية من القرآن... وحفظ المنطوق الأول بنصه ولكن بغير نطقه الأول، عاد اليمني لقومه وقرأها بلهجته... فهم السامعون اليمنيون النص كما فهمه القرشيون»[2].

حيث أنه بعد هجرة الرسول والمسلمون من مكة إلى المدينة كان القرآن قد سبقهم إليها فقد نقله الصحابة وعلى رأسهم مصعب بن عمير فاتح يثرب فنقلوه بأمانة بلسان قريش غير أن التلقي يختلف ،لأنه في مكة اللهجة واحدة بين القارئ والمتلقي ،ولكن في المدينة يوجد لهجات ولغات أجنبية كالآرمية والسريانية وكان لليهود مثلا آفات في النطق وهو ما ينطبق على أبي بن كعب[3]، ولكن حينما وصل النبيّ إلى مدينته كان هو الحكم بين المختلفين في النطق فنجده كان حريصا على المعنى وعلى مدلول اللفظ وليس اللفظ ذاته. يقول محمد

[1]- محمد الحبش، القراءات المتواترة، ص ص 13-14.
[2]- محمد حسن بدر الدين، من الوحي إلى القرآن، ص 196.
[3]- محمد حسن بدر الدين، المصدر نفسه، ص ص 197-198.

حسن بدر الدين: «وقد فصل الرسول القول وحسم الأمر ورفع الخلاف: "هكذا تقرأ" وليست "هكذا أنزلت" فلم تحدث أية واقعة وردت في كل الروايات عن تلك الأحرف... وحول قراءة النص القرآني في لفظه ولا في أي شيء آخر وإنما اختلفوا في اللهجة وليس في اللغة العربية وهذا لا يكون سببا لتلك الخرافات السبع»[1]. وإذا انطلقنا من هذا الاستنتاج الذي توصل إليه محمد حسن بدر الدين يحق لنا أن نتساءل: هل فعلا لم يختلف الصحابة في اللفظ؟

نعيد نفس الجواب المذكور سابقا إن قصة عمر مع هشام وكلاهما قرشي لا يدع مجالا للشك بأن الاختلاف كان في اللفظ لا في النطق، ولنؤكد ذلك سنذكر بعضا من مصاحف الصحابة لنتأكد ونثبت بأن الاختلاف كان في اللفظ ذاته وليس اللهجة.

ب- مصاحف الصحابة:

توفي النبي محمد وانقطع الوحي وانتهى كل ما هو إلهي مطلق مع انتهاء الوحي وكل ما بقي للمسلمين هو ما كتب في الرقاع واللخاف والعسب والأكتاف... بالتالي انتقلنا من مرحلة الوحي والقرآن إلى مرحلة المصاحف. يقول زيد بن ثابت: «قُبض النبيّ ولم يكن القرآن جمع في شيء»[2]، فلم يكن موجودا بعد وفاة النبيّ نسخة موحدة للقرآن، وإنما كان لبعضهم مصاحف ناقصة بل حتى تسمية المصحف ولم تكن مطروحة في ذلك الوقت حيث جاءت متأخرة، حيث أخرج بن أبي أشتة في كتاب المصاحف عن أبي بريدة قال: أول من جمع القرآن في مصحف سالم مولى أبي حذيفة أقسم أن لا يرتدي برداء حتى يجمعه فجمعه ثم ائتمروا ما يسمونه؟ فقال بعضهم سموه سفر، قال ذلك اسم تسمية اليهود فكرهوه، فقال رأيت مثله في الحبشة يسمى المصحف فاجتمع رأيهم أن يسموه مصحف»[3].

في الواقع لم يكن لأي صحابي مصحف تام وإنما كان لبعضهم صحف متناثرة تطوى عادة وتربط بخيط وتحفظ في مكان، وكان الصحابي يدوّن فيها ما أراد أو ما سمعه من

[1]- محمد حسن بدر الدين من الوحي إلى القرآن، ص 198.
[2]- جلال الدين السيوطي، الإتقان في علوم الدين، النوع 18، ج1، ص 58.
[3]- أبو جعفر أحمد الغرناطي، البرهان في تناسب سور القرآن، تح: محمد شعباني، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الرباط، 1990، ص 21.

القرآن وفي بعض الأحيان يضيف إليها شرح أو تعليق أو دعاء[1]، لأن غرض حفظ هذه المصاحف في البداية لم يكن من أجل التاريخ والتأريخ والجمع بعد ذلك وإنما كان من جهة للتعبد لما للقرآن من أجر ومن جهة أخرى حبّاً في كلام الله وتعلقاً به فهو من أفضل العبادات عند المسلمين فعن كل حرف حسنة والحسنة بعشر أمثالها.

لقد عدّد ابن أبي داوود في كتابه المصاحف التي وُجدت بعد وفاة الرسول عند الصحابة إلى 10 مصاحف هي: مصحف عمر بن الخطاب ومصحف علي بن أبي طالب ومصحف أُبي بن كعب ومصحف عبد الله بن مسعود ومصحف عبد الله بن عباس ومصحف عبد الله بن الزبير ومصحف عبد الله بن عمرو ومصحف عائشة ومصحف حفصة ومصحف أم سلمة.

وأضاف مصاحف التابعين: مصحف عبيد بن عمير الليثي ومصحف عطاء بن أبي رباح ومصحف عكرمة مولى بن عباس ومصحف مجاهد بن جبر ومصحف سعيد بن جبير ومصحف الأسود بن يزيد وعلقمة بن قيس ومصحف محمد بن أبي موسى ومصحف حطان بن عبد الله الرقاشي ومصحف صالح بن كيسان ومصحف طلحة بن مصرف الأيامي ومصحف سليمان بن مهران[2].

ولكن ما يهمنا في هذا البحث هو مصاحف الصحابة قبل أمر الخليفة الأول بجمع القرآن.

وقبل عرض أهم المصاحف يقول أبو بكر ابن أبي داوود: «إما قلنا مصحف فلان، لمّا خالف مصحفنا هذا من الخط أو الزيادة أو النقصان أخذته عن أبي رحمه الله هكذا فعل في كتاب التنزيل»[3].

[1]- محمد حسن بدر الدين، من الوحي إلى المصحف، ص ص 50-51.
[2]- ابن أبي داوود السجستاني، المصاحف، المجلد الأول، دار البشائر الإسلامية، بيروت، ط2، 2002، ص 939-941.
[3]- ابن أبي داوود السجستاني، المصدر نفسه، ص ص 283-284.

1) مصحف عمر بن الخطاب:

حيث كان يقرأ: «صراط من أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم وغير الضالين»[1]. بينما في المصحف العثماني: «صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ».

كما قرأ من سورة آل عمران: «ألم الله لا إله إلا هو الحي القيام»[2]. بينما في المصحف العثماني «ألم. اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ».

كما قرأ من سورة المدثر: «في جنات يتساءلون يا فلان ما سلكك في سقر»[3]، بينما في المصحف العثماني: «في جنات يتساءلون عن المجرمين ما سلكك في سقر».

2) مصحف علي بن أبي طالب:

حيث قرأ من البقرة: «آمن الرسول بما أنزل إليه و آمن المؤمنون»[4]، بينما في المصحف العثماني: «آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ».

3) مصحف أبي بن كعب:

قرأ: «فما استمتعتم به منهن إلى أجل مسمى»[5]، بينما القراءة في المصحف العثماني: «فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ» (النساء 24).

كما قرأ : «فلا جُناح عليه ألّا يطّوّفَ بهما»[6]، بينما في المصحف العثماني: (فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا) (البقرة 158).

[1]- ابن أبي داوود السجستاني، المصاحف، ص 284.
[2]- ابن أبي داوود السجستاني، المصدر نفسه، ص 284.
[3]- ابن أبي داوود السجستاني، نفسه، ص 289.
[4]- ابن أبي داوود السجستاني، نفسه، ص 290.
[5]- ابن أبي داوود السجستاني، نفسه، ص 291.
[6]- ابن أبي داوود السجستاني، نفسه، ص 292.

ووجد «فصيام ثلاثة أيام متتابعات» في كفارة اليمين[1]، بينما في المصحف العثماني لا نجد كلمة متتابعات: **(لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَّدْتُمُ الْأَيْمَانَ فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَاكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ ذَلِكَ كَفَّارَةُ أَيْمَانِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ)**[2].

4) مصحف عبد الله ابن مسعود:

نجد: «إن الله لا يَظلِمُ مثقال نملة»[3]، بينما نجد في المصحف العثماني: **(إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ)**[4].

كما نجد: «واركعي واسجدي في الساجدين»[5]، بينما في المصحف العثماني: **(وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ)**[6].

كما نجد: «بل يداه مبسطان»[7]، بينما في المصحف العثماني: **(بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ)**[8].

مَبْسُوطَتَانِ)[8].

كما نجد: «وتزيدوا وخير الزاد التقوى»[9]، بينما في المصحف العثماني: **(وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى)**[10]

كما نجد: «من بقلها وقثائها وثومها وبصلها»[11]، بينما في المصحف العثماني: **(مِنْ بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا)**[12].

---

[1]- ابن أبي داوود السجستاني، المصاحف، ص 292.
[2] - سورة المائدة، الآية 89.
[3]- ابن أبي داوود السجستاني، المصاحف، ص ص 293-294.
[4] - سورة النساء، الآية 40.
[5]- ابن أبي داوود السجستاني، المصدر السابق، ص 294.
[6] - سورة آل عمران، الآية 43.
[7]- ابن أبي داوود السجستاني، المصدر السابق، ص 295.
[8] - سورة المائدة، الآية 64.
[9]- ابن أبي داوود السجستاني، المصدر السابق، ص 295.
[10] - سورة البقرة، الآية 197.
[11]- ابن أبي داوود السجستاني، المصدر السابق، ص 296.
[12] - سورة البقرة، الآية 61.

كما نجد: «والعصر إن الإنسان لفي خسر وإنه فيه إلى آخر الدهر إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالصبر»[1]، بينما في المصحف العثماني: **(وَالْعَصْرِ. إِنَّ الْإِنْسَانَ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ. إِلَّا الَّذِينَ آَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ)**[2].

نجد كذلك: «أولئك لهم نصيب ما اكتسبوا»[3]، بينما في المصحف العثماني: **(أُولَئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِمَّا كَسَبُوا)**[4].

نجد كذلك: «وأقيموا الحج والعمرة للبيت»[5]، بينما في المصحف العثماني: **(وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ)**[6].

كما نجد الكثير من الآيات التي تختلف بين مصحف ابن مسعود والمصحف العثماني في جلّ السور القرآنية كما ذكرها أبي داود.

5) مصحف عبد الله بن عباس:

نجد أن ابن عباس قرأ: «إن الصفا و المروة من شعائر الله فمن حج أو اعتمر فلا جناح عليه أن لا يطّوف بهما»[7]، بينما في المصحف العثماني: **(إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا)**[8].

ونجد: «وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي محدث»[9]، بينما في المصحف العثماني: **(وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى)**[10].

ونجد: «و لا يعلم تأويله إلا الله و يقول الراسخون آمنا به»[11]، بينما في المصحف العثماني: **(وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آَمَنَّا بِهِ)**[12].

---

[1]- ابن أبي داوود السجستاني، المصاحف، ص 297.
[2] - سورة العصر.
[3]- ابن أبي داوود السجستاني، المصدر السابق، ص 298.
[4] - سورة البقرة، الآية 202.
[5]- ابن أبي داوود السجستاني، المصدر السابق، ص 299.
[6] - سورة البقرة، الآية 196.
[7] ابن أبي داوود السجستاني، المصدر السابق، ص 346
[8] - سورة البقرة، الآية 158.
[9]- ابن أبي داوود السجستاني، المصدر السابق، ص 347.
[10] - سورة الحج، الآية 52.
[11]- ابن أبي داوود السجستاني، المصدر السابق، ص 349.
[12] - سورة آل عمران، الآية7.

ونجد: «حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى وصلاة العصر»[1]، بينما في المصحف العثماني: **(حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ)**[2].

6) مصحف عبد الله بن الزبير:

نجد عنده: «لا جناح عليكم أن تبتغوا فضلا من ربكم في مواسم الحج»[3]، بينما في المصحف العثماني: **(لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ فَإِذَا أَفَضْتُمْ مِنْ عَرَفَاتٍ فَاذْكُرُوا اللَّهَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُمْ وَإِنْ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الضَّالِّينَ)**[4].

7) مصحف عبد الله بن عمرو:

حدثنا عبد الله، حدثنا محمد بن حاتم بن بزيع، حدثنا زكريا بن عدي، حدثنا أبو بكر بن عياش قال: قدم علينا شعيب بن شعيب بن محمد بن عبد الله بن عمروا بن العاص فكان الذي بيني و بينه فقال يا أبا بكر ألا أخرج لك مصحف عبد الله بن عمرو بن العاص فأخرج حروفا تخالف حروفنا فقال وأخرج راية سوداء من ثوب خشن فيه رزين وعروة فقال هذه راية رسول الله (ص) التي كانت مع عمرو[5].

8) مصحف عائشة زوج الرسول:

نجد: «حافظوا عل الصلوات والصلوات الوسطى وصلاة العصر وقوموا لله قانتين»[6]، كنا قد ذكرناها سابقا في المصحف العثماني.

ونجد في مصحفها: «إن الله وملائكته يصلون على النبي والذين يصلون الصفوف الأُوَل»[7]، أما في المصحف العثماني: **(إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا)**[8].

---

[1]- ابن أبي داوود السجستاني، المصاحف، ص 352.
[2] - سورة البقرة، الآية 238.
[3]- ابن أبي داوود السجستاني، المصدر السابق، ص 360.
[4] - سورة البقرة، الآية 198.
[5]- ابن أبي داوود السجستاني، المصدر السابق، ص 364.
[6]- ابن أبي داوود السجستاني، المصدر نفسه، ص 369.
[7]- نفسه، ص 370.
[8] - سورة الأحزاب، الآية 56.

9) مصحف حفصة زوج الرسول:

نجد: «حافظوا عل الصلوات والصلوات الوسطى وصلاة العصر وقوموا لله قانتين»[1]، كنا قد ذكرناها سابقا في المصحف العثماني.

10) مصحف أم سلمة زوج الرسول:

نجد: «حافظوا عل الصلوات والصلوات الوسطى وصلاة العصر وقوموا لله قانتين»[2]، وهي نفس الآية المذكورة في بعض المصاحف السابقة.

ولم نرى بدا من ذكر الاختلاف بين مصاحف التابعين والمصحف العثماني لأنها لم تكن مثل أهمية مصاحف الصحابة التي كان لها دور هام في تشكل المصحف العثماني وعملية جمع المتفرق من القرآن.

إذا كان هذا حال المصاحف في حياة الرسول محمد أو بعيد وفاته هذا مؤشر يبشر بأن عملية جمع القرآن في كتاب واحد لن تكون بالأمر الهين وهذا ما سننتقل للبحث فيه لاحقا.

ت- الذاكرة والنسيان:

كان النبي محمدا يعرض الوحي مشافهة إلى أصحابه فكان بعضهم يحفظه في الصدور أي في الذاكرة لأن أغب المكيين لم يكونوا يحسنون القراءة والكتابة، بينما عمد البعض الآخر ممن يحسنون القراءة والكتابة إلى تدوينه خشية النسيان من جهة ومن جهة أخرى للاحتفاظ به لنفسه لأن النبيّ كما ذكرنا سابقا لم يأمر بتدوين النصوص القرآنية بين دفتي كتاب، ولا يختلف اثنان في دور الحفظ في نقل الشعر والأنساب و...، فكان معمولا بهذه الطريقة قبل البعثة. ولكن في نفس الوقت هؤلاء الحفظة هم بشر عاديون والذاكرة الإنسانية معرضة للخطأ والسهو والنسيان فما الضامن لسلامة تحول النص القرآني من الشفوي إلى الكتابي؟ لأن النص الشفوي نص متحرك لارتباطه بعمل الذاكرة التي لا تسجل

[1]- ابن أبي داوود السجستاني، المصاحف، ص 376.
[2]- ابن أبي داوود السجستاني، المصدر نفسه، ص 377.

ما تحفظ تسجيلا أمينا إنما هي تؤول ما تحفظ وتعدل وتبدل وتنقص وتزيد وهو ما يجعل النص الشفوي غير مستقر وغير ثابت...، ناهيك عن وهن الذاكرة ونسيانها[1]. ولا يقتصر النسيان عل الصحابة فقط بل حتى على النبيّ محمد كما تنص بعض الروايات التاريخية كان عُرضة للنسيان لأنه رغم جلال قدره والموحى إليه إلا أنه إنسان وكان يخاف أن ينسى حينما كان يأتيه الوحي فكان يستعجل نقله إلى أصحابه حتى أمره الله حسب النص القرآني بعدم التسرع في نقله حتى يصل المعنى وطمأنه حيث تقول الآية: **(لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ. إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ)**[2].

ورغم هذا الحرص من النبيّ إلا أنه هنالك شواهد تاريخية تؤكد بأن النبي نسي بعض النصوص القرآنية حيث يروي البخاري في صحيحه عن عائشة قالت: سمع رسول الله (ص) رجلا يقرأ بالليل فقال يرحمه الله لقد أذكرني كذا وكذا آية كنت أنسيتها من سورة كذا وكذا» (البخاري 5038).

كما يقول النبي نفسه في الصحيحين: «إنما أنا بشر مثلكم فإذا نسيت فذكروني» (البخاري386) (مسلم 889).

ويؤكد القرآن هذه المسألة في آيتين:

- **(مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنْسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلِهَا)**[3].
- **(سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنْسَى. إِلَّا مَا شَاءَ)**[4].

هذه النصوص تؤكد صراحة بأن النبيّ بجلال قدره ووقع في النسيان ولكن حاول الفقهاء تبرير هذا النسيان ففي الآية الأولى تتجسد إرادة الله المطلقة في أنه أوحى ما يريد وأنسى ما يريد فهو على كل شيء عليم قدير هذا من جهة ومن جهة أخرى تحيلنا هذه الآية

[1]- باسم المكي وآخرون، علوم القرآن في الإبستيمية المعاصرة، مؤسسة مؤمنون بلا حدود للنشر والتوزيع، الرباط، ط 1، 2018، ص 30.

[2] - سورة القيامة، الآيتان 16-17.

[3] - سورة البقرة، الآية 106.

[4] - سورة الأعلى، الآيتان 6-7.

إلى مسألة في غاية الأهمية في علوم القرآن ألا وهي الناسخ والمنسوخ التي سنتناولها بالبحث لاحقا.

أما الآية الثانية حاول بعض الفقهاء إعراب "لا" بأنها النافية بمعنى سنقرئك ولن تنسى ولكننا نراها عكس ذلك أي أن الله عز وجل يحث النبيّ (ص) على التركيز حتى لا ينسى. وقد ركز المستشرقون على هذه نقطة وحي الشيطان للنبي في انتقادهم للقرآن والنبي محمد مستشهدين بالنص القرآني ذاته تقول الآية: **(وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنْسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ. لِيَجْعَلَ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فِتْنَةً لِلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ. وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَيُؤْمِنُوا بِهِ فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ اللَّهَ لَهَادِ الَّذِينَ آمَنُوا إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ)**[1]. ومن بين ما أورده المستشرقون هو قصة الغرانيق: والرواية أوردها الطبري وابن أبي حاتم وملخصها أن النبيّ قرأ بمكة (وَالنَّجْمِ) وحينما بلغ (أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّى. وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَى) أضاف «تلك الغرانيق العلى، وإن شفاعتهن لترجى» فسجد النبي ومن معه من المسلمين... ورغم أن الكثير من فقهاء المسلمين أجمعوا على بطلان هذه الرواية رغم أن الغربيين أجمعوا عليها ولكن المستشرق ويلش على الرغم من هذا يعتبر القصة ملفقة وهي في نظره من اختصاص المفسرين الذين ولدوها لتأييد نظريتهم عن الناسخ والمنسوخ[2].

فالنبي بشر يتذكر وينسى بل هناك رواية سنعرضها رغم طولها يذكرها ابن كثير في البداية والنهاية عن عبادة بن الصامت قال: لما قدم وفد إياد على النبي (ص) قال: «يا معشر وفد إياد ما فعل قيس بن ساعدة الأيادي؟

قالوا: هلك يا رسول الله

[1] - سورة الحج، الآيتان 52-54.
[2] - باسم المكي وآخرون، علوم القرآن في الإبستيمية المعاصرة، ص 30.

قال: لقد شهدته يوما بسوق عكاظ على جمل أحمر يتكلم بكلام معجب مونق لا أجدني أحفظه. فقام إليه أعرابي من أقاصي القوم فقال: أنا أحفظه يا رسول الله.

قال: فسُر النبي»[1].

«شرق وغرب، يتم وحزب، وسلم وحرب، ويابس ورطب، وأجاج وعذب، وشموس وأقمار، ورياح وأمطار، وليل ونهار، وإناث وذكور، وبرار وبحور، وحب ونبات، وآباء وأمهات، وجمع وأشتات، وآيات في إثرها آيات، ونور وظلام، ويسير وإعدام، ورب وأصنام، لقد ظل الأنام، نشر المولود ووعد مفقود وتربية محصود وفقر وغناء ومحسن ومسيء.

تبا لأرباب الغفلة ليصلحن العامل عمله، وليفقدن الآمل أمله، كلا بل هو إله واحد، ليس بمولود ولا والد، أعاد وأبدى، وأمات وأحيا، وخلق الذكر والأنثى، ورب الآخرة والأولى.

أما بعد فيا معشر إياد، أين ثمود وعاد؟ وأين الآباء والأجداد؟ وأين العليل والعواد؟ كل له معاد يقسم قسٌ برب العباد وساطح المهاد، لتحشرن على انفراد، في يوم التناد، إذا نُفخ في الصور، ونُقِر في الناقور، وأشرقت الأرض، ووعظ الواعظ، فانتبذ القانط، وأبصر اللاحظ، فويل لمن صدف عن الحق الأشهر، والنور الأزهر، والعرض الأكبر، في يوم الفصل، وميزان العدل، إذا حكم القدير، وشهد النذير، وبعد النظير، وظهر التقصير، ففريق في الجنة وفريق في السعير»[2].

حيث أُعجب النبي بهذا القول الذي هو قريب من النص القرآني في نظمه وحتى في أفكاره.

وعليه نثبت من خلال هذه الحجج بأن الرسول كان عُرضة للنسيان لأنه بشر فما بالك بالكتبة والحفظة من أصحابه والمسلمون من بعده.

[1]- بن كثير، البداية والنهاية ، تح: عبد الله بن المحسن التركي، ج 2، دار الهجر، ط1، 1998، ص 292.
[2]- ابن كثير، البداية و النهاية، المصدر نفسه، ص 292.

المبحث الثاني: من المصاحف إلى المصحف.

ذكرنا في سابقا أن النبيّ توفي ولم يكن القرآن قد جُمع بين دفتي مصحف موحد لأن الرسول لم يأمر بذلك كما ذكرنا وانتهى معه الوحي والمتعالي الإلهي. والقرآن كان مشتتا في صحف ومحفوظا في الصدور، وإذا أضفنا إلى كل هذه العوامل إشكالية القراءات السبع واتساع مساحة الإسلام جغرافيا بالإضافة إلى الاحتقان على الخلافة وتعدد المصاحف ووفاة الحفظة فكانت النتيجة الحتمية هي أن يكون القرآن مفرقا، وكان من الضروري جمع القرآن من اللحاف والرقاع والأكتاف والصحف لأنه نزوله انتهى رسميا بوفاة الرسول وكان لا بد من حفظ القرآن، وتوحيد المصاحف في مصحف ولكن من الذي قام بهذه المهمة؟ وبوحي من؟ وكيف تم ذلك؟

لخص الشنقيطي هذه العملية في أبيات قال فيها:

لم يجمع القرآن في مجلد على الصحيح في حياة أحمد

للأمن فيه من خلاف ينشأ وخيفة النسخ بوحي يطرأ

وكان يكتب على الأكتاف وقطع الآدم واللخاف

وبعد إغماض النبي فالأحق أن أبا بكر بجمعه سبق

جمعه غير مرتب السور بعد إشارة إليه من عمر

ثم تولى الجمع ذو النورين فضمه ما بين دفتين

مرتب السور والآيات مخرجا بأفصح اللغات[1]

لخصت هذه الأبيات الانتقال من المصاحف إلى المصحف العثماني حسب الرواية المتداولة عند أهل السنة. فبعد وفاة النبي تكفل أبو بكر ثم عمر ثم عثمان بتوحيده وفي هذا الصدد يقول المستشرق أ ت ويلش: «إن تاريخ القرآن بعد وفاة محمد لا يزال غير واضح،

[1]- محمد طاهر بن عبد القادر الكردي، تاريخ القرآن، مطبعة الفتح، جدة، ط1، 1946م، ص 22.

وإن إعداد النسخة الرسمية أو القانونية للقرآن مر بثلاث مراحل عبر تطورها، يصعب وضع تاريخ محدد لكل منهما، وإن الاعتقاد السائد بين المسلمين هو أن القرآن كان محفوظا بطريقة شفهية، ثم كتب أثناء حياة النبي أو بعد موته بقليل، عندما جمع ورُتب لأول مرة بواسطة الصحابة، ثم ظهرت النسخة الإمام أو المصحف الإمام في عهد الخليفة عثمان بن عفان»[1].

ولكن الشيعة لهم رأي مخالف ذكرناه سابقا بأن القرآن جمع في حياة النبي بحيث كان القرآن مدونا في بيته وأن علي بن أبي طالب تكفل بوضعه في مصحف، وسنعرض الرواية الشيعية بأمانة لأنها إذا كانت صحيحة فعلي هو أول من جمع القرآن. فما الرواية الشيعية؟

1- الرواية الشيعية:

يؤكد الشيعة أوّلاً بأن علي بن أبي طالب من كتبة الوحي مستشهدين برواية منسوبة إليه يقول فيها: «فما نزلت على رسول الله آية من القرآن إلا أقرأنيها وأملاها عليَّ فكتبتها بخطي وعلمني تأويلها وتفسيرها، وناسخها ومنسوخها، ومحكمها ومتشابهها وخاصها وعامها ودعا الله أن يعطيني فهمها وحفظها، فما نسيت آية من كتاب الله ولا علما أملاه عليّ منذ دعا الله لي بما دعا»[2]. فكان علي حسب هذه الرواية عالما عارفا بكل الآيات حافظا لها وكان يكتب كغيره من الصحابة بأمر من الرسول حسب الرواية الشيعية وما يثبت حسبهم أمر الرسول بالكتابة هو الحديث الذي نهى فيه أصحابه عن كتابة الأحاديث والاكتفاء والتفرغ للقرآن حتى لا يختلطان، ويرَون بأن أهل السنة تعمدوا حصر الجمع في الخلفاء الثلاث متناسين ومقصين لمصحف علي وابن مسعود[3] وغيرهم ونسب السنة المصحف إلى عثمان دون غيره، يقول الشهرستاني: «إن التركيز على اسم عثمان وإبعاد الآخرين عنه فيه شيء من الإجحاف بحق كبار الصحابة الذين عرضوا قراءتهم على رسول الله (ص) والذين أوصى بأخذ القرآن منهم على وجه الخصوص»[4]. وأورد السنة حسبهم روايات كاذبة تتعمد

[1]- أبو بكر كافي، مواقف المستشرقين من جمع القرآن ورسمه وترتيبه، عرض ونقد، pdf، ص 4.

[2]- السيد علي الشهرستاني، جمع القرآن نقد الوثائق وعرض الحقائق، ج1، المركز الإسلامي للدراسات الإستراتيجية، دس، د ط، ص 42.

[3]- السيد علي الشهرستاني، المرجع نفسه، ص 54.

[4]- نفسه، ص 55.

إقصاء علي بل أنهم قالوا بأن عليا لم يكن حافظا للقرآن فكيف يكون له مصحف رغم أنه من الصحابة المشهود بعلمهم بل أنه لم يذكر في الروايات السنية بأنه من كتبة الوحي ولم يكن في اللجنة المكلفة بجمع القرآن بعد وفاة الرسول وهو من هو، يقول محمد أبو رية: «من أغرب الأمور ومما يدعو للحيرة، أنهم لم يذكروا اسم علي فيمن عهد إليهم بجمع القرآن وكتابته، لا في عهد أبي بكر ولا في عهد عثمان ويذكرون من هم أقل منه درجة في العلم والفقه»[1]. ويعتقد الشيعة أن علياً هو الوحيد الذي جمع القرآن كاملا فنجد في صحيح الكافي: «لم يجمع القرآن كله إلا الأئمة وإنهم يعلمون علمه كله.عن جابر قال سمعت أبا جعفر يقول: ما ادعى أحد من الناس أنه جمع القرآن كله كما أنزل إلا كذاب وما جمعه وحفظه كما نزله الله تعالى إلا علي بن أبي طالب والأئمة من بعده»[2]. ويروي الخوارزمي في مناقبه عن علي بن رباح قال: «جمع القرآن على عهد رسول الله علي بن أبي طالب و أبي بن كعب»[3].

فقد هَمَّ علي بن أبي طالب إلى كتابة الوحي مباشرة بعد إعلان وفاة الرسول ولم يخرج من بيته إلا للصلاة وأنهى عملية الجمع في وقت قياسي حيث نجد في رواية ثلاثة أيام. يقول ابن النديم: «فجلس في بيته ثلاثة أيام حتى جمع القرآن فهو أول مصحف جمع فيه القرآن»[4].

وفي رواية أخرى سبعة أيام «عن الإمام عن أبي جعفر محمد بن علي الباقر أنه قال لجابر بن يزيد قال: «اسمع وعِ وبلغ حيث انتهت بك راحلتك إن أمير المؤمنين (ع) خطب الناس بالمدينة بعد سبعة أيام من وفاة رسول الله (ص) وذلك حينما فرغ من جمع القرآن وتأليفه»[5].

عن محمد بن سيرين قال: «لما توفى النبيّ أقسم علي أن لا يرتدي برداء إلا لجمعة حتى يجمع القرآن في مصحف ففعل»، ويضيف رياح صعصع كانوا يظنون بأن عدم خروج

[1]- محمود أبو رية، أضواء على السنة المحمدية، دار المعارف، القاهرة، ط2، 1994، ص 228.
[2]- الكليني، الكافي، دار الكتب الإسلامية، ج1، طهران، ط3، 1968، ص 228.
[3]- أبو عبد الله الزنجاني، تاريخ القرآن، ص 49.
[4]- ابن النديم، الفهرست، ج1، دار المعرفة، بيروت، ط 2، 1997، ص 46.
[5]- رباح صعصع عنان الشمري، جمع القرآن الكريم عند المستشرقين - جون جلكريست أنموذجا-، دار الكفيل للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، 2014، ص 82.

علي هو غضبه وكرهه لبيعة أبي بكر على الخلافة، فأرسل إليه أبو بكر بعد أيام أكرهت إمارتي يا أبا الحسن؟ قال لا والله، إلا أني أقسمت أن لا أرتدي برداء إلا لجمعة[1].

بعد ذكر هذه الأدلة التي ركز عليها الشيعة في إثبات أن علي بن أبي طالب كان أول من جمع القرآن نرى بأن موقفهم لا يتطابق لا مع نفسه ولا مع الوقائع التاريخية فكيف من جهة يقولون بأن القرآن جمع في حياة النبي وكان في بيته يوم وفاته كما في رواية علي بن إبراهيم عن أبي بكر الحضرمي عن أبي عبد الله جعفر بن محمد قال: إن رسول الله (ص) قال لعلي (ع): يا علي إن القرآن خلف فراشي في الصحف والحرير والقراطيس، فخذوه واجمعوه ولا تضيعوه كما ضيعت اليهود التوراة، وانطلق علي (ع) فجمعه في ثوب أصفر ثم ختم عليه»[2]. ومن جهة أخرى يقولون بأن علي تفرغ لجمعه بينما الآخرون انشغلوا بالصراع على الخلافة في السقيفة[3]، وهو ما عبر عنه ابن أبي الحديد: «فأهل الحديث لا يقولون ما تقوله الشيعة من أنه تأخر مخالفة للبيعة بل يقولون تشاغل بجمع القرآن. فهذا يدل على أنه أول من جمع القرآن لأنه لو كان مجموعا في حياة رسول الله لما احتاج إلى أن يتشاغل بجمعه بعد وفاته»[4]. والوقائع التاريخية تؤكد عكس الرواية الشيعية فالشيعة برأينا كان همهم هو إثبات أن أهل السنة كانوا يزوّرون القرآن والنسخة الأصلية أو المصحف الإمام كان موجودا وتجاهلوه، حيث يروي الشهرساني رواية للواقدي يقول فيها: «أن معاوية لما عاد من العراق إلى الشام بعد صلح الإمام الحسن واجتماع الناس إليه خطب فقال : «أيها الناس إن رسول الله قال لي: إنك ستلي الخلافة من بعدي فاختر الأرض المقدسة فإن فيها الأبدال وقد اخترتكم فالعنوا أبا تراب فلعنوه، فلما كان الغد كتب كتابا ثم جمعهم فقرأه عليهم، وفيه: «هذا كتاب كتبه أمير المؤمنين معاوية صاحب وحي الله الذي بعث محمد نبيا وكان أميا لا يقرأ ولا يكتب فاصطفى له من أهله وزيرا كاتبا أمينا - يعني نفسه- فكان ينزل الوحي على محمد وأنا أكتبه وهو لا يعلم ما أكتب فلم يكن بيني وبين الله أحد من خلقه فقال له

[1]- رباح صعصع عنان الشمري، المرجع السابق، ص ص 82-83.
[2]- أبو عبد الله الزنجاني، تاريخ القرآن، ص 49.
[3]- مولاي حسن بدر الدين، من الوحي إلى المصحف، ص 90.
[4]- ابن أبي الحديد المعتزلي، شرح نهج البلاغة، ج1، تح: حسين الأعلمي، شركة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ط1، 1998، ص27.

الحاضرون كلهم صدقت يا أمير المؤمنين»، ثم علق عليها الشهرستاني بالقول تأمل من كان وراء أمية الرسول حيث كانوا ينشرون الكذب - يقصد السنة- ويصل إلى أن الرسول كان عليما باختلاف أمته من بعده ووجود أمثال معاوية فيهم فخاف أن يضيع القرآن كما ضيعته اليهود وتوصل إلى أنه كان مجموعا في حياته»[1]. فترى الحقد على كل ما هو سني هو المحرك للأفكار وليس العقل.

وهذا ما تنبه له الأغلبية الساحقة من المستشرقين حيث يقول نولدكه: «لا تختلف آراء الروايات المختلفة في شأن عدد من تدعوهم جامعين للقرآن، بل أيضا في أسماءهم، فأكثر ما تقع عليه الأسماء الأربعة التالية: أبي بن كعب ومعاذ بن جبل، وزيد بن ثابت، وأبو زيد الأنصاري، إلى جانب أسماء كثيرة جديدة مثل أبي الدرداء، وعثمان وتميم الداري، وعبد الله بن مسعود وسالم بن المعقل، وعبادة بن الصامت، أبي أيوب وسعد بن عبيد، مجمع بن جارية وعبيد بن معاوية وعلي بن أبي طالب»[2]، حيث أثبت بأنه من كتبة الوحي ولكنه أردف قائلا: «تقول روايات مختلفة أن عليا بن أبي طالب ... كان وراء جمع القرآن لكي يأخذ الكرامة من أبي بكر - لا شيء من الصحة في هذا كله، هذه الأخبار تفاسير قرآنية شيعية وكتب تاريخية ذات ترشيحي مشكوك في أمرها، ذلك أن كل ما يرويه الشيعة عن ولي شيعتهم الأعلى غير موضوعي ومنحاز بجملته»[3].

فيرى بأن الرواية الشيعية غير منطقية برأيه، ناهيك عن المدة الجد قصيرة في جمعه حسب الروايتين المذكورتين سابقا سواء ثلاث أيام أو سبعة، وهو ما لم يتحقق لأبي بكر في عامين، ولعمر في عشرة أعوام وهو ما نعتبره مغالاة ومبالغة وهو ما يُضعف الرواية الشيعية برأينا.

[1]- السيد علي الشهرستاني، جمع القرآن نقد الوثائق وعرض الحقائق، ج1، ص ص 236-237.
[2]- تيودور نولدكه، تاريخ القرآن، ص ص241- 242.
[3]- تيودور نولدكه، المصدر نفسه، ص ص 243- 244.

2- جمع القرآن في عهد أبي بكر:

يرى نولدكه مثل أغلب المستشرقين بأن مسألة جمع القرآن وكتابته بدأت بتولي أبا بكر الخلافة حيث يقول: «ينسب بعض المستشرقين مسألة جمع القرآن وتدوينه إلى الخليفة الأول أبي بكر. إن أبا بكر بصفته الخليفة الحاكم هو الذي أمر بالبدء بالعمل... فهو الذي نظم الجمع الأول إلا أن عمر كان العقل المدبّر والمحرّك الفعلي له»[1]، وقد ذهبوا في رأيهم حسب نولدكه أنه لم يكن القرآن مجموعا في كتاب واحد بل بقي مفرقا إلى أن تولى الخلافة أبو بكر فدعا إلى جمع القرآن بين دفتي مصحف واحد خوفا من أن يضيع شيء منه. وهذا ما أكده زيد حينما صرح بأن النبي توفي ولم يكن القرآن قد جمع في شيء بل أخرج السيوطي عن علي قوله: «إن أعظم الناس أجرا في المصاحف أبا بكر كان أول من جمع القرآن بين اللوحين»[2] فما ترك بعده كان مجموعة متناثرة من السور في الصحف والرقاع والأكتاف فيقول أيضا: «قبض النبي ولم يكن القرآن جمع وإنما كان في الرقاع وسواها مما كتب عليه الآيات»[3].

بعد وفاة الرسول تولى أبو بكر بن أبي قحافة خليفته الأول مسؤولية الدولة الإسلامية الفتية فارتد عن الإسلام الكثير من القبائل العربية ومنعوا الزكاة وظهر المدعون للنبوة الكثر لعل أشهرهم هو مسيلمة، يقول نولدكه: «وبعد فترة قليلة من وفاته ظهر في أماكن مختلفة من شبه الجزيرة العربية رجالا ادعوا أنهم أنبياء قومهم وأنهم يتلقون الوحي من الله، هؤلاء هم لقيط بن مالك العماني، ذو الخمار عين بن كعب الأسود اليمني، طليحة الأسدي، مسيلمة التميمي وقد أطلقوا آيات لم تصل منها إلا أقوال مسيلمة، وهي مع أنها لا تتعدى كونها شذرات فقط تطلعنا على الأفكار الدينية التي نشرها هذا الرجل، ولكونه دينا وقوته وأراد أن يجذب إليه العالم كله، لأنه الدين الحق الأفضل أعلن الإسلام الفتي الذي يجاهد من أجل بقاءه

[1]- تيودور نولدكه، تاريخ القرآن، ص ص 249-252.
[2]- جلال الدين السيوطي، تاريخ الخلفاء، مكتبة نزار مصطفى الباز، القاهرة، ط1، 2004، ص 62.
[3]- جلال الدين السيوطي، مختصر الإتقان في علوم القرآن، دار النفائس، بيروت، لبنان، ص 66.

أن كل هذه الحركات خداع الشيطان وعلمه. وقد منحه النجاح - يقصد الإسلام- الحق في ذلك»[1].

فكانت أولوية الخليفة الأوّل حماية الدولة والدين ورأب الصدع، وكان مضطرا إلى استخدام القوة ضدهم لكي تستقر الأمور، ما أدى إلى مقتل الكثير من المسلمين في هذه المعارك الطاحنة وكان أشدها معركة اليمامة التي اختلف المِرخون في ضبط عدد قتلاها ففي الرواية الأولى نجد: «حيث كانت حربا ضروسا لقي فيها المئات من المسلمين حتفهم وقد قدر عدد القراء المقتولين يوم اليمامة بسبعمائة شخص»[2]، وفي الرواية الثانية نجد: «ففي معركة اليمامة سقط من المسلمين عدد كبير جدا نحو ألف شهيد بينهم نحو أربعمائة وخمسون صحابيا»[3]، بينما نقل محمد حسن بدر الدين: «يبدو أن القتل قد استحر يوم اليمامة ضد مسيلمة الكذاب في تلك الثورة العارمة الشاملة في الجزيرة العربية على أبي بكر ويقال أنه قُتل من الصحابة القُراء سبعون»[4]. المهم تذكر أغلب الروايات بأن السبب الرئيسي الذي أثار أبا بكر كخليفة للمسلمين والصحابة المقربون منه على غرار عمر بن الخطاب وزيد بن ثابت هو مقتل الكثير من حفظة الوحي ما جعلهم يخشون ضياع القرآن فأمر الخليفة بجمعه في السنة الثاني عشر للهجرة أي بعد توليه زِمام الدولة الإسلامية الفتية بعام.

«روى البخاري عن زيد بن ثابت رضي الله عنه قال: أرسل إلى أبي بكر مقتل أهل اليمامة وعنده عمر، فقال أبو بكر، إن عمر أتاني فقال: إن القتل قد استحر يوم اليمامة بالناس، وإني أخشى أن القتل بالقراء في المواطن فيذهب كثير من القرآن إلا أن تجمعون، وإني أرى أن تجمع القرآن، فقال أبو بكر: فقلت لعمر: كيف أفعل شيئا لم يفعله رسول الله؟ فقال هو والله خير، فلم يزل يراجعني حتى شرح الله لذلك صدري، ورأيت الذي رأي عمر، قال زيد، وعنده عمر جالس فقال لي أبو بكر: إنك لرجل شاب عاقل ولا تنتهك، كنت تكتب الوحي لرسول الله، فتتبع القرآن فاجمعه، فوالله لو كلفني نقل جبل من الجبال ما كان أثقل

[1]- تيودور نولدكه، تاريخ القرآن، ص 51.
[2]- ساسي سالم الحاج، نقد الخطاب الاستشراقي، ج1، دار المدار الإسلامي، بيروت، ط1، 2001، ص 315.
[3]- عبد الصبور شاهين، تاريخ القرآن، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ط3، 2007، ص 139.
[4]- محمد حسن بدر الدين، من الوحي إلى المصحف، ص 52.

على مما أمرتني به من جمع القرآن فقلت كيف تفعلان شيئا لم يفعله رسول الله. فقال أبو بكر: هو خير فلم أزل أراجعه حتى شرح الله صدري للذي شرح له صدر أبي بكر وعمر، فقمت فتتبعت القرآن أجمعه في الرقاع والأكتاف والعسب، وصدور الرجال، حتى وجدت من سورة التوبة آيتين، مع أبي خزيمة الأنصاري لم أجدهما مع غيره **(لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ...)**[1]، فكانت المصاحف التي جمع فيها القرآن عن أبي بكر حتى توفاه الله ثم عند عمر حتى توفاه الله ثم عند حفصة»[2]. من خلال الروايات التاريخية هذه يعود سبب جمع القرآن في عهد أبي بكر هو الخوف من ضياعه بموت حفظته يوم اليمامة وما يتضح لنا أن الجمع هنا كان جمع ما كتب وكان مفرقا في حياة النبي ثم نسخه مجموعا بعضه إلى بعض في مصحف واحد ولكن في نفس الوقت يتضح بأن القرار لم يكن سهلا لأنهم سيقومون بما لم يقم به النبي في حياته، وما نريد أن نلفت الانتباه إليه ونؤكد عليه أن هذه العملية هي عملية بشرية خاصة وكل ما هو بشري ناقص ويتصف بالنسبية وبالتالي ما الذي يضمن التوفيق فيها وعدم ضياع القرآن رغم أن النية لا نشكك فيها بأنها كانت حسنة والغاية نبيلة وهي اجتهاد عقلي من كبار أصحاب رسول الله.

كما أخرج ابن أبي داود أن عمر بن الخطاب سأل عن آية من كتاب الله فقيل كانت مع فلان فقتل يوم اليمامة، فقال إنا لله، وأمر بجمع القرآن وعلق محمد طاهر الكردي بأن عمرا راجع أبا بكر حتى وافق على الجمع. ومن جهة أخرى كيف لعمر حينما سأل عن آية وحصروها فيمن قتل يوم اليمامة وهنا التناقض في حد ذاته فكيف يعرفها عمر؟ ويمكن أن يحفظها غيرهما[3].

وفي رواية أخرى أن عمر بن الخطاب دخل على أبي بكر فقال إن أصحاب رسول الله (ص) يتهافتون تهافت الفراش في النار ،وإني أخشى أن لا يشهدوا موطنا إلا فعلوا ذلك حتى يقتلوا وهم حملة القرآن فيضيع القرآن ويُنسى ولو جمعته وكتبته، فنفر منها أبو بكر وقال أفعل ما لم يفعل رسول الله (ص) ،فتراجعا في ذلك ثم أرسل أبو بكر إلى زيد بن ثابت

[1]- سورة التوبة، الآية 128.
[2]- جلال الدين السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، ج1، ص 379.
[3]- محمد الطاهر بن عبد القادر الكردي، تاريخ القرآن، ص 25.

قال زيد: فدخلت عليه وعمر مُسربَل فقال لي أبو بكر :إن هذا دعاني إلى أمر فأبيت عليه وأنت كاتب الوحي فإن تكن معه أتبعكما وإن توافقني لا أفعل، فاقتص أبو بكر قول عمر وعمر ساكت فنفرت من ذلك وقلت يفعل ما لم يفعله رسول الله (ص)، إلى أن قال عمر كلمة، ما عليكما لو فعلتما ذلك فذهبنا ننظر فقلنا لا شيء والله ما علينا في ذلك شيء، قال زيد فأمرني أبو بكر فكتبته في قطع الأديم وكسر الأكتاف والعسب». وهذه الرواية أوردها الطبري في تفسيره أيضا[1]. فنلاحظ بأن عمر هو من اقترح و أصر على عملية الجمع، حيث كان يهدف بحسب الروايات الإسلامية إلى حفظ المدون وإقرار الشكل النهائي لهذا الكتاب المقدس وتوثيقه عن طريق حفظته الباقين على قيد الحياة، فلما اقتنع عمر وأبو بكر اختار الخليفة زيد بن ثابت دون بقية الصحابة لأنه رأى فيه الشاب الذكي المفعم بالحيوية ناهيك على أنه أحد كتبة الوحي في حياة الرسول حيث قال أبا بكر لزيد: «إنك رجل ذكي لا نتهمك، وكنت تكتب الوحي في عهد رسول الله فقم بجمع القرآن»[2]. إضافة إلى الأسباب التي دفعت إلى اختيار زيد يعتقد الدراز بأنه واحد ممن حضروا التلاوة الأخيرة من القرآن للرسول، وقد وضع الخليفة لعمر وزيد خارطة الطريق لعملية الجمع حيث قال لهما اقعدا عند باب المسجد فمن جاءكما بشاهدين على كتاب الله فاكتباه[3]، ويرجح الزنجاني أن هذين الشاهدين يكونان ممن عرض على النبي علم وفاته العرضة الأخيرة لذلك قال زيد بن ثابت: حتى وجدت آخر سورة التوبة: **(لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ)** مع أبي خزيمة الأنصاري الذي جعل الرسول شهادته بشهادة رجلين، لم أجدها مع غيره فألحقتها في سورتها»[4]. وفي رواية أخرى روى خزيمة بن ثابت قال جئت بهذه الآية **(لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ)** إلى عمر بن الخطاب وإلى زيد بن ثابت فقال زيد: من يشهد معك؟ قلت لا والله ما أدري فقال عمر: أنا أشهد معه ذلك[5].

---

[1]- محمد الطاهر بن عبد القادر الكردي، تاريخ القرآن، ص ص 26-27.

[2]- محمد عبد الله الدراز، مدخل إلى القرآن الكريم، دار القلم، الكويت، د ط، 1984، ص ص 36-37.

[3]- أبو عبد الله الزنجاني ، تاريخ القرآن ، ص 68.

[4]- أبي جعفر أحمد الغرناطي، البرهان في ترتيب سور القرآن، ص 28.

[5]- الكليني، الكافي، ص 244.

وبذلك اتخذ زيد بن ثابت منهجا خاصا حينما شعر بثقل الحِمل وعظمة الأمر والمسؤولية الكبيرة فكان يأخذ ما كان في صدور الحفاظ وجمع ما كان مكتوبا مفرقا في أدوات الكتابة التي توفرت لهم، وقارن بينهما أو قابل بينهما أي أنه طبق منهج المقابلة والمطابقة، فلم يكن يقبل أي نص إلا إذا استقصى عنه وتحرى الصدق فيه وطبق عليه النقد الداخلي والخارجي[1].

وقد حدد لبيب سعيد هذا المنهج في العناصر التالية:

1) كان كل من تلقى من رسول الله شيئا من القرآن يأتي به وكان ذلك بكل الأحرف السبعة التي نزل بها.
2) يأتوا بكل ما كتب في الأكتاف والعسب والصحف.
3) لا يكتبون إلا:

أ- من عين ما كتب بين يدي الرسول لا من مجرد الحفظ.

ب-ما ثبت أنه عُرض على النبي (ص) عام وفاته دون ما كان مأذونا فيه ما قبلها.

ت-ما ثبت بأنه من الوجوه التي نزل بها القرآن.

4) كانت كتابة الآيات والسور على الترتيب والضبط الذين تلقاهما المسلمون عن رسول الله (ص).
5) كان لا يقبل من أحد شيئا حتى يشهد شاهدان، فلم يكن يكتفي بوجود الشيء مكتوبا ليقبله بل حتى يشهد به من تلقاه سمعا.
6) وبأمر من أبي بكر كان عمر وزيد يقعدان على باب المسجد فهو وقتئذ مقر لجنة الجمع ليكتبا ما يشهد عليه الشاهدين[2].

[1]- ساسي سالم الحاج، نقد الخطاب الاستشراقي، ج1، دار المدار الإسلامي، بيروت، ط1، 2001، ص 317.
[2]- أبي جعفر أحمد الغرناطي، البرهان في ترتيب سور القرآن، ص 30.

والتزم المكلفان بعملية الجمع والتدوين التزاما تاما بهذا المنهج إلى درجة أن عمر نفسه جاء بآية الرجم للزانية فلم يكتبها لأنه كان وحده[1] وهذا المثال وحده كفيل بالتأكيد على الصرامة والدقة التي كان يتحراها جامعي الوحي برئاسة زيد بن ثابت.

وتؤكد الروايات التاريخية بأن زيدا أنهى عملية الجمع والتدوين هذه حيث كان رتبا ومقتصرا على ما لم تنسخ تلاوته حيث يأتي في إرشاد القراء والكاتبين أن زيدا كتب القرآن كله بجميع أجزائه وأوجهه المعبر عنها بالأحرف السبعة الواردة في حديث أن القرآن أنزل على سبعة أحرف فاقرؤوا ما تيسر منه[2]. وبعد الانتهاء من هذه العملية سلم زيد أبا بكر عمله أي منحه أول نسخة كاملة من القرآن بعد أن نسخها في الأديم وهو الجلد المدبوغ حسب الرواية الرسمية الإسلامية السنية خاصة، وبقي هذا المصحف عند أبي بكر حتى توفي ثم عند عمر في حياته ثم عند حفصة بنت عمر زوج الرسول. يقول الدراز: «بعد جمع القرآن بكل هذه الاحتياطات سلمه زيد لأبي بكر الذي احتفظ به طوال خلافته وعهد به قبل موته إلى عمر المرشح للخلافة بعده ثم قام عمر بتسليمه إلى ابنته حفصة أم المؤمنين في آخر لحظة من حياته لأن الخليفة الثالث لم يكن قد بويع بعد[3].

لا يمكن لهذه المرحلة المهمة وهذه العملية الضخمة والرواية التاريخية أن نتركها تمر مرور الكرام دون إخضاعها للنقد العقلي الموضوعي بدءا بمعركة اليمامة التي نعتقد أولا بان أرقام حفظة الوحي الذين توفوا فيها أقل وذكرنا الروايات الثلاث بين ألف ثم أربعمائة وخمسون ثم سبعون لأن القرآن أصلا في تلك الفترة لم يكن مجموعا بين دفتي مصحف يقول نولدكه: «إن العلاقة السببية بين الجمع الأول وبين معركة اليمامة غير تاريخية»[4]، هذا من جهة ومن جهة أخرى إن فكرة توحيد النسخة هي رؤية واجتهاد من عمر بن الخطاب أقنع بها الخليفة أبو بكر وكان عضوا فيها مع زيد، وكان الهدف من كتابة هذا المصحف نفسها مجهولة فإذا كانت النصوص الإسلامية السنية تؤكد على حفظ القرآن من

[1]- محمد عبد الله الدراز، مدخل إلى القرآن الكريم، ص37.
[2]- محمد الطاهر الكردي، تاريخ القرآن، ص 28.
[3]- محمد عبد الله الدراز، مدخل إلى القرآن الكريم، ص37.
[4]- تيودور نولدكه، تاريخ القرآن، ص 293.

الضياع فلماذا قبلت آيات آخر سورة التوبة من صحابي واحد ولم تقبل من عمر آية الرجم لأنه هو سمعها من الرسول، قد يرد البعض بأن السبب هو أنه لم يرد أن يقول الناس أنه زاد في القرآن، ولكن إذا كان متأكدا ألا يمكن أن نقول نحن اليوم أنه نقص من القرآن طبعا إذا صحت الرواية. فالهدف حسب نولدكه «أن تكون مسألة جمع القرآن تتعلق بالدولة أو بالحق الشخصي للمجموعة القرآنية»[1] ولكن إذا كانت قضية دولة لماذا احتفظ الخليفة أبو بكر بالنسخة الأم من القرآن دون أن يطلب بتعميمها وأن ينسخ منها ويرسلها إلى الأمصار ليوحد المصحف كما فعل الخليفة الثالث؟ هنا نعتقد بأن عملية الجمع لم تنتهي في عهد الخليفة الأول نظرا لأن الجمع بدأ بعد معركة اليمامة وليس بعد تولي الخليفة الحكم مباشرة وإذا كانت فترة حكمه دامت سنتين ونصف تقريبا ومعركة اليمامة في القرن 12هـ وعملية الجمع بدأت بعدها يستلزم بأنها دامت حوالي سنة أو سنة ونصف على أكثر تقدير، ونرى بأنها فترة غير كافية مقارنة بالمنهج الذي اتبعته لجنة الجمع يقول محمد طاهر الكردي: «فجمعه للقرآن كان سنة واحدة تقريبا»[2] وقد بالغ المستشرق بلاشير وتلميذه مصطفى مندور في سبب عدم توزيع النسخة من القرآن - إذا تمت لأن مدة تولي زيد المهمة خمسة عشر شهرا حسب بلاشير- على الأمصار بسبب أن القرآن هو الإرث الأعظم الذي تركه النبي بعده وأراد الخليفة حسبهما التميز عن بقية المسلمين بجمعه وتدوينه وامتلاكه لنفسه وكان محرّك أبي بكر وعمر هو عقدة النقص لأنه لو كانت غاية أبي بكر وعمر من جمع القرآن حفظه من الاندثار والتغيير والزيادة والنقصان لما احتفظ به لنفسهما ولما أورثه عمر لحفصة ابنته فامتلاك نسخة من القرآن كان شخصي وامتياز للخليفة عن بقية المسلمين[3]. ولكننا إذا كنا نستحسن سؤال بلاشير إلا أننا نرى جوابه غير معقول ونرجح بأن سبب عدم نشر أبي بكر للقرآن هو عدم الانتهاء من تدوينه كاملا، لأنه أمر في غاية الدقة ويحتاج إلى كثير من التروي والتأكد وإلى كثير من الحيطة والحذر من الخطأ.

[1]- تيودور نولدكه، تاريخ القرآن، ص291.
[2]- محمد الطاهر الكردي، تاريخ القرآن، ص 28.
[3]- عبد الصبور شاهين، تاريخ القرآن، ص ص 144-145.

3- جمع القرآن في عهد عمر بن الخطاب:

أغلب الروايات الإسلامية السنية تجمع بين جمع أبي بكر وعمر بن الخطاب وتؤكد بأن المصحف الذي جمعه زيد بن ثابت وأعطاه لأبي بكر منحه هذا الأخير لعمر بعد أن سماه خليفة للمسلمين كما أوردنا في العنصر السابق، ولكننا نرجح بأن زيد لم يكمل جمع وتدوين القرآن في مصحف واحد نظرا لحجم الأمانة وثقل المسؤولية من جهة ونظرا لمنهجه الدقيق الذي اتبعه فلن يتم ذلك في سنة أو سنة ونصف. ولكن رغم ذلك آثرنا أن نجعل هذه المرحلة في عنصر لوحدها لنتحرى الصدق، فيكون بذلك زيد قد أنهى جمع القرآن في مرحلة خلافة عمر بن الخطاب، فاتخذه مصحفا شخصيا ولم يفرضه. يقول محمد حسن بدر الدين: «اكتفى عمر بحفظ تلك النسخة الوحيدة من النص القرآني أمانة.. .لكنه لم يخرج تلك النسخة للمسلمين ولا أعلمهم بها ولا أمر بنشرها في الدولة ولا تعليمها في المساجد فمنذ عهد الرسول إلى وفاة عمر بن الخطاب لم يكن للمسلمين مصحف مرجعي»[1].

وعليه إذا كانت النسخة الرسمية محفوظة عند الخليفة مقتصرة عليه دون المسلمين فمن أين كان يروي المسلمون شغفهم للقرآن؟، و كيف كان سبيلهم إلى الوحي إذا كان اختلاف القراءات في عهد النبي واقعا رغم أن حدود البلاد الإسلامية كانت ضيقة؟

إن وجود النسخة الرسمية بيد الخليفة عمر بن الخطاب لم يمنع في تلك الفترة من وجود مصاحف أخرى عند صحابة آخرين كعلي وابن مسعود وأبي بن كعب، ولم يكن ينظر إليها الخليفة بأنها مصاحف منافسة بل كان الخليفة ليّنا في التعامل معها كلين الرسول في التعامل مع القراءات السبع.

ومع اتساع رقعة الإسلام الجغرافية وسفر أغلبية الصحابة إلى الشام واليمن ومصر وخاصة البصرة والكوفة اختلفت القراءات، والمشكل الأكبر هو تبديل بعض الكلمات أي تغيير بعض الألفاظ كما ذكرنا في عنصر سابق، حيث أصبح القرآن في متناول الجميع صحابة يملون وناس يكتبون نسخا من القرآن بعضه أو كله ،فأي شخص يحسن القراءة

[1]- محمد حسن بدر الدين، تاريخ القرآن، ص 61.

والكتابة باستطاعته أن يغير النص القرآني في مصحفه، بإضافة جملة أو حذف كلمة أو تغييرها ثم يدعي أنه أملاه عليه أبي بن كعب أو أحد الصحابة[1]، ولكن رغم اختلاف وتعدد وتنوع المصاحف وحتى محتوياتها لم يقم الخليفة بمنعها أو حرقها أو محاولة توحيد المصحف.

نرجح سبب ذلك هو: أن الاقتراح الذي تقدم به عمر بن الخطاب نفسه لأبي بكر في السابق لجمع القرآن إنما كان خوفا على القرآن من الاندثار والضياع ولا يبقى منه شيء فاجتهد في ذلك الاقتراح. بينما لم يحركه تغيير المصاحف لأن النبي نفسه سمح بها، خاصة وهو نفسه كان له حادث تطرقنا له سابقا مع هشام حينما قاده إلى النبي وسمح النبي بالقراءتين وهو كان يعتقد بأنه يمتلك النسخة الأم التي ستوحد المسلمين إذا ما اختلفوا، وحينما اقترب موعد وفاته بعد الطعن سلم هذه النسخة لابنته حفصة أم المؤمنين لأن عثمان بن عفان لم يبايع بعد.

[1]- محمد حسن بدر الدين، المرجع السابق، ص 61.

خاتمة الفصل:

ما نختتم به فصلنا هو أنه بعد انقطاع الوحي الإلاهي المطلق بوفاة النبي، اجتهد عمر بن الخطاب واقترح على الخليفة أبو بكر الانطلاق في عملية جمع القرآن،وهذا ما لم يتقبله الخليفة الأول في البداية متحججا بأنه لن يقوم بشيء لم يقم به النبي نفسه في حياته، ولكنه بعد ذلك مال إلى رأي عمر نظرا لعدة أسباب أهمها اتساع رقعة بلاد الإسلام ودخول العديد من القبائل والأقوام في الإسلام واختلافهم في نطق الأحرف ما قد يؤدي إلى تغيير المعنى،هذا من جهة ومن جهة أخرى وفاة أغلب حفظة القرآن في معركة اليمامة، لذا عين الخليفة على رأس لجنة الجمع زيد بن ثابت نظرا لسنه وحيويته وقربه من النبي، كما عين معه عمر بن الخطاب نظرا لصرامته و غيرته على الدين، كما وضع لهما شروط صارمة لقبول أي آية أو رفضها، لذا لم تكن عملية الجمع بسيطة سهلة، بل كانت تحت إشراف صحابة أخيار يمتلكون كفاءة الحفظ والسرد والتحقيق والتدقيق من أجل تجميع النصوص القرآنية وصياغتها بين دفتي كتاب سيكون في المستقبل القريب هو مرجع الأوحد للمسلمين في حياتهم ومعاملاتهم. غير أن هذه العملية حسب رأينا لم تنتهي في حياة الخليفة الأول نظرا لقصر مدة توليه الحكم، ما جعل الخليفة الثاني عمر بن الخطاب يواصل في نفس الطريق الذي بدأه أبو بكر، ونرى بأن عملية الجمع الأولية انتهت في عهده والدليل على ذلك أنه ترك هذا المصحف لابنته حفصة بعد وفاته.

الفصل الرابع

المصحف العثماني

الفصل الرابع: المصحف العثماني

المبحث الأول: النسخة النهائية للمصحف

1- توحيد المصاحف في عهد عثمان بن عفان.

2- هل ضاع شيء من القرآن؟

المبحث الثاني: الناسخ والمنسوخ

1- إحاطة بالمفهوم.

2- ضروب النسخ في القرآن.

3- **هل هنالك أخطاء لغوية في القرآن؟**

المبحث الثالث: ترتيب المصحف

1- **تصنيف وتبويب السور ضمن المكي والمدني.**

2- هل ترتيب المصحف العثماني توقيفي أم توفيقي؟

خاتمة الفصل.

تمهيد:

في هذا الفصل سنحاول وصف السياق الذي جمع فيه القرآن وكيف ساهم الصحابة في جمعه وتوثيقه في كتاب جامع ومرجعي للمسلمين وعملنا على تتبع الخطوات المعتمدة في جمع هذه المادة باعتبارها نصوص متواترة عن طريق الوحي والنزول والبحث في آلية توحيد القرآن .

والتأكيد على فكرة الضياع التي يمكن القول بأن القرآن عرف نوع من الضياع وهذا ما خلق نوع من الشكوك في بعض المرويات .

وهذا ما جعلنا نتعامل مع عدة مفاهيم وأفكار منها فكرة الناسخ والمنسوخ وعملنا على بلورتها في إطار مفاهيمي والتركيز على البنية اللغوية للقرآن وهل كانت هذه البنية عرضة للأخطاء والبحث في عملية ترتيب القرآن وفق معطيات وآلية تجمع بين التوفيق والانسجام والتكامل بين آيات المصحف وهذا الفصل هو بمثابة التوثيق لشهادة ميلاد مشروع المصحف الجامع للقرآن .

المبحث الأول: النسخة النهائية للمصحف

1- توحيد المصاحف في عهد عثمان بن عفان:

اتسعت الرقعة الجغرافية للمسلمين وانتشر القراء والحفاظ في شتى البقاع وهذا ما أدى إلى اختلاف قراءات النص القرآني وما زاد ذلك تأثير اللغة سواءً اللهجة أو الخط، واشتهرت في كل بقعة ومكان قراءة صحابي، هذا ما عجل بمحاولة توحيد النسخ وتوحيد المصاحف. فأهل الشام كانوا يقرؤون بقراءة أبي بن كعب وأهل الكوفة يقرؤون بقراءة عبد الله بن مسعود وغيرهم كان يقرأ بقراءة أبي موسى الأشعري. وكان بينهم اختلاف في أداء الحرف وحتى في المحتوى ما أدى في بعض الأحيان أن يصل هذا الاختلاف إلى درجة العنف والنزاع ، فكانت الفتنة لأن كل طرف يتعصب لقراءة صحابي دون آخر[1]. وقد شبه الزرقاني هذا الاختلاف والفتنة بما كان بين الصحابة قبل أن يعلموا بالأحرف السبعة، وبدأ المسلمون يكفرون بعضهم بعضا وكانت فتنة كبرى فكان توحيد المسلمين ووأد الفتنة في توحيد المصحف أي بقراءة واحدة وترك الستة.

حيث يرجع نولدكه الروايات الإسلامية حول جمع القرآن إلى ثلاث روايات أولها أنه بدأ في عهد أبي بكر والثاني أنه بدأ في عهد عمر والثالث هو بدأ في عهد أبي بكر وانتهى في عهد عثمان[2]، ورجح الرأي الثالث و هو ما نعتقده كذلك . وقد حدد تاريخ انتهاء هذه العملية بالتقريب حوالي 30هـ أو أقصى حد 35ه حينما قال: «يمكن تحديد أوقات هذه العملية (توحيد المصاحف) على نحو تقريبي تؤرخ الحملات المذكورة عادة سنة الثلاثين للهجرة غير أن علاقتها بما يأتي على ذكره المؤرخون من معارك أخرى حصلت في المنطقة نفسها ومع الأشخاص أنفسهم غير واضحة...أما التاريخ الأقصى فهو موت عثمان في نهاية سنة 35ه»[3]. غير أن المؤرخين يرجعون هذه العملية إلى السنة الثانية من خلافة عثمان بن عفان أي الخامس والعشرون للهجرة مثل ابن حجر الذي أكد هذا الأمر[4].

فكيف بدأت عملية التوحيد هذه؟

---

[1]- الهادي خلفة، القرآن الكريم من التنزيل إلى الترتيل، ص 88.
[2]- تيودور نولدكه، تاريخ القرآن.ص252
[3]- تيودور نولدكه، المصدر نفسه، ص 270.
[4]- محمد الطاهر الكردي، تاريخ القرآن، ص 38.

إن الفتنة التي تحدثنا عنها في الأمصار بلغت الحجاز يروي ابن أبي داود في المصاحف عن طريق أبي قلابة أنه قال: «لما كانت خلافة عثمان جعل المعلم يعلم قراءة الرجل والمعلم يعلم قراءة الرجل، فجعل الغلمان يلتقون فيختلفون حتى ارتفع ذلك إلى المعلمين حتى كفر بعضهم بعضا فبلغ ذلك عثمان فخطب فقال: «أنتم عندي تكذبون به وتلحنون فيه فمن نأى عني في الأمصار أشد اختلافا يا أصحاب محمد اجتمعوا فاكتبوا للناس إماما»، حيث علق الزرقاني في "مناهل العرفان" على هذه الرواية بقوله: «وفعلا فقد كان الذين يسمعون اختلاف القراءات من تلك الأمصار أو التقوا على جهاد أعدائهم يعجبون من ذلك وكانوا يمعنون في التعجب والإنكار كلما سمعوا زيادة في اختلاف طرق أداء القرآن وأدى بهم التعجب إلى الشك والمداجاة ثم إلى التأثيم والملاحاة وتيقظت الفتنة التي كادت تطيح فيها الرؤوس وتسفك فيها الدماء»[1]. ولكننا نرى بأن الزرقاني ركز على اختلاف في طرق الأداء أو النطق ،ونراه بذلك جانب الصواب لأنه لو كان المشكل في النطق أو اللهجة لتفهم المسلمون ذلك ولكن الاختلاف كان في كلمات ونصوص وهذا ما ذكرناه سابقا في مصاحف الصحابة وما سنوضحه لاحقا.

وهذا ما لم يتقبله المسلمون والمؤكد هو أن الفتنة بلغت أوجها في هذه الفترة، في سنة 25هـ فتحت أرمينية بجيش مسلم يتألف من أهل الشام الذين أخذوا القرآن من أبي بن كعب وأهل العراق الذين أخذوه من عبد الله بن مسعود وكان حذيفة بن اليمان شاهدا على الفتنة التي حدثت في هذه الغزوة التي كادت أن تنتهي باقتتال فهرع إلى الخليفة يقص عليه ما كان يروي البخاري عن أنس بن مالك حدثه أن حذيفة بن اليمان قدم على عثمان وكان يوازي أهل الشام في فتح أذربيجان وأرمينية مع أهل العراق، فأفزع حذيفة اختلافاتهم في القرآن فقال لعثمان: يا أمير المؤمنين أدرك هذه الأمة قبل أن يختلفوا في الكتاب اختلاف اليهود والنصارى، فأرسل عثمان إلى حفصة أن أرسلي إلينا بمصحف ثم نردها إليك فأرسلت بها حفصة إلى عثمان فأمر زيد بن ثابت وعبد الله بن الزبير وسعيد بن العاص وعبد الرحمن بن

[1]- محمد عبد العظيم الزرقاني، مناهل العرفان في علوم القرآن، ص 256.

الحارث بن هشام فنسخوها في المصاحف وقال عثمان للرهط القرشيين الثلاثة إذا اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت في شيء من القرآن فاكتبوه بلسان قريش»[1].

ولكن في رواية ابن أبي داوود: «أن عدد الذين جمعهم عثمان لكتابة المصحف الإمام كانوا اثني عشر رجلا من قريش والأنصار، وأن عثمان كان يتعاهدهم (أي يتابعهم في عملهم) وأنهم كانوا يكتبون حسب العرضة الأخيرة»[2].

تكاد تجمع الروايات الإسلامية بأن النسخة التي كانت مع حفصة بنت عمر هي التي اعتمدت وأن اللجنة التي كلفها عثمان بن عفان كانت وظيفتها كتابة هذه النسخة البكرية والتحقق منها للمرة الأخيرة ولكن: إذا كان زيد بن ثابت هو من كلفه الخليفة الأول بكتابة القرآن في النسخة التي كانت مع حفصة فلماذا قال الخليفة الثالث للجنة التدوين وتوحيد المصحف إذا «اختلفتم مع زيد في شيء» ألا يعني ذلك بان عملهم لم يقتصر على نسخ المصحف العثماني بل كانت وظيفتهم تحقيقه من جهة، ومقارنته بالمصاحف التي كانت موجودة من جهة أخرى؟

للجواب على هذه التساؤلات تطرق محمد حسن بدر الدين إلى احتمالات:

- أولها: أمحي الحبر في بعض الأوراق أو تلف الأوراق بسبب ظروف الحفظ.
- ثانيها: لم يكتب زيد القرآن كله في مصحف أبي بكر أو لم يكتب أصلا نسخة من القرآن لأبي بكر.
- ثالثها: كيف لأعضاء اللجنة معرفة من أقرأها له الرسول بدقة وينادونه للمدينة للتأكد[3].

بينما يذكر جلال الربعي أن جامعي المصحف زمن عثمان تدوينا وتبويبا وتصنيفا لم ينطلقوا من فراغ، بل استندوا في عملهم إلى ما حفظته صدور الصحابة وإلى الصحف

[1]- محمد محمد أبو ليلة، القرآن من منظور استشراقي، ص 154.
[2]- محمد محمد أبو ليلة، المصدر نفسه، ص 155.
[3]- محمد حسن بدر الدين، تاريخ القرآن، ص 78.

المكتوبة من أبي بكر وعمر وعلي وابن مسعود...، فوجود هذا السند المادي ييسر المهمة، لكنه لا يزيل الصعوبات لأنه مبعثر على محاميل كثيرة لعل بعضها أتلف، أما المحفوظ في صدور الرجال فإنه معرض للنسيان[1].

ويعبر نولدكه عن موقفه في مسألة جمع القرآن فيقول: «يبقى أن نعرف بطبيعة الحال ما إذا كان كل الجامعين قد حفظ كل نصوص الوحي أو أجزاء كبيرة منها في ذهنه... فإن حفظ النصوص المقدسة غيبا كان في كل الأزمنة الأمر الأساسي، في حين أن التناقل المكتوب لنصوص الوحي كان ينظر إليه دائما بكونه واسطة لبلوغ الغاية».[2]

الأمر الثاني الذي ينبغي لفت الانتباه إليه أن حفصة بنت عمر رفضت في البداية تسليم النسخة التي تمتلكها للخليفة حتى عاهدها بردها ووفى بعد الانتهاء من عملية توحيد المصحف حيث بقيت معها حتى أحرقها الأمويون ممثلين في شخص مروان بن الحكم ويرجح الربيعي بأن سبب حرق مروان لنسخة حفصة ربما وجود اختلافات بينه وبين ما أصبح متداول. ولكن النتيجة القطعية أن النص القرآني قد جُمعت آياته المتفق حولها بين دفتي كتاب بقرار سياسي مع النسخة العثمانية الرسمية[3].

لا يختلف عاقلان أن الخطوة التي قام بها عثمان بن عفان هي خطوة في غاية الأهمية لوأد الفتنة وتوحيد المسلمين على كلمة واحدة، ولكن في نفس الوقت لم يسلم عمل اللجنة هذا من النقد سواء من بعض **كبار الصحابة** على غرار عبد الله ابن مسعود الذي استاء كثيرا لأنه لم يكن ضمن لجنة توحيد القرآن لأنه رأى نفسه أكفأ من زيد بن ثابت فهو أول من جهر بالقرآن بعد الرسول أيام شدة المسلمين وهو من قال فيه الرسول: «من أحب أن يقرأ القرآن غضا كما أنزل فليقراه عن ابن أم عبد» وهو احد من نصح بهم الرسول المسلمين لمن أراد تعلم القرآن حينما قال: «استقرؤوا القرآن من أربعة عبد الله بن مسعود وسالم مولى أبي حذيفة وأبي بن كعب ومعاذ بن جبل» وهو من قال: «أخذت من في رسول الله (ص) سبعون

[1]- جلال الربعي، من القرآن إلى المصحف، ص 147.
[2]- تيودور نولدكه، تاريخ القرآن، ص 241.
[3]- جلال الربعي، المرجع السابق، ص 158.

سورة وزيد بن ثابت صبي من الصبيان» وكان يقول: «والله الذي لا إله غيرهما أنزلت سورة من كتاب الله إلا أنا أعلم أين نزلت ولا أنزلت آية من كتاب الله إلا أنا أعلم فيمن أنزلت ولو أعلم أحدا أعلم مني بكتاب الله تبلغه الإبل لركبت إليه»[1]. وتذكر المصادر التاريخية بأنه أمر أهل العراق بالاحتفاظ بمصاحفهم وعدم حرقها وعدم الأخذ بالمصحف العثماني، رغم أن بعض المصادر قالت بأنه دخل في الإجماع على مصحف عثمان في الأخير.

ولكن في نفس الوقت لاقت جرأة عثمان بن عفان ثناء وتأييد أغلب الصحابة حيث روى أبو بكر الأنباري عن سويد بن غفلة: «سمعت علي بن أبي طالب كرم الله وجهه يقول: اتقوا الله وإياكم والغلو في عثمان، وقولكم حراق المصاحف فوالله ما حرقها إلا عن ملإ منّا أصحاب رسول الله (ص)»[2].

بعد الانتهاء من العملية نسخت من المصحف العثماني أربعة نسخ أبقى عثمان واحدا معه في المدينة وعين زيدا بن ثابت يقرأ به، وبعث عامر بن قيس مع البصري، وأبا عبد الرحمان السلمي مع الكوفي، والمغيرة بن شهاب مع الشامي[3]، وأمر بحرق المصاحف الأخرى.

2- هل ضاع شيء من القرآن؟

إن طرح السؤال بهذه الصياغة قد يخدش شعور المسلمين وهو مرفوض لديهم لأن العامة من المسلمين يعتقدون أن القرآن هو كتاب أنزله الله على رسوله الذي لا ينطق عن الهوى إنما هو وحي يوحى وقد كان الصحابة أمناء في نقلهم لكلام الله، ولكننا من خلال هذا البحث آثرنا أن نفصل بين ما هو إلهي متعالي مطلق متمثل في الوحي الإلهي على نبيه محمد وبين ما هو بشري قابل للخطأ والنسيان كما ذكرنا سابقا.

إن عمل اللجنة التي كلفها الخليفة الأول أبو بكر أو الخليفة الثالث عثمان يصنف ضمن العمل البشري ورغم مكانتهم المرموقة عند أغلب المسلمين والفرق ماعدا الشيعة إلا

[1]- أبو جعفر أحمد الغرناطي، البرهان في ترتيب سور القرآن، ص 35.
[2]- محمد عبد العظيم الزرقاني، مناهل العرفان، ص 262.
[3]- أبو عبد الله الزنجاني، تاريخ القرآن، ص 73.

أنهم في نهاية المطاف بشر، وكما قلنا سابقا اجتهدوا ما أمكنهم لجمع وتدوين القرآن فهل استطاعوا جمع القرآن كاملا دون زيادة أو نقصان أو تحريف؟

هنالك مقاربتان في هذا الموضوع:

- **المقاربة الأولى: لم يضع شيء من القرآن.**

هي المقاربة الكلاسيكية عند كل الطوائف والفرق الإسلامية في أن الله عز وجل هو الذي تكفل بجمع القرآن فسخر عباده لذلك وهداهم ووفقهم لما أراد حيث فتقول الآية في سورة القيامة: **(إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ)** ومن المستحيل أن يشوبه نقص أو زيادة لأن الله حافظه من ذلك تقول الآية **(إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ)**، وهنالك في القرآن نفسه تأكيد على صحته تقول الآية: **(الم. ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ)** بل وتحدى القرآن أن يأتوا بآية من مثله سواءً الإنس أو الجن: **(قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا)** وفيه تبيان كل شيء لذا هو المشرع الأول للمسلمين ومرجع كل مسلم لأنه من عند الله. وهذا الاجتماع على صحة المصحف العثماني ليس عند السنة فقط بل كل المسلمين حتى الشيعة منهم بنص لأن القرآن عندهم حفظه أهل بيت الرسول بدءا بعلي بن أبي طالب كمنا ذكرنا سابقا ولكن متفقون على محتوى النص ومختلفون في التفسير يقول أحد أعلام الشيعة الشيخ الصدوق: «اعتقادنا أن القرآن الذي أنزله الله تعالى على نبيه محمد (ص) هو ما بين الدفتين، وهو ما في أيدي الناس، ليس بأكثر من ذلك ومبلغ سوره عند الناس مئة وأربع عشرة سورة... ومن نسب إلينا أننا نقول أنه أكثر من ذلك فهو كاذب»[1].

ويقول أحد أعلام الشيعة المتأخرين الشيخ محمد المظفر: «نعتقد أن القرآن هو الوحي الإلهي المنزل من الله تعالى على لسان نبيه الأكرم فيه تبيان كل شيء وهو معجزته الخالدة التي أعجزت البشر في مجاراتها في البلاغة والفصاحة وفيما احتوى من حقائق ومعارف

[1]- محمد زكرياء اللامردي، فصل الخطاب في تحريف كتاب رب الأرباب،شبكة الفكر،ط1، 2007، ص 19.

عالية لا يعتريه التغيير والتبديل والتحريف وهذا الذي بين أيدينا نتلوه هو نفس القرآن المنزل على النبي ومن ادعى فيه غير ذلك فهو مخترق أو مغالط أو مشتبه وكلهم غير ذي هدى»[1].

يقول الساسي في "نقد الخطاب الاستشراقي": «المسلمين سلكوا المناهج العلمية الصارمة في جمع القرآن وتحقيقه وتمحيصه على أحدث ما وصل إليه البحث العلمي الصحيح، ونستنتج من ذلك كله صحة القرآن ووصوله إلينا متواترا وأنه لا زيادة فيه ولا نقصان»[2].

ويقول الزرقاني في "مناهل العرفان": «رضي الله عن عثمان فقد أرضى بذلك العمل الجليل ربه وحافظ على القرآن وجمع كلمة الأمة وأغلق باب الفتنة»[3].

وقد لخص أبو ليله في كتابه "القرآن من منظور استشراقي" مسار كلام الله من الوحي إلى المصحف حينما قال: «القرآن كلام الله أنزله من عالم الغيب إلى عالم القلب، قلب جبريل فحفظه ثم قلب رسول الله (ص) فوعاه وتثبت به، ثم قلب المؤمنين بعد أن طهرها الرحمان بالإيمان وهيأها لحفظه، وإلى جانب القلوب الواعية حفظ الله تعالى القرآن كتابة في عهد النبي فكان يكتب بأمره (ص) بأيدي الكتبة المؤمنين الذين اختارهم الله تعالى لكتابة وحيه على ما تسنى من مواد آنذاك، وحفظها لتكون ظهيرا للقلوب والعقول... فقد سد بذلك جميع المنافذ في وجوه المحرفين المنحرفين على منهج الله تعالى، المعادين لكلامه ورسله من أن تصل أليه أيديهم أو تناله ألسنتهم بالتغيير والتبديل أو بالإضافة والحذف، فالقرآن معصوم بذلك إلى يوم الدين»[4].

- **المقاربة الثانية: ما ضاع من القرآن.**

أوردنا سابقا الفرق بين المصاحف والمصحف العثماني وبما أن اللجنة العلمية لتوحيد المصاحف رأت بأن ما كتبته هو القرآن وفرضته على كل المسلمين فهل وفقت في ذلك؟

[1]- محمد زكرياء اللامردي، فصل الخطاب في تحريف كتاب رب الأرباب ،ص 19.
[2]- سالم الحاج الساسي، نقد الخطاب الاستشراقي، ص ص 318- 319.
[3]- محمد عبد العظيم الزرقاني، مناهل العرفان، ص 261.
[4]- محمد محمد أبو ليلة، القرآن من منظور استشراقي، ص 145.

إن الصراع السياسي التاريخي بين السنة والشيعة دفع بعلمائهما إلى التعصب وتكفير أحدهما الآخر واتهام كل طرف للطرف الآخر بأنه حرف القرآن أو طعن فيه على الأقل. حتى أن أحد فقهاء الشيعة ألف كتابا عنونه بـ" فصل الخطاب في إثبات تحريف كتاب رب الأرباب" تناول فيه طعون أهل السنة من خلال كتبهم في القرآن بالدليل، وهو من بين أهم الكتب التي اعتمدناها في هذه النقطة، التي سنحاول من خلالها أولا عرض الأدلة التاريخية لأنصار هذه المقاربة ثم بعد ذلك التعليق عليها:

أولا: عرض الشواهد التاريخية.

أ- إنكار الصحابي الجليل عبد الله بن مسعود المعوذتين وقال بأنهما ليس من القرآن: فعن عبد الرحمان بن يزيد يعني النخعي قال: «كان عبد الله يحك المعوذتين من مصاحفه ويقول أنهما ليستا من كتاب الله تبارك وتعالى» قال الهيثمي رواه عبد الله بن أحمد والطبراني ورجال عبد الله ثِقات.

وقال السيوطي: وأخرج البراز والطبراني من وجه آخر عنه أنه كان يحك المعوذتين من المصحف ويقول إنما أمر النبي (ص) أن يتعوذ بهما وكان عبد الله لا يقرأ بهما أسانيده صحيحة.

وقد رد ابن حجر العسقلاني على من حكم ببطلان وكذب ما نقل عن عبد الله بن مسعود حيث قال: «والطعن في الروايات الصحيحة بغير مستند لا يقبل بل الرواية صحيحة والتأويل محتمل...»[1].

ب- قال السيوطي: قال أبو عبيد في فصائل القرآن: حدثنا أبو معاوية عن هشام بن عروة عن أبيه قال: سألت عائشة عن لحن القرآن عن قوله تعالى: **(إِنَّ هَذَانِ لَسَاحِرَانِ)** وعن قوله تعالى: **(وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ وَالْمُؤْتُونَ الزَّكَاةَ)** وعن قوله تعالى: **(إِنَّ الَّذِينَ**

[1]- محمد حبيب، نقد فصل الخطاب في إثبات تحريف كتاب رب الأرباب، شبكة الدفاع عن السنة، المدينة المنورة، ط2، 2007، ص 25.

آَمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئُونَ) فقالت يا ابن أختي هذا عمل الكتاب أخطئوا في الكتاب»، قال جلال الدين السيوطي إسناد صحيح على شرط الشيخين[1].

ج- روي في صحيح مسلم عن عائشة أنها قالت كما فيما أنزل من القرآن عشر رضعات معلومات يحرمن ثم نسخن بخمس معلومات فتوفي رسول الله (ص) وهنَّ فيما يقرأ من القرآن[2].

د- عن مجاهد عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى: (لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا) قال أخطأ الكاتب «حتى تستأذنوا» قال الحاكم هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ووافقه الذهبي في التلخيص[3].

ه- قال أبو عبيد: حدثنا إسماعيل ابن إبراهيم عن أيوب عن نافع عن ابن عمر قال: لا يقولن أحدكم قد أخذت القرآن كله وما يدريه ما كله؟ قد ذهب منه قرآن كثير ولكن ليقل قد أخذت منه ما ظهر منه[4].

و- قال أبو عبيد: حدثنا ابن أبي مريم عن ابن لهيعة عن أبي الأسود عن عروة بن الزبير عن عائشة قالت كانت سورة الأحزاب تقرأ في زمن رسول الله (ص) مائتي آية فلما كتب عثمان المصاحف لم يقدر منها إلا على ما هي عليه الآن[5].

ز- قال أبو عبيد: حدثنا إسماعيل بن إبراهيم وإسماعيل بن جعفر عن المبارك بن فضالة عن عاصم بن أبي النجود عن زر بن حبيش قال: قال لي أبي بن كعب: «يا زر كأين تعد، أو قال كأين تقرا سورة الأحزاب؟ قلت اثنتين وسبعون آية، أو ثلاثة وسبعون آية قال: «إن كانت لتعدل سورة البقرة، وإن كنا لنقرأ فيها آية الرجم، قلت وما آية الرجم؟ قال: «إذا زنى الشيخ والشيخة فارجموهما البتة نكالا من الله والله عزيز حكيم»[6].

---

[1]- محمد حبيب، نقد فصل الخطاب في إثبات تحريف كتاب رب الأرباب، ص 26.
[2]- محمد حبيب، المرجع نفسه، ص 27.
[3]- نفسه، ص 30.
[4]- نفسه، ص 31.
[5]- أبو عبيد القاسم بن سلام، فضائل القرآن ومعالمه وآدابه، تحقيق: أحمد بن عبد الواحد الخياطي، ج2، مطبعة فضالة، المحمدية، المغرب، د ط، 1995، ص 146.
[6]- أبو عبيد القاسم بن سلام، فضائل القرآن ومعالمه وآدابه ، ص ص 146-147.

ح- قال أبو عبيد: حدثنا هشيم قال: سمعت الزهري يقول حدثنا عبيد الله بن عبد الله بن عتبة عن ابن العباس قال خطب عمر فقال: ألا إن ناساً يقولون ما بال الرجم وإنما في كتاب الله الجلد وقد رجم رسول الله ورجمنا معه والله لولا أن يقول قائلون زاد عمر في كتاب الله لأثبتها كما أنزلت[1].

ط- قال أبو عبيد: حدثنا عبد الغفار بن داوود عن ابن لهيعة عن عمرو بن دينار عن بجالة أن عمر بن الخطاب مر برجل يقرأ في المصحف: «**النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ وَهُوَ أَبُوهُمْ**» «لا تفارقني حتى نأتي أبي بن كعب فلما أتيا أبي بن كعب فقال: يا أبي ألا تسمع كيف يقرأ هذا هذه الآية؟ فقال أبي كانت فيما أسقط، فقال عمر: فأين كنت عنها قال أبي: شغلني عنها ما لم يشغلك»[2].

ي- أبو عبيد قال: حدثنا حجاج عن حماد بن سلمة عن علي بن زيد عن ابن جدعان عن أبي حرب ابن أبي الأسود عن أبي موسى الأشعري قال: نزلت سورة نحو براءة ثم رفعت وحفظ منها: «إن الله سيؤيد هذا الدين بأقوام لا خلاق لهم ولو أن لابن آدم واديين من مال لتمنى واديا ثالثا ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب ويتوب الله على من تاب»[3].

ك- قال أبو عبيد: حدثنا ابن أبي مريم عن نافع بن عمر الجمحي قال حدثني ابن أبي مليكة عن المسور بن مخرمة قال: قال عمر لعبد الرحمان بن عوف ألم تجد فيما أنزل علينا «أن جاهدوا كما جاهدتم أول مرة» فإنا لا نجدها قال: «أسقطت فيما أسقط من القرآن»[4].

ل- روى مسلم في صحيحه: حدثني سويد بن سعيد حدثنا علي بن مسهر عن داود عن أبي حرب بن أبي الأسود عن أبيه قال: «بعث أبو موسى الأشعري إلى قراء أهل البصرة فدخل عليه ثلاثمائة رجل قد قرؤوا بالقرآن فقال: أنتم خيار أهل البصرة وقراؤهم فاتلوه ولا يطولن عليكم الأمد فتقسوا قلوبكم كما قست قلوب من كان قبلكم

[1]- أبو عبيد القاسم بن سلام، المرجع السابق، ص 147.
[2]- أبو عبيد القاسم بن سلام، المرجع نفسه، ص 148.
[3]- نفسه، ص 150.
[4]- نفسه، ص 152.

وإنا كنا نقرأ سورة كنا نشبهها في الطول والشدة ببراءة فأنسيتها غير أني قد حفظت منها: «لو كان لابن آدم واديان من مال لابتغى واديا ثالثا ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب» وكنا نقرأ سورة كنا نشبهها بإحدى المسبحات فأنسيتها غير أني حفظت منها «يا أيها الذين آمنوا لما تقولون ما لا تفعلون فتكتب شهادة في أعناقكم فتسألون عنها يوم القيامة». (صحيح مسلم 2466) [1]

م- في المستدرك: حدثنا علي بن حمشاد العدل، حدثنا محمد بن المغيرة اليشكري، حدثنا القاسم بن الحكم العرني، حدثنا سفيان بن سعيد، عن الأعمش، عن عبد الله بن مرة، عن عبد الله بن سلمة عن حذيفة (ض) قال: ما تقرؤون ربعها يعني براءة وإنكم تسمونها سورة التوبة وهي سورة العذاب[2].

ن- ولم تقتصر هذه المقاربة على أهل السنة بل حتى عند المسلمين الشيعة ويعتقدون بأن المصحف العثماني أسقط سور وليس آيات فقط على غرار سورة الولاية وسورة النورين، وأن المصحف الأصح هو مصحف علي (ض) وهو مخالف لما في مصحف عثمان يقول الصادق: لو قُرأ القرآن كما أنزل لألفيتمونا فيه مُسَمَيْن، وعن النعمان عن أمير المؤمنين (ع) كأني بالعجم فساطيطهم في مسجد الكوفة، يعلمون الناس القرآن كما أنزل، قلت: يا أمير المؤمنين أوليس هو كما أنزل؟ فقال: لا وأمثال ذلك من الإطلاقات كثيرة»[3].

س- حذفت سورة الخلع التي اعتقد جامعو مصحف عثمان بأنها مجرد دعاء يقول نصها: «اللهم إنا نستعينك ونستهديك ونستغفرك ونتوب إليك ونؤمن بك ونتوكل عليك ونثني عليك الخير كله، نشكرك ولا نكفرك ونخلع ونترك من يفجرك، اللهم إياك نعبد ولك نصلي ونسجد وإليك نسعى ونحفد، نرجو رحمتك ونخشى عذابك إن عذابك الجد للكفار لاحق»[4].

---

[1]- أبو مسلم بن الحجاج النيسابوري، صحيح مسلم، تقديم: محمد فؤاد عبد الباقي، ج2، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1991، ص 2466.

[2]- أبو عبد الله الحاكم النيسابوري، المستدرك على الصحيحين، ج2، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2، 2002، ص 316.

[3]- محمد حبيب، نقد فصل الخطاب في إثبات تحريف كتاب رب الأرباب، ص ص 116-117.

[4]- محمد حبيب، المرجع نفسه، ص 122.

ع- قدم الشيعة أدلة حسب مؤلف كتاب نقد الخطاب لإثبات تحريف القرآن نذكر منها:

أولا: إن اليهود والنصارى غيروا وحرفوا كتاب نبيهم بعده، فهذه الأمة أيضا لابد وأن يغيروا القرآن بعد نبينا (ص) لأن كل ما وقع في بني إسرائيل لا بد أن يقع في هذه الأمة على ما أخبر به الصادق المصدق صلوات الله عليه»[1].

ثانيا: إن كيفية جمع القرآن وتأليفه مستلزمة عادة لوقوع التغيير والتحريف فيه وقد أشار لذلك العلامة المجلسي في مرآة العقول حيث قال: «والعقل يحكم بأنه إذا كان القرآن متفرقا منتشرا عند الناس وتصدى غير المعصوم لجمعه يمتنع عادة أن يكون جمعه كاملا موافق للواقع... ويأتي أنهم لم يثبتوا في القرآن الآيات التي كانت مع الواحد منهم ولم يشهد عليها اثنان منها آية الرجم التي كانت مع عمر ومنها سورتا الحقد والخلع اللتان كانتا مع أبي»[2].

ثالثا: أن أكثر العامة وجماعة من خاصة ذكروا في أقسام الآيات المنسوخة: ما نسخت تلاوتها وحكمها معا، حيث أن نسخ التلاوة غير واقع عندنا، فهذه الآيات والكلمات لا بد أن تكون مما سقطت أو أسقطوها من الكتاب جهلا أو عمدا، لا بإذن من الله ورسوله، وهو المطلوب «واستدلوا بتحريم زواج المتعة ليكثر أطفال الزنى، ويقول عن أبي عبد الله قال: «سورة الأحزاب فيها فضائح الرجال والنساء من قريش وغيرهم وكانت أطول من سورة البقرة ولكن نقصوها وحرفوها»[3].

رابعا: كان لعلي مصحف خاص به جمعه بنفسه عرضه على القوم فأعرضوا عنه فحجبه عن أعينهم... وهو مخالف لهذا القرآن الموجود من حيث التأليف وترتيب السور والآيات، بل والكلمات أيضا، ومن جهة الزيادة والنقيصة، وحيث إن الحق مع علي (ع) وعلي مع الحق ففي القرآن تغيير من جهتين وهو المطلوب»[4].

خامسا: وجود مصحف مخصوص معتبر لعبد الله بن مسعود مخالف للمصحف الموجود مستلزم لعدم مطابقته لتمام ما نزل على النبي...عن المقداد بن الأسود الكندي

[1]- محمد حبيب، المرجع السابق، ص 141.
[2]- محمد حبيب، المرجع نفسه، ص ص 143-144.
[3]- محمد حبيب، نفسه، ص ص 146-147.
[4]- محمد حبيب، نفسه، ص 149.

قال: كنت مع رسول الله (ص) وهو معلق بأستار الكعبة، وهو يقول اللهم اعضدني وشد أزري واشرح صدري وارفع ذكري. فنزل جبريل وقال: «أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ. وَوَضَعْنَا عَنْكَ وِزْرَكَ. الَّذِي أَنْقَضَ ظَهْرَكَ. وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ (بعلي صهرك)» أقرأها النبي لابن مسعود فألحقها بمصحفه وأسقطها عثمان بن عفان»[1].

سادسا: إن هذا المصحف الموجود غير شامل لتمام ما في مصحف أبي بن كعب فيكون غير شامل لتمام ما نزل[2].

سابعا: ابن عفان لما استولى على الأمة جمع المصاحف المتفرقة واستخرج منها بإعانة من زيد بن ثابت وسماها بالإمام وأحرق ومزق سائر المصاحف وما فعل ذلك إلا لإعدام ما بقي فيها مما كان بأيدي الناس أو غفل عنه أخواه مما كان يلزمه حذفه صونا لسلطنتهم عما يوهم الوهن فيها[3].

ثامنا: الأخبار الكثيرة التي رواها المخالفون زيادة على ما مر في المواضع السابقة صريحا على وقوع التغيير والنقصان في المصحف الموجود، منها وأهمها إسقاط سورة الولاية التي كانت في فضل علي وأهل بيته وهذه هي السورة: بسم الله الرحمان الرحيم: «يا أيها الذين آمنوا آمِنوا بالنورين أنزلناهما يتلوان عليكم آياتي ويحذرانكم عذاب يوم عظيم. نوران بعضهما من بعض وأنا السميع العليم إن الذين يوفون ورسوله في آيات لهم جنات نعيم. والذين كفروا من بعد ما آمنوا بنقضهم ميثاقهم وما عاهدهم الرسول عليه يقذفون في الجحيم ظلموا أنفسهم وعصوا الوصي الرسول أولئك يسقون من حميم. إن الله الذي نوّر السماوات والأرض بما شاء واصطفى من الملائكة وجعل من المؤمنين أولئك في خلقه يفعل الله ما يشاء لا إلاه إلا هو الرحمان الرحيم قد مكر الذين من قبلهم بربهم فأخذهم بمكرهم إن أخذي شديد أليم. إن الله قد أهلك عادا وثمودا بما كسبوا وجعلهم لكم تذكرة فلا تتقون. وفرعون بنا طغى على موسى وأخيه هارون أغرقته ومن تبعه أجمعين ليكون لكم آية وإن أكثركم فاسقون إن الله يجمعهم في يوم الحشر فلا يستطيعون الجواب حين يسألون إن الجحيم مأواهم وإن

[1]- محمد حبيب، المرع السابق، ص ص 149-150.
[2]- محمد حبيب، المرجع نفسه، ص 150.
[3]- محمد حبيب، نفسه، ص ص 150-151.

الله عليم حكيم يا أيها الرسول بلغ إنذاري فسوف يعلمون قد خسر الذين كانوا عن آياتي وحكمي معرضون مثل الذين يوفون بعهدك إني جزيتهم جنات النعيم إن اله لذو مغفرة وأجر عظيم وإن عليا من المتقين وإنا لنوفيه حقه يوم الدين ما نحن عن ظلمه بغافلين وكرمناه على أهلك أجمعين فإنه وذريته لصابرون وإن عدوهم إمام المجرمين. قل للذين كفروا بعدما آمنوا أطلبتم زينة الحياة الدنيا واستعجلتم بها ونسيتم ما وعدكم الله ورسوله ونقضتم العهود من بعد توكيدها وقد ضربنا لكم الأمثال لعلكم تهتدون. يا أيها الرسول قد أنزلنا إليك آيات بينات فيها من يتوفاه مؤمنا ومن يتولاه من بعدك يُظهرون فأعرض عنهم إنهم معرضون وإنا لهم محضرون في يوم لا يغني عنهم شيء وهم لا يرحمون إن لهم في جهنم مقاما عنه لا يعدلون فسبح باسم ربك وكن من الساجدين ولقد أرسلنا موسى وهارون بما استخلف فبغوا هارون فصبر جميل فجعلنا منهم القردة والخنازير ولعناهم إلى يوم يبعثون، فاصبر فسوف يبصرون ولقد آتينا بك الحكم كالذين من قبلك من المرسلين وجعلنا لك منهم وصيا لعلهم يُرجِعون ومن يتولى عن أمري فإني مرجعه فليتمتعوا بكفرهم قليلا فلا تسأل عن الناكثين يا أيها الرسول قد جعلنا لك في أعناق الذين آمنوا عهدا فخذه وكن من الشاكرين. إن عليا قانتا بالليل ساجدا يحذر الآخرة ويرجو ثواب ربه قل هل يستوي الذين ظلموا وهم بعذابي يعلمون سيجعل الأغلال في أعناقهم وهم على أعمالهم يندمون إنا بشرناك بذريته من الصالحين. وإنهم لأمرنا لا يخلفون فعليهم مني صلوات ورحمة أحياءا وأمواتا إلى يوم يبعثون وعلى الذين يبغون عليهم من بعدك غضبي إنهم قوم سوء خاسرين وعلى الذين سلكوا مسلكهم مني رحمة وهم في الفرقان آمنون والحمد لله رب العالمين». روى ابن شهر آشوب المازندراني في كتاب المثالب: «إن جامعي القرآن أسقطوا منه تمام سورة الولاية ولعلها هذه السورة»[1].

التاسع: أن الله تعالى قد ذكر أسامي أوصياء خاتم النبيين وابنته الصديقة الطاهرة، وبعض شمائلهم وصفتهم في تمام الكتب المباركة التي أنزلها على رسله، وصرح فيها بوصايتهم وخلافتهم وذلك إما للعناية التامة بتلك الأسامي ويجعلونها وسيلة لإنجاح

[1]- محمد حبيب، نقد فصل الخطاب في إثبات تحريف كتاب رب الأرباب، ص ص 153-157.

سؤلهم وإنجاز مأمولهم وكشف ضرهم أو بما يقتضي كون معرفتهم بها كمعرفة الله جل جلاله واجبة على جميعهم وهذا ظاهر كثير من الأخبار فكيف يحتمل المصنف أن يهمل الله تعالى ذكر أساميهم في كتابه المهيمن على جميع الكتب»[1].

سنكتفي بهذا القدر من الأدلة والشواهد التاريخية التي تثبت مقاربة أنه ضاع قرآن كثير سواء عند أهل السنة والشيعة.

ثانيا: التعليق على الشواهد التاريخية.

بعد عرض الشواهد التاريخية والنصوص التي تؤكد وقوع نقصان وضياع لبعض الآيات سواء بسبب المنهج الذي اتبعه جامعو القرآن الذي كان صارما في حضور الشاهدين وأن يكون في العرضة الأخيرة للرسول محمد قبل وفاته، والسلطة السياسية التي فرضت هذا المصحف بقراءة واحدة خلافا لما أنزل بالقراءات السبع في زمن الرسول كان قد سمح بها، ولكن حتى عند عرض هذه الشواهد نلاحظ بأن الحجج التي قدمها الشيعة على القرآن فيها مبالغة كبيرة وتعظيم لآل البيت دفع بهم إلى حد التطرف في الطرح فمثلا سورة الولاية التي ذكرناها سابقا نجد بأن أسلوبها ليس أسلوب القرآن وتعبيرها جد ركيك ولا نعتقد بأنها كانت أصلا من القرآن خلافا مثلا للأقوال التي تثبت بأن ابن مسعود مثلا يقول بأن الفاتحة والمعوذتان ليستا من القرآن نجدها في كثير من المراجع وتحاول هذه المراجع تبرير قوله لأن سندها صحيح والصحابي جليل كان ملازما للرسول وخادمه، لذا فانطلاقا مما ذكرناه سابقا عنه نقول بأن مقاربة ابن مسعود تستلزم فرضيتين الأولى إما أنه مخطئ وبالتالي اللجنة كانت على صواب والقرآن سليم في هذه النقطة وهو آثم وإذا ثبت العكس فعمل اللجنة مشكوك فيه وقد ضاع شيء من القرآن حيث أورد السيوطي في الإتقان ونبه إلى خطورة هذا الطرح لأنه إن قلنا بأن النقل متواترا كان حاصلا في عصر الصحابة بكون الفاتحة من القرآن معناه أن ابن مسعود كان عالما بذلك فإنكاره يوجب الكفر أو نقصان العقل، وإن قلنا

[1]- محمد حبيب، المرجع السابق، ص 157.

إن النقل المتواتر في هذا المعنى ما كان حاصلا في ذلك الزمان فهذا يقتضي أن يقال إن نقل القرآن ليس بمتواتر في الأصل وذلك يخرج القرآن من كونه حجة يقينية[1].

والفرضية الثانية أن ابن مسعود كان يكتب في مصحفه فقط ما أمر الرسول بكتابته فكان مؤتمرا بأمره وهذا احتمال وارد جدا، أما بالنسبة لسورة الأحزاب وما أثارته من نقاش حاد رده الفقهاء إلى مسألة الناسخ والمنسوخ فآيات نسخت آيات أخرى لذا لا نجدها في المصحف العثماني.

وقد أضاف نولدكه لهذه المجموعة أمر آخر وهو الحديث القدسي حيث يعتقد بأنه كلام إلهي على لسان الرسول وذكر مجموعة نماذج عنها:

- في صحيح البخاري كتاب التوحيد الفصل 50 «إذا تقرب العبد مني شبرا تقربت إليه ذراعا وإذا تقرب إلي ذراعا تقربت إليه باعا وإذا أتاني مشيا أتيته هرولة».[2]
- في صحيح البخاري كتاب الصوم الفصل 9: «كل عمل ابن آدم هو له إلا الصوم فهو لي وأنا أجزي به والصيام جُنة وإذا كان صوم أحدكم فلا يرفث ولا يصخب فإن سابه أحد أو قاتله فليقل إني امرؤ صائم والذي نفس محمد بيده لخُلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك، للصائم فرحتان إذا أفطر فرح وإذا لقي ربه فرح بصومه».
- ابن سعد: «وجبت رحمتي للمتحابين فيَّ والمتجانسين فيَّ والمتباذلين فيَّ والمتزاورين فيَّ».

ثم قال نولدكه: «تضم موسوعات المسلمين الأحاديث الموحى بها والتي لا يضمها القرآن تحت اسم الحديث المروي أو الحديث القدسي... وهي تميز بحق بين هذا الصنف والقرآن وهو الوحي المتلو من جهة والأحاديث النبوية من جهة أخرى لكنها تخطئ باعتبارها الأحاديث القدسية بكل بساطة وحيا في الوقت الذي لا يتأكد فيه بالنسبة لأي منها أنه ليس

[1]- جلال الدين السيوطي، الإتقان، ص ص 104-105.
[2]- تيودور نولدكه ، تاريخ القرآن ، ص ص 230.

أيضا حديثا أصيلا نطق به محمد نفسه»[1]. وهنا نجد بأن نولدكه أثار نقطة في غاية الأهمية وهي كيف فرق الكتاب بين نص القرآن والحديث القدسي وحتى الحديث النبوي؟ إذا أخذنا بعين الاعتبار أنه في حياة الرسول كان الصحابة يحفظون كل ما يقوله في الصدور بل أن بعضهم كان يكتب كما ذكرنا في ما أتيح له من أدوات الكتابة ما يمليه الرسول. ويمكن أن يختلط الحديث النبوي مع القدسي مع النص القرآني ونعتقد بأن هذا ما تنبه له الرسول نفسه حينما أمر أصحابه بأن لا يكتبوا عنه إلا القرآن ومن كتب غيره فليمحه، وهنا فرق ابن باز بين القرآن والحديث القدسي في أن القدسي ما ينقله الرسول (ص) عن ربه من غير القرآن فيقال له قدسي ويقال له كلام الله لكن ليس له حكم القرآن من جهة أنه معجزة ومن جهة أنه لا يمس إلا بطهارة ومن جهة أنه يقرأ به في الصلاة لا، ولكن له حكم كلام الله[2]. وهو نفس ما ذكره زين الدين بن زين العابدين الحدادي: «الحديث القدسي هو ما أخبر الله تعالى به نبيّه بإلهام أو منام فأخبر الرسول (ص) عن ذلك المعنى بعبارة من نفسه، والحديث النبوي ما يضاف إلى النبي (ص) لفظا ومعنى فيقال حديث نبوي، والقرآن هو اللفظ المنزل على محمد (ص) للإعجاز بسورة منه والمتعبد بتلاوته... وإن الصلاة لا تكون إلا بالقرآن وأن جاحد القرآن يكفر بخلاف جاحد الحديث النبوي والقدسي»[3]. رد نولدكه سبب عدم ضم الأحاديث القدسية إلى القرآن هو شك النبي نفسه حيث يقول: «لعل النبي نفسه اعتراه الشك أحيانا وهو على هذه الأرضية المضطربة ولم يكن اللاحقون الذين تولوا مهمة جمع تركته أقل منه عرضة للخطأ، لهذا السبب تمكنت أقوال عادية أن تنال بسهولة صفة "الأحاديث القدسية" وحتى أن تتسرب كوحي من الدرجة الأولى إلى القرآن كذلك تمكنت بالمقابل آيات حقيقية من القرآن لم تضم لسبب ما إلى المصحف»[4].

وهو تقريبا نفس ما توصل إليه مستشرق آخر هو ويليام ألبرت غراهام الذي يرى بأن الصحابة أنفسهم والمسلمون لم يكونوا يفرقون بين الحديث النبوي والحديث القدسي فكانوا

[1]- تيودور نولدكه ، تاريخ القرآن ، ص ص 230-231.

[2] -binbaz.org.sa/fatwas/8850/ الفرق-بين-القران-والحديث-القدسي-والحديث-النبوي

[3]- زين الدين ابن زين العابدين الحدادي، الإتحافات السنية بالأحاديث القدسية، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، د ط، د س، ص 2.

[4]- تيودور نولدكه، تاريخ القرآن، ص 232.

ينسبون الحديث تارة إلى الرسول على لسان ربه ومرة إلى الله مباشرة ويؤكد بأن الاسم في حد ذاته "الأحاديث القدسية" وتعرّف عليه المسلمون في القرن السابع هجري وأن معظم هذه الأحاديث مقتبس من نصوص يهودية ومسيحية مثلا يقول: «هناك حديث قدسي لا أرى إلا أنه مأخوذ من إنجيل متى حيث ورد في الإنجيل ما يلي: «حينئذ يقول الملك للذين على يمينه: تعالوا يا مباركي أبي رثوا الملك المعد لكم منذ إنشاء العالم لأني جعت فأطعمتموني وعطشت فسقيتموني وكنت غريبا فآويتموني وعريانا فكسوتموني ومريضا فعدتموني ومحبوسا فأتيتم إلي حينئذ يجيبه الصديقون قائلين: يا رب ومتى رأيناك جائعا فأطعمناك ومتى... فيجيب الملك ويقول لهم: الحق أقول لكم إنكم كلما فعلتم ذلك بأحد إخوتي هؤلاء الصغار فبي فعلتموه...». لقد أخذت هذه القصة بحذافرها وضمِنت في الحديث القدسي كالآتي: «... إن الله عز و جل يقول يوم القيامة: «يا ابن آدم مرضت فلم تعدني قال يا رب كيف أعودك وأنت رب العالمين؟ أما علمت أن عبدي فلان مرِض فلم تعده؟ أما علمت أنك لو عدته لوجدتني عنده...»[1]. فالنتيجة التي توصل إليها غراهام حول الحديث القدسي هي نفس ما نسبه المستشرقون للنص القرآني ذاته بأنه اقتباس من الكتب السابقة ورددنا عليه بأن مصدرها واحد هو الله عز وجل ويمكن أن تتشابه النصوص.

[1]- عزية علي طه، صور من افتراءات المستشرق غراهام على الأحاديث القدسية، مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية، السنة الثامنة، العدد 21، ديسمبر 1993، ص ص 111-112.

المبحث الثاني: الناسخ والمنسوخ.

1- إحاطة بالمفهوم

لقد أرجع بعض الفقهاء ورجال الدين سبب عدم وجود بعض الآيات في المصحف العثماني إلى ما يعرف بالناسخ والمنسوخ فماذا يقصد بها في علوم القرآن؟

لفهمها لا بد من العودة إلى النص القرآني ذاته:

تقول الآية: **(مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنْسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلِهَا أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ)**[1] لنجد في هذه الآية مفردات وكلمات مفتاحية هي: النسخ - الآية.

فالآية هي محور عملية النسخ لأنها هي التي ستنسخ أو تنسى في المرحلة الأولى ثم تستبدل بخير منها في المرحلة الثانية.

وقد وردت هذه اللفظة في القرآن 84 مرة مفردة، و184 مرة بالجمع "آيات"، و92 مرة بلفظ "آياتنا" و37 مرة بـ "آياته" في كل هذه المواضع تعود على الله لأنها من عظيم صنعه فالكون بما فيه هو آيات الله لمن يتفكر ويتعقل ويتذكر[2].

لقد أولى الفقهاء أهمية بالغة لهذا العنصر من علوم القرآن فلا يكتمل العلم الشرعي دون معرفته بل لا يمكن أن يدعو مسلم أو يحدث دون العلم به، لأنه عماد علوم القرآن وعلم أصول الفقه ، فالتدرج في التشريع حكمة من الله عز وجل لذا ينبغي على المحدث أو الداعية معرفة المحكم من المنسوخ حتى لا يكلف الناس ما لم يكلفهم به ربهم ، روى أبو البختري أن علي بن أبي طالب دخل المسجد فإذا رجل يخوف الناس، فقال ما هذا؟ فقالوا رجل يذكر الناس: فقال ليس برجل يذكر الناس، ولكنه يقول أنا فلان بن فلان فاعرفوني فأرسل إليه أتعرف الناسخ من المنسوخ؟ فقال لا فاخرج من مسجدنا ولا تذكر فيه[3]، وفي رواية قال هلكت وأهلكت.

---

[1] - سورة البقرة، الآية 106.

[2]- صابر مولاي أحمد، الوحي، ص 57.

[3]- القاضي أبو بكر ابن العربي المعافري، الناسخ والمنسوخ في القرآن الكريم، تقديم: عبد الكريم العلوي المدغري، ج1، مكتبة الثقافة الدينية، الرباط، د ط، 1992، ص 193.

وجاء في جامع بيان العلم و فضله لابن عبد البر أن أبا بكر محمد بن الحسن النقاش قال: حدثنا عبد الله بن محمود قال: سمعت يحي بن الأكثم يقول: ليس من العلوم كلها علم هو واجب على العلماء وعلى المتعلمين وعلى كافة المسلمين من علم ناسخ القرآن ومنسوخه لأن الأخذ بناسخه واجب فرضا، والعمل به واجب لازم ديانة والمنسوخ لا يعمل به ولا ينتهي إليه، فالواجب على كل عالم علم ذلك، لئلا يوجب على نفسه وعلى عباد الله أمرا لم يوجبه الله أو يضع عنهم فرضا أوجده الله»[1].

وقد عرف جمهور المفسرين النسخ بأنه رفع حكم شرعي بدليل شرعي آخر فالحكم المرفوع يسمى منسوخ والدليل الرافع للنسخ يسمى بالناسخ، فالنسخ يأتي بمعنى الإزالة مثل الآية: **(فَيَنْسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ...)**[2] ويأتي بمعنى التبديل كقوله: **(وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَكَانَ آيَةٍ)**[3] وبمعنى التحويل كتناسخ المواريث يعني تحويل الميراث من واحد إلى واحد ويأتي بمعنى النقل من موضع إلى موضع ومنه نسخت الكتاب إذا نقلت ما فيه حاكيا للفظه وخطه»[4].

يقول الطبري في تفسير الآية 106 من سورة البقرة: «ما ننقل من حكم آية إلى غيره فنبدله ونغيره وذلك أن يحول الحلال حراما والحرام حلالا والمباح محظورا والمحظور مباحا ولا يكون ذلك إلا في الأمر والنهي والحظر والإطلاق والمنع والإباحة، فأما الأخبار فلا يكون فيها ناسخ ولا منسوخ[5] مثل قيام الليل والصوم وشرب الخمر...

ومنه فالمنسوخ من الآيات يبطل الأخذ بها ويرفع الحكم حيث يعوض بالحكم الناسخ الجديد.

[1]- القاضي أبو بكر ابن العربي المعافري، الناسخ والمنسوخ في القرآن الكريم ، ص 194.
[2] - سورة الحج الآية 52.
[3] - سورة النحل، الآية 101.
[4]- صابر مولاي أحمد، الوحي، ص 57.
[5]- الطبري، جامع البيان في تفسير آي القرآن، ص ص 331- 333.

2- ضروب النسخ في القرآن:

أ- ما نسخ في تلاوته وبقي حكمه:

يعمل به إذا تقبلته الأمة بالقبول مثل آية الرجم وما ضاع من سورة الأحزاب...، نقل السيوطي في الإتقان عن القاضي أبي بكر في الانتصار إنكار قوم له، لأن الإخبار فيه في أخبار آحاد، ولا يجوز القطع على إنزال القرآن ونسخه بأخبار الآحاد لا حجة فيها، بينما أوضح ابن عربي في كتابه المحصول في علم الأصول بأن الذين يقولون بمنعه هم المعتزلة لأن التلاوة أصل والحكم فرع ويجوز ذهاب الفصل وبقاء الأصل ولكن ذهاب الفرع وبقاء الأصل فمحال[1]. وقد حاول الزرقاني تبرير هذا النوع من النسخ بقوله: «يقولون إن نسخ التلاوة مع بقاء الحكم عبث لا يليق بالشارع الحكيم لأنه من التصرفات التي لا تعقل لها فائدة وندفع هذه الشبهة بجوابين:

- **أحدهما:** أن نسخ الآية مع بقاء الحكم ليس مجردا من الحكمة ولا خاليا من الفائدة حتى يكون عبثا ،بل فيه فائدة وهي حصر القرآن في دائرة محدودة تيسر على الأمة حفظه واستظهاره وتسهيله على سواد الأمة للتحقق منه وعرفانه ،وذلك سور محكم وسياج منيع يحمي القرآن من أيدي المتلاعبين فيه بالزيادة أو النقصان، لأن الكلام إذا شاع وذاع وملأ البقاع ثم حاول أحد تحريفه سرعان ما يعرف و يقابل بالإنكار وبذلك يبقى الأصل سليما من التغيير والتبديل، مصداقا لقوله سبحانه: **(إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ)**، والخلاصة أن حكمة الله قضت أن تنزل بعض الآيات في أحكام شرعية عملية حتى إذا اشتهرت تلك الأحكام نسخ سبحانه هذه الآيات في تلاوتها في تلاوتها فقط رجوعا بالقرآن إلى سيرته من الإجمال وطردا لعادته في عرض فروع الأحكام من الإقلال فيسيرا لحفظه وضمانا لصونه والله يعلم وأنتم لا تعلمون. [2]
- **ثانيهما:** أنه على فرض عدم علمنا بحكمة ولا فائدة في هذا النوع من النسخ فإن عدم العلم بالشيء لا يصلح حجة على العلم بعدم ذلك الشيء وإلا فمتى كان الجهل طريقا

[1]- القاضي أبو بكر ابن العربي المعافري، الناسخ والمنسوخ في القرآن الكريم ، ص ص 205- 206.
[2]- الزرقاني، مناهل العرفان في علوم القرآن، ص 157.

من طرق العلم ثم إن الشأن في كل ما يصدر عن العليم الحكيم الرحمان الرحيم أن يصدر لحكمة أو لفائدة نؤمن بها وإن كنا لا نعلمها على التعيين وكم في الإسلام من أمور تعبدية استأثر الله بعلم حكمتها أو أطلع عليها بعض خاصته من المقربين منه والمحبوبين لديه وفوق كل ذي علم عليم وما أوتيتم من العلم إلا قليلا ولا بدع في هذا فرب البيت قد يأمر أطفاله بما لا يدركون فائدته لنقص عقولهم على حين أنه في الواقع مفيد وهم يأتمرون بأمره وإن كانوا لا يدركون فائدته والرئيس يأمر مرؤوسيه بما يعجزون عن إدراك سره وحكمته على حين أن له في الواقع سرا وحكمة وهم ينفذون أمره وإن كانوا لا يفهمون سره وحكمته كذلك شأن الله مع خلقه فيما خفي عليهم من أسرار تشريعه وفيما لم يدركوا من فائدة نسخ التلاوة دون الحكم **(وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَى وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ)**»[1].

في الحقيقة إن الحجة الأولى للزرقاني ضعيفة ولا يقبلها عاقل فلو كان الغرض من رفع تلاوتها هو تقليص حجم القرآن للعامة من المسلمين لحفظه لوجدنا بأن آيات كثيرة حذفت لأن فيها تكرار كثير جدا خاصة في القصص، أما الحجة الثانية فرد الزرقاني العلم لله وأخرجه من دائرة التفكير الإنساني إلى دائرة العلم الإلهي المطلق وأنهى المسألة على طريقة أغلب الفقهاء الذين يقزمون دور العقل ويريدون من المسلمين أن يخضعوا دون تفكير ولا تمحيص في هذه المسألة لذا نرى بأن المخرج الذي حاول الفقهاء التملص منه على فقدان بعض الآيات من القرآن عن طريق هذا النوع من أنواع النسخ هو غير منطقي فعائشة وعمر وأبو موسى الأشعري وغيرهم من كبار الصحابة والذين عاصروا نزول القرآن مع النبي وصرحوا بأنه ضاع ولم يقولوا نسخ القرآن تلاوة وبقي الحكم.

ب- نسخ التلاوة والحكم:

كان الصحابة يحفظون آيات وسور فشذت عنهم فأخبرهم الرسول أنها رفعت ومن ذلك ما روي عن ابن مسعود أن النبي (ص) حفّظه آية فكتبها في مصحفه، ثم أصبح وقد

[1]- محمد عبد العظيم الزرقاني، مناهل العرفان في علوم القرآن، ص 158.

شذت عن حفظه فأقبل على مصحفه فوجد موضعها أبيض فجاء إلى رسول الله فأخبره بذلك فقال: «تلك رفعت البارحة يا ابن أم عبد»[1].

ونقل الزركشي في "البرهان" عن أبي بكر الرازي أنه قال: «نسخ الرسم والتلاوة إنما يكون بأن ينسيهم الله إياه ويرفعه من أذهانهم ويأمر بالإعراض عن تلاوته وكتبه في المصاحف فيندرس على الأيام كسائر كتب الله القديمة التي ذكرها في كتابه في قوله **(إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَى. صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى)** ولا يعرف اليوم منها شيء ثم لا يخلو ذلك من أن يكون في زمن النبي (ص) حتى إذا توفي لا يكون متلوا في القرآن، أو يموت وهو متلو موجود في الرسم ينسيه الله ويرفعه من أذهانهم وغير جائز نسخ شيء من القرآن بعد وفاة النبي (ص)»[2]. فهذا النوع من النسخ لم يكتب أصلا في مصحف عثمان لأن الله أنساه ونسخه.

ت- ما نسخ حكمه وبقيت تلاوته:

وهو موضوع كتب الناسخ والمنسوخ وعليه مدار الأبحاث في هذا العلم وهو حسب صابر مولاي أحمد في ثلاثة وستون سورة كقوله تعالى: **(وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا)**[3] حيث كانت المرأة إذا مات زوجها عدتها عاما كاملا ونفقتها من مال زوجها ولا ترث تقول الآية: **(مَتَاعًا إِلَى الْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ)**[4] فنسخ الله ذلك في قوله: **(يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا)**[5] وهذا الناسخ مقدم في النظم على المنسوخ[6].

وقد وجد المستشرقون في عنصر النسخ مادة دسمة لمهاجمة النص القرآني فعلى سبيل الذكر لا الحصر نجد المستشرق جون جالكريست حيث ربط بين النسخ ومسألة جمع النص القرآني مستندا كما أوضحنا سابقا على سبب عدم جمع القرآن في حياة النبي بين دفتي مصحف هو الاحتياط من نزول آية تنسخ آية أخرى، وهنا طرح مقاربة في غاية المنطقية عن ضياع بعض الآيات بسبب النسخ حيث يقول: «إذا كانت هناك أجزاء من القرآن قد

[1]- القاضي أبو بكر ابن العربي المعافري، الناسخ والمنسوخ في القرآن الكريم ، ص 207.
[2]- الزركشي، البرهان، ص 240.
[3] - سورة البقرة، الآية 234.
[4] - سورة البقرة، الآية 240.
[5] - سورة البقرة، الآية 234.
[6]- صابر مولاي أحمد، الوحي، ص 56.

نسخت وحذفت فهل كانت هذه الأجزاء ضمن اللوح المحفوظ؟ إذا أجبنا بنعم فالنتيجة الحتمية هي أن المصحف الحالي ليس نسخة طبق الأصل لما يوجد في اللوح المحفوظ، لأن هذا الأخير لا يمكن تغيير أي جزء منه لأنه كلام الله الأبدي إذا أجبنا بلا فكيف أمكن أن توحى هذه الأجزاء لمحمد وتعتبر من القرآن خلال فترة معينة قبل نسخها وهي ليست من اللوح المحفوظ»[1]. كما سبق وقلنا مقاربته عقلانية جدا ولكن ما لم يعلمه أنه حسب اعتقاد المسلمين فإن اللوح المحفوظ هو ما سيحدث أو بتعبير آخر أن الله في سابق علمه يعلم ما سيحدث ومنه كان يعلم بأن الآيات التي ستثبت والآيات التي تنسخ والآيات التي ستضيع.

ويعتقد بأن المسلمين وجدوا في النسخ مبررا لضياع أجزاء من القرآن يقول: «تفترض هذه النظرية أن كل جزء من القرآن لم يتم ضمه للمصحف وقت جمعه أو ألغي لسبب أو آخر وجب أن يكون الله قد نسخه»[2].

وهو فعلا ما نراه بعد عرضنا هذا فالنسخ هو المبرر الوحيد لعدم وجود بعض الأجزاء من القرآن التي حددها بعض المفكرين بـ 120 آية.

3- هل هنالك أخطاء لغوية في القرآن؟

لقد حصر الباحث محمد حسن بدر الدين الاختلاف في المصحف العثماني في ثلاث مواضع ووصفها بأنها اختلافات بسيطة هي:

- **أولها: اختلاف الظاهر:** هو اختلاف ظاهر سرعان ما لفت انتباه المتحذلقين في النحو فعدوه لحنا أو خطأ في المصحف[3] وذكر أمثلة عنها:
  - ✓ **(إِنَّ هَذَانِ لَسَاحِرَانِ)**[4].
  - ✓ **(وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ وَالْمُؤْتُونَ الزَّكَاةَ)**[5].

[1]- ستار جبر الأعرجي وآخرون، النسخ وعلاقته بجمع القرآن عند المستشرقين، مجلة دراسات استشراقية، العدد الأول، 2014، ص ص 154-155.
[2]- ستار جبر الأعرجي وآخرون ، المرجع نفسه، ص ص 155-156.
[3]- محمد حسن بدر الدين، من الوحي إلى المصحف، مرجع سابق، ص 205.
[4] - سورة طه، الآية 63.
[5] - سورة النساء، الآية 162.

✓ **(إِنَّ الَّذِينَ آَمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئُونَ)**[1].

ولكن نجده في التعليل يقول هكذا نزلت فهو في البداية يقول بأنها أثارت علماء النحو ثم يقول بأنها هكذا أنزلت، فهل يعقل أن يخطئ الوحي؟ بل هو من عمل لجنة الجمع التي قلنا بأنها اجتهاد بشري قابل للخطأ، بالإضافة إلى أن اللغة العربية نفسها في تلك المرحلة كانت تعيش مخاضها العسير.

- **ثانيها: اختلاف النظر الجزئي أو الكلي:** الذي ينظر إلى جانب ويهمل آخر وتتعلق خاصة بآيات الغيب المطلق التي سماها القرآن لأنها لا تفهم إلا ضمن تشبيه أو مثال، وهذه الرمزية في القرآن لا نعرف من تصدى لها بالبحث قديما أو حديثا[2]. واستشهد بفخر الدين الرازي حينما ذكر بعض الأمثلة في صيغة استفهامية: فإن قيل أليس قوله: **(وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ. إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ)**[3] كان مناقض لقوله تعالى: **(لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ)**[4] وآيات الجبر كالمناقضة لآيات الجبر، وقوله: **(فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ)**[5] كالمناقض لقوله: **(فَيَوْمَئِذٍ لَا يُسْأَلُ عَنْ ذَنْبِهِ إِنْسٌ وَلَا جَانٌّ)**[6] [7].

إضافة إلى ما ورد في وصف الجنة والنار والملائكة... فهي برأيه تشبيهات تقريبية للذهن البشري لأنه لا يمكن بلوغ المجرد الميتافيزيقي إلا مرورا بالمحسوس كالطفل لا يمكنه بلوغ المفاهيم الرياضية المجردة إلا بالاعتماد على المحسوسات في شاكلة القريصات والخشيبات، ووصف محمد بدر الدين هذه الأخبار بأنها أخبار تطمينية تشبع فضول الإنسان لاكتشاف أسرار الغيب غير أن الفرق الإسلامية تجادلوا في التأويل والفهم.

---

[1] - سورة المائدة، الآية 69.
[2] محمد حسن بدر الدين، من الوحي إلى المصحف، ص 205.
[3] - سورة القيامة، الآيتان 22-23.
[4] - سورة الأنعام، الآية 103.
[5] - سورة الحجر، الآية 92.
[6] - سورة الرحمان، الآية 39.
[7]- محمد حسن بدر الدين، المرجع نفسه، ص 206.

- **ثالثها:** يعتبر أن هذا الفهم هو ما يستخلصه القارئ من النص القرآني فهو جدل مع النص، ولكنه جدل من خارج النص فهو يتأثر بالإيديولوجية والقناعات والأبعاد الثقافية والاجتماعية وهو سبب الاختلاف في الفهم.

ليصل في الأخير إلى أن الاختلاف يسير في القرآن الكريم كما قال الفخر الرازي تناقض أو تضارب ولكنه في العقل قاصر عن إدراك الغيب[1].

[1]- محمد حسن بدر الدين، من الوحي إلى المصحف، ص 207.

المبحث الثالث: ترتيب المصحف.

اشتمل المصحف العثماني على 114 سورة وتنقسم السور إلى آيات، فالآية في القرآن هي مقدار من القرآن مركب ولو تقديرا أو إلحاقا فالتقدير هو إدخال قوله تعالى "مدهامتان" في حساب الآيات إذ التقدير (هما) مدهامتان، ونحو "والفجر" إذ التقدير أقسم بالفجر أو أقسم برب الفجر. أما الإلحاق فهو إدخال بعض فواتح السور من الحروف المقطعة في حساب الآيات وقد عُدَّ أكثرها في المصاحف آيات ما عدا "ألر" و"ألمر" و"طس"... وتسمية هذه الأجزاء بالآيات هو من ابتكارات القرآن الكريم فقد قال تعالى: **(هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ)**[1] وقوله: **(كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ)**[32].

فقد وردت كلمة آية في المصحف العثماني في ثلاثة وثمانون موضعا وتعدد مدلول هذه اللفظة حسب سياق النص أو الكلام، يقول الهادي خلفة: «والأصل في معنى الآية هو العلامة الواضحة وهو متحقق في كل ما تطلق عليه كلمة آية، فسمي خلق الله آية لأنه علامة على قدرة الله تعالى وسميت معجزات الأنبياء آية لأنها علامة على صدقهم وسميت العبرة آية لأنها علامة على معاني العظة والاعتبار، وقيل لكل جملة في القرآن بين فاصلتين آية بمعنى علامة على ما تضمنته من أحكام وآداب ونحوهما، وسمي البناء العالي آية لأنه علامة على تميز بانيه وإبداعه وجمعت آية على آيات»[4]، وتختلف الآيات في القرآن من حيث الطول والقصر في المفردات فأحيانا كلمة وأحيانا عدة كلمات وقد تحدى القرآن الإنس والجن أن يأتوا بآية من مثله، ولكن ينبغي التنويه إلى أنه إذا كان متفقا بأن المصحف العثماني يحتوي على 114 سورة فإن عدد الآيات مختلف فيه في الأمصار ففي قول المكيين 6219، وفي قول الكوفيين 6236، وفي قول البصريين 6204 وفي قول أهل الشام 6225 أو 6226 ويتناقض برأينا الزرقاني مع نفسه حينما يرى بأن الآيات هي وقف من عند اللهو لا اجتهاد حيث ذكر ما عدده العلماء حينما عدوا "ألمص" آية ولم يعدوا نظيرها "ألم" آية، وعدوا

[1] - سورة آل عمران، الآية 07.
[2] - سورة هود، الآية 01.
[3] -محمد الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، دار إحياء التراث ،ج1،بيروت،د ط،2000، ص 74.
[4] - الهادي خلفة، القرآن الكريم من التنزيل إلى التنوير، ص 91.

"يس" آية لم يعدوا نظيرها "طس" آية، وعدوا "حمعسق" آيتين وعدوا نظيرها "كهيعص" آية واحدة وليس آيتين ليستنتج بأنه لو كان الأمر للقياس لكان حكم المثلين واحد في هذه الأمثلة ثم يرجع فيقول بأن الكوفيين عدوا فواتح السور آيات[1]. ونرى بأن رأي الهادي خلفة الأقرب للصواب حيث رد هذا الاختلاف في عدد الآيات إلى الاختلاف في نهاية بعضها رواية أو اجتهادا[2]، ورغم الاختلاف في عدد الآيات إلا أن المضمون واحد في جميع الأمصار المذكورة، فشكلت هذه الآيات مجموعة سور والسورة بهذا اللفظ وردت في تسع مواضع في المصحف العثماني منها: **(وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ)**[3] وذكر القرآن سورة النور باسم سورة في الآية **(سُورَةٌ أَنْزَلْنَاهَا)** ولم تسمى مقاطع العهدين القديم والجديد بلفظ سورة[4].

استوعب المصحف بالتالي أكثر من 6200 آية كان لا بد من وضع كل آية في سورتها وكل سورة في مكانها، فكان موضوع ترتيب السور والآيات في المصحف العثماني خاصة وفي القرآن عامة من بين أكثر المواضيع التي أسهب فيها الفقهاء والمفكرين المسلمين وغير المسلمين، حيث أن أغلبية الفقهاء أجمعوا على أن النبي هو من أمر كتبة الوحي بهذا الترتيب سواء للآيات أو السور وبالتالي المسألة بهذا الشكل هي توقيفية وعلى النقيض من ذلك يجمع أغلبية المستشرقين وبعض المفكرين المسلمين على أن المسألة توفيقية ويعتقدون بأن هذا الترتيب متعمد لأسباب سياسية وإيديولوجية.

1- تصنيف وتبويب السور ضمن المكي والمدني:

لا يختلف اثنان في أن الرسول بعد البعثة استقر بمكة ثم انتقل إلى المدينة وعليه فبعض السور نزلت بمكة وأخرى بالمدينة فحتى المصحف اليوم بعد ذكر اسم السورة يصفها بالمكية أو المدنية بمعنى ما نزل في مكة وما نزل بالمدينة فما هي هذه السور؟ يجيبنا هنا السيوطي نقلا عن البيهقي في دلائل النبوة ، «أنزل الله من القرآن **بمكة**: اقرأ باسم ربك، ن،

[1]- محمد عبد العظيم الزرقاني، مناهل العرفان، ص 340.
[2]- مهدي خلفة، القرآن الكريم من التنزيل إلى الترتيل، ص 90.
[3] - سورة البقرة، الآية 23.
[4]- مهدي خلفة، المرجع نفسه، ص ص 90-94.

والمزمل والمدثر، تبت يدا أبي لهب، إذا الشمس كورت، سبح باسم ربك، والليل إذا يغشى، الفجر، الضحى، الم نشرح لك صدرك، العصر، العاديات، الكوثر، ألهاكم التكاثر، أرأيت، قل يا أيها الكافرون، أصحاب الفيل، الفلق، قل أعوذ برب الناس، قل هو الله أحد، النجم، عبس، إنا أنزلناه، الشمس وضحاها، السماء ذات البروج، التين والزيتون، لإيلاف في قريش، القارعة، ولا أقسم بيوم القيامة، الهمزة، والمرسلات، وق، ولا أقسم بهذا البلد، والسماء والطارق، اقتربت الساعة، ص، والجن، يس والفرقان، والملائكة وطه والواقعة، وطسم (الشعراء) وطسم (النمل) وطسم (القصص) وبني إسرائيل والتاسعة يونس وهود ويوسف، وأصحاب الحجر، والأنعام والصافات ولقمان وسبأ، والزمر وحم (المؤمن) وحم (السجدة)، وحم (الزخرف)، حم (الدخان)، حم (الجاثية)، والأحقاف، والذاريات، والغاشية، أصحاب الكهف، وحم عسق الشورى، وإبراهيم، وتنزيل السجدة والأنبياء والنحل ونوح والطور، والمؤمنون، وتبارك والحاقة، وسأل، وعم يتساءلون، والنازعات، والانفطار، وإذا السماء انشقت، والروم والعنكبوت وأضيف إليها: الفاتحة، الأعراف، كهيعص، فهي خمس وثمانون سورة»[1].

وما نزل **بالمدينة**: «ويل للمطففين، البقرة وآل عمران، والأنفال، الأحزاب، المائدة، الممتحنة، النساء، إذا زلزلت، الحديد ومحمد والرعد والرحمن وهل أتى على الإنسان، والطلاق، ولم يكن والحشر، إذا جاء نصر الله، والنور والحج والمنافقون والمجادلة، والحجرات، ويا أيها النبي لِمَ تحرم ، والصف والجمعة والتغابن والفتح، وبراءة فهي تسع وعشرون سورة مدينة» [2].

ولنكون موضوعيين فإن هذا الترتيب هنالك من يعارضه فالبعض يرى بأن السور المكية ثلاثة وثمانون فقط وليس خمسة وثمانون . على غرار ما ذكره عبد الله بن عباس بل ويختلف حتى في الترتيب ففي مكة نزلت 1 العلق 2 ن 3 الضحى 4 المزمل 5 المدثر 6 تبت يدا أبي لهب 7 إذا الشمس كورت 8 سبح باسم ربك 9 والليل إذا يغشى 10 والفجر 11 ألم

[1]- عبد الصبور شاهين، تاريخ القرآن، ص ص 24-25.
[2]- عبد الصبور شاهين، المرجع نفسه، ص 25.

نشرح لك صدرك 12 والعصر 13 الكوثر 14 التكاثر 15 أرأيت الذي 16 ألم تر كيف فعل ربك 17 الكافرون 18 قل هو الله أحد 19 والنجم 20 عبس 21 القدر 22 الحج 23 والشمس وضحاها 24 والسماء ذات البروج 25 والتين والزيتون 26 لإيلاف قريش27 القارعة 28 لا أقسم بيوم القيامة 29 ويل لكل همزة 30 والمرسلات عرفا 31 ق 32 لا أقسم بهذا البلد 33 والسماء والطارق 34 اقتربت الساعة 35 ص 36 الأعراف 37 قل أوحي إلي 38 يس 39 الفرقان 40 الإسراء 41 مريم 42 طه 43 الشعراء 44 النمل 45 القصص 46 فصلت 47 يونس 48 هود 49 يوسف 50 الحجر 51 الأنعام 52 الصافات 53 لقمان 54 سبأ 55 الزمر 56 غافر57 السجدة 58 الشورى 59 الزخرف 60 الدخان 61 الجاثية 62 الأحقاف 63 الذاريات 64 هل أتاك حديث الغاشية 65 الكهف 66 النحل 67 نوح 68 أبراهيم 69 اقتربت الساعة 70 الأنبياء 71 المؤمنون 72 السجدة 73 الرعد 74 الطور 75 تبارك 76 الحاقة 77 سال سائل 78 عم يتساءلون 79 النازعات 80 إذا السماء انفطرت 81 إذا السماء انشقت 82 الروم 83 العنكبوت.

فهذه السور حسبه نزلت في مكة ما عدا بعض الآيات من هذه السور نزلت بالمدينة[1].

أما السور التي نزلت بالمدينة فدائما حسب عبد الله بن عباس فهي: 1 ويل للمطففين 2 البقرة 3 الأنفال 4 آل عمران 5 الأحزاب 6 الممتحنة 7 النساء 8 إذا زلزلت 9 الحديد 10 محمد 11 هل أتى على الناس 12 الطلاق 13 لم يكن 14 الحشر 15 إذا جاء نصر الله 16 المنافقون 17 النور 18 المجادلة 19 الحجرات 20 التحريم 21 الجمعة 22 التغابن 23 الصف 24 الفتح 25 المائدة 26 التوبة 27 إذا وقعت الواقعة 28 والعاديات 29 الفلق 30 الناس.

فإذا جمعنا السور المكية والسور المدنية يصبح المجموع 113 سورة وليس 114 لذا علق محمد حسين سالم بأن سورة الفاتحة قيل بأنها نزلت مرتين في مكة والمدينة ورجح أنها مكية فيصبح العدد 114. [2]

[1]- محمد سالم محيسن، تاريخ القرآن، المرجع السابق، ص ص 50-52.
[2]- محمد سالم محيسن، المرجع نفسه، ص ص 53- 54.

وعليه لم يتفق حتى الصحابة حول السور المكية والمدنية ونعتقد بأن السبب إنما يعود أصلا إلى مسألة التصنيف والتبويب لما هو مكي وما هو مدني والاختلاف راجع للمعايير التي بها نفرق المكي من المدني لأنه أمر في غاية الأهمية، وإذا ما رجعنا لمسألة التبويب نجد كذلك اختلاف بين العلماء المسلمين فتباينت آرائهم إلى:

1) التبويب حسب المعيار المكاني: تقسيم السور إلى ما نزل بمكة المكرمة يعتبر مكي والمدني ما نزل بالمدينة.
2) التبويب حسب المعيار الخطابي: كل النصوص والخطابات التي وجهت لأهل مكة فهو مكي، وما كان منه خطابا لأهل المدينة فهو مدني.
3) التبويب حسب المعيار الزمني: حيث تم تقسيم السور القرآنية على أساس الهجرة النبوية، فما نزل قبل الهجرة فهو مكي أما ما نزل بعد الهجرة فهو مدني حتى وإن نزل بمكة[1].

روي السيوطي في الإتقان أن النيسابوري قال: من أشرف علوم القران علم نزوله وترتيب ما جاء، ما نزل بمكة، وما نزل بالمدنية، وما نزل بالمدينة وحكمه مكي وما نزل بمكة وحكمه مدني، وما نزل في أهل المدينة، وما نزل بالحجفة وما نزل ببيت المقدس، وما نزل بالطائف، وما نزل بالحديبية، وما نزل نهارا وما نزل ليلا، وما نزل مشيعا، وما نزل مفردا، والآيات المدنيات في السور المكية والآيات المكية في السور المدنية، وما حمل من مكة إلى المدينة، وما حمل من المدينة إلى مكة، وما نزل مجملا، وما نزل مفسرا، وما اختلفوا فيه[2]. وبالتالي لا يمكن فهم القرآن وبالأخص مسألة الناسخ والمنسوخ دون معرفة ترتيب النزول فهو أمر في غاية الأهمية.

2- هل ترتيب المصحف العثماني توقيفي أم توفيقي؟

قبل التقصي حول هذه المسألة (الترتب) سننطلق من قول الهادي خليفة في كتابه القرآن الكريم من التنزيل إلى الترتيل، حيث يؤكد بأنه من أسباب عدم جمع القرآن في زمن

[1]- حسن علي حسن مطر الهاشمي، قراءة نقدية في تاريخ القرآن للمستشرق تيودور نولدكه، ص 279.
[2]- جلال الدين السيوطي، الإتقان، مرجع سابق، ص ص 43- 44.

النبي هو مسألة ترتيب السور والآيات فهو لم يكن حسب ترتيب النزول فقد تنزل آية في أواخر الوحي ويكون ترتيبها في أوائل السور الكريمة[1]، لذا نطرح الإشكال التالي: هل الترتيب والتوزيع للآيات والسور توقيفي أو توفيقي؟ ولماذا لم يرتب القرآن حسب نزوله؟

المقاربة الأولى: الرؤية الإسلامية.

انقسم المؤرخون ورجال الدين حول مسألة جمع وترتيب القرآن إلى ثلاث آراء:

- **الرأي الأول:** يتمثل منطق أنصار هذا الطرح في أن ترتيب الآيات والسور لم يكن للبشر فيه أي دخل ولم يكن عملا اجتهاديا بل هو ترتيب توقيفي أعده وأشرف عليه رسول الله وهذا ما يتضح لنا في قول أبو بكر الأنباري: «أنزل الله القرآن كله إلى السماء الدنيا ثم فرقه في بعض وعشرين سنة، كانت السورة تتنزل لأمر يحدث والآية جوابا للمستخبر، ويوقف جبريل النبي على موضع الآية والسورة، فاتساق السور كاتساق الآيات والحروف، كله عن النبي (ص) فمن قدم سورة أو أخرها فقد أفسد نظم القرآن»[2].

وهو نفس ما ذهب إليه الكرماني في البرهان حينما قال: «ترتيب السور هكذا هو عند الله وعليه كان النبي يعرض على جبريل كل سنة ما كان يجتمع عنده منه، وعرض عليه في السنة التي توفي فيها مرتين وكان أخر الآيات نزولا الآية 281 من سورة البقرة فأمره جبريل أن يضعها بين آيتي الربا والدين»[3].

يعتقد أغلب الفقهاء بأن القرآن نظّمه ورتّبه الرسول وهو ما سار عليه كتبة الوحي حيث تقيدوا بتلك التوجيهات حينما جمعوا القرآن في المصحف العثماني ويعتقدون بأن هذا الترتيب بعيد عن الشبهات وهذا ما أكده الكثير من الفقهاء على غرار السيوطي في كتابه الإتقان حيث يرى بأنه قد جرى الإجماع واتفقت النصوص على أن ترتيب الآيات هو توقيفي ونفى نفيا قاطعا كل الشبهات التي حاول بعض

[1]- الهادي خليفة، القرآن الكريم من التنزيل إلى الترتيب، ص 86.
[2]- محمد الطاهر بن عبد القادر الكردي، تاريخ القرآن وغرائب رسمه وحكمه، ص65.
[3]- جلال الدين السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، ص ص 406-407.

المفكرين إثارتها حول هذه المسألة. وهو نفس ما أكده كذلك الزركشي في البرهان وأبو جعفر بن الزبير في مناسباته إلى ترتيب الآيات في سورها واقع برعاية وتوجيه من الرسول ولم يشكل هذا الترتيب عندهم أي خلاف بين المسلمين[1].

ونفس الطرح نجده عند الزرقاني فأكد ما ذهب إليه سابقوه في أن ترتيب القرآن توقيفي حيث يقول: «انعقد إجماع الأمة على أن ترتيب آيات القرآن الكريم على هذا النمط الذي نراه اليوم في المصاحف كان بتوقيف من النبي (ص) عن الله تعالى وأنه لا مجال للرأي والاجتهاد فيه» حيث يرى بأن جبريل حينما كان ينزل بالآيات على الرسول كان يرشده إلى موضع كل آية من سورتها فيقرؤها النبي على أصحابه معينا لهم السور التي تكون فيها هذه الآيات وموضع الآية من السورة وبرأيه ليس لأحد من الصحابة يد في ترتيب سور وآيات القرآن[2].

استشهد أنصار هذا الطرح بعدة أدلة نقلية نذكر منها:

- أخرج الترميذي والحاكم عن أبي هريرة قال: قال النبي: «إن لكل شيء سناما وإن سنام القرآن سورة البقرة وفيها آية هي سيدة آي القرآن، آية الكرسي»[3].
- روى مسلم في صحيحه عن أبي الدرداء: «من حفظ عشر آيات من أول سورة الكهف عصم من الدجال»[4].
- عن ابن عباس قال: قلت لعثمان: ما حملكم على أن عهدتم إلى الأنفال وهي من المثاني وإلى براءة وهي من المئين ـ ففرقتم بينهما ولم تكتبوا بينها سطر: بسم الله الرحمن الرحيم ؟

فقال عثمان: كان رسول الله تتنزل عليه السورة ذات العدد فكان إذا نزل عليه الشيء، دعا بعض من كان يكتب فيقول: ضعوا هؤلاء الآيات في السورة التي يذكر فيها ـ كذا وكذا ـ

[1]- محمد الطاهر بن عبد القادر الكردي، تاريخ القرآن وغرائب رسمه وحكمه، ص 61.
[2]- محمد عبد العظيم الزرقاني، مناهل العرفان، ص ص 346-347.
[3]- محمد عبد العظيم الزرقاني، المصدر نفسه، ص 341.
[4]- السيد علي الشهرستاني، جمع القرآن، ص 165.

وكانت الأنفال من أوائل ما نزل بالمدينة، وكانت براءة آخر القرآن نزولا فمن أجل ذلك قرنت بينهما ولم أكتب سطر ـ بسم الله الرحمن الرحيم ـ ووضعتها في السبع الطوال[1].

روي السيوطي أحاديث وأدلة عديدة منها ما عاصر نزول القرآن ومنها ما عاصر جمعه وتوحيده، اتفقت جلها على أن الترتيب هو عمل موقوف على النبي (ص)، ولم يقتصر الأمر عنده على الترتيب فقط بل حتى على تسمية السور الوارد في القرآن هو أيضا كان وقفا على رسول الله. ولكننا نختلف معه في هذا الأمر لان المقصود من تسميتها كان لتيسير الحفظ أو المراجعة بين الصحابة والمسلمين بعدهم، فكانت أسماء السور إما بأوصافها كسورة الفاتحة وسورة الحمد وإما بالإضافة إلى قصة فيها كسورة لقمان أو البقرة أو يوسف...، وإما بالإضافة إلى كلمات ذكرت فيها كسورة براءة وقد سموا مجموع السور المفتتحة بكلمة حم بالحواميم وأحيانا يسمون سورتين معا فقد سموا سورة الكافرون وسورة الإخلاص بالمقشقشتين، بل الصحابة أنفسهم لم يثبتوا في مصاحفهم أسماء السور بل كانوا يفصلون بين السور بالبسملة فقط ولا يكتبون أسماءها وكتبت أسماء السور في عصر التابعين[2].

لم يختلف القاضي أبو بكر في طرحه عن طرح سابقيه حيث يقول في الانتصار: «الذي نذهب إليه هو أن جميع القرآن الذي أنزله الله وأمر بإثبات رسمه ولم ينسخه ولا رفع تلاوته بعد نزوله هو هذا الذي بين الدفتين الذي حواه مصحف عثمان، أنه لم ينقص منه شيء ولا زيد فيه وأن ترتيبه ونظمه ثابت على ما نظمه الله تعالى ورتبه عليه رسوله من آي السور لم يُقدم من ذلك مُؤخر ولا أُخِّر منه مُقدم، وأن الأمة ضبطت عن النبي ترتيب آي كل سورة ومواضعها وعرفت مواقعها، كما ضبطت عنه نفس القراءات وذات التلاوة»[3].

وبذلك نجد الأغلبية الساحقة من رجال الدين المسلمين يؤكدون بأن المسألة توقيفية ولا مجال للاجتهاد فيها، لم يقتصر الأمر على السنة وحدهم بل حتى من رجال الدين الشيعة نجد من يؤكدون نفس الطرح فيعتقدون بأن كُتّاب الوحي كتبوا آيات كل سورة بإشراف تام من

[1]- أحمد عمران الزاوي، جولة في كتاب نولدكه تاريخ القرآن، دار الطلاس، دمشق، ط1، 2008، ص 112.
[2]- الهادي خليفة، القرآن الكريم من التنزيل إلى الترتيب، ص 86.
[3]- أبو بكر كافي، مواقف المستشرقين من جمع و ترتيب القرآن الكريم، ص30.

النبي ولا مجال لاجتهاداتهم وأذواقهم الشخصية وكانوا يعلمون نهاية السورة بعد نزول البسملة يقول الإمام الصادق: «كان يعرف انقضاء سورة بنزول بسم الله الرحمان الرحيم ابتداءً لأخرى»[1].

وكان الرسول أيضا في بعض الحالات يدرج آية نزلت في سورة سبق نزولها ويستشهد برواية عثمان بن أبي العاص قال: «كنت جالسا عند رسول الله... ثم قال: «أتاني جبريل عليه السلام وأمرني أن أضع هذه الآية في هذا الموضع من هذه السورة: **(إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى)**[2] فجعلت في سورة النحل بين آيات الاستشهاد وآيات العهد»، وهذا يدل على أن علماء الشيعة أيضا يعتبرون بأن ترتيب القرآن كان برعاية وأمر الرسول (ص)[3].

ويستشهد الشيعة لتبرير موقفهم برواية الشيخ الصدوق والكليني عن علي بن الحسين قال: قال رسول الله: «من قرأ أول سورة البقرة وآية الكرسي وآيتين بعدها وثلاث آيات من آخرها لم يرى في نفسه و ماله شيئا يكرهه» ويعلق الشهرستاني على هذا النص قائلا وهذا تأكيد على تحديد أماكن الآيات في السور[4].

وبهذا كانت الرؤية واحدة بين أغلب رجال الدين السنة والشيعة حول مسألة ترتيب آيات وسور القرآن حيث أن النبي بأمر من جبريل كان يقوم بالترتيب ولم يكن الأمر متروكا للاجتهاد. ونلفت الانتباه إلى أن عدد الأدلة التاريخية كبير واكتفينا بعرض بعضها فقط لتوضيح الفكرة التي تبناها أنصار هذا الرأي.

- **الرأي الثاني:** يتمثل منطق أنصار هذا الطرح في أن ترتيب المصحف العثماني هو مجرد اجتهاد من الصحابة ولم يحدد الرسول ذلك فهو عمل توفيقي وهذا ما نجده في قول بن فارس: «جمع القرآن على ضربين، أحدهما تأليف السور كتقديم السبع الطوال وتعقيبها بالمئين، فهذا هو الذي تولته الصحابة. وأما الجمع الآخر: وهو جمع

[1]- محمد حسين المحمدي، تحليل ودراسة بعض آراء نولدكة حول جمع القرآن الكريم، ص 15.
[2] - سورة النحل، الآية 90.
[3]- محمد حسين المحمدي، المرجع السابق، ص 16.
[4]- الشهرستاني، جمع القرآن، ص 167.

الآيات والسور، فهو توقيفي تولاه النبي (ص)، كما أخبر جبريل عن أمر به»[1]. بمعنى أن الصحابة اتفقوا على هذا الترتيب بدءا بالسور الطويلة وصولا إلى القصيرة مستثنيا الفاتحة لأنها فاتحة المصحف العثماني.

ننطلق لإثبات هذا الرأي ممَّا رواه البخاري عن يوسف بن ماهك قال إني عند عائشة أم المؤمنين إذ جاءها عراقي فقال أي الكفن خير قالت ويحك وما يضرك قال يا أم المؤمنين أرني مصحفك قالت لِمَ قال لعلي أُولف القرآن عليه فإنه يُقرأ غير مؤلف وما يضرك أيُهَ قرأت قبلُ إنما نزل أول ما نزل منه سورة من المفصّل...» ففي قول عائشة للعراقي «وما يضرك أيُه قرأت قبلُ» دليل على أن ترتيب السور في التلاوة ليس بواجب وهو كذلك في كل المذاهب فإنه جائز ترك ترتيبها سواء في التلاوة أو الصلاة أو الدرس، لأن كل سورة مستقلة بذاتها مستوفية لشروطها[2].

ولم يقتصر الأمر على ترتيب السور بل حتى ترتيب الآيات وفي بعض سوره كان اجتهاد من الصحابة يقول محمد حسين المحمدي: «إننا لو دققنا النظر في سور القرآن سندرك أن بعض آياتها ليس طبيعيا وليس هناك من دليل ينسب هذا الترتيب لرسول الله ومن بين السور التي ذهب إليها العلماء ... سورة الممتحنة، فالآيات التسعة الأولى منها تعود إلى سنة الثامنة للهجرة بينما تعود الآية العاشرة والحادية عشر إلى السنة السادسة للهجرة والآية الثانية عشر تتعلق ببيعة النساء وقد حصلت في السنة التاسعة من الهجرة»[3]، فقد نبه إلى هذا الخلل محمد حسين المحمدي في ترتيب الآيات.

بل الأكثر من ذلك هو إسقاط ابن مسعود للفاتحة والمعوذتين حيث اعتبر المعوذتين ليستا من كتاب الله وكان يرى بأن الرسول يتعوذ بهما الحسن والحسين وكان ابن مسعود لا يقرأ بهما[4]، وقدم السيوطي بعض التبريرات لسبب إسقاط الفاتحة من مصحف ابن مسعود نذكر من بينها أن ابن مسعود رأى عدم كتابتها لأنها في

[1]- السيوطي جلال الدين، الإتقان في علوم القرآن، ص ص 405-406.
[2]- محمد الطاهر الكردي، تاريخ القرآن، ص 71-72.
[3]- محمد حسين المحمدي، تحليل ودراسة بعض أفكار نولدكه حول جمع القرآن، ص ص 262-263.
[4]- جلال الربعي، من القرآن إلى المصحف، ص 168.

مأمن من الإتلاف والضياع لقصرها ووجوب تعلمها على كل أحد من المسلمين ولكن هذا تبرير غير سليم لأن مصحفه يحتوي سورا أقصر كالإخلاص والكوثر...[1]. وسوف نوضح عدد الآيات التي اختلف فيها بين مصحف عثمان ومصحف ابن مسعود لاحقا.

إلا أن الموضوع الأكثر إثارة للاختلاف هو ترتيب السور في المصحف العثماني فلا ندري المعيار الذي اعتمدته لجنة التدوين برئاسة زيد بن ثابت في هذا الترتيب وما يؤكد الجانب الاجتهادي هو اختلاف الصحابة في ترتيب مصاحفهم فمنهم من كتب السور في الصحف على تاريخ النزول وقدم المكي على المدني ومنهم من جعل أوله سورة اقرأ وهو أول مصحف علي... وفي مصحف أبي كان أوله الحمد ثم النساء ثم آل عمران ثم الأنعام ثم الأعراف ثم المائدة على اختلاف شديد[2].

ولنوضح درجة اختلاف المصاحف سنعرض الجدول التالي:

اسم السورة	ترتيب نزولها	ترتيبها في المصحف العثماني	ترتيبها في مصحف ابن مسعود	ترتيبها في مصحف أبي بن كعب
الفاتحة	5	1	لا توجد	1
البقرة	8	2	1	2
آل عمران	89	3	3	4
النساء	92	4	2	3
المائدة	112	5	6	7
الأنعام	55	6	5	5
الأعراف	39	7	4	6
الأنفال	88	8	24	9
التوبة (براءة)	113	9	8	10
يونس	51	10	7	8
هود	52	11	10	11
يوسف	53	12	11	15
الرعد	96	13	31	28

[1]- جلال الربعي، من القرآن إلى المصحف، ص 170.
[2]- أبي جعفر أحمد الغرناطي، البرهان في ترتيب سور القرآن، ص 49.

إبراهيم	72	14	34	لا توجد
الحجر	54	15	30	34
النحل	70	16	9	17
الإسراء (بني إسرائيل)	50	17	13	19
الكهف	69	18	12	16
مريم	44	19	25	12
طه	45	20	15	21
الأنبياء	73	21	14	22
الحج	103	22	20	14
المؤمنون	74	23	16	24
النور	102	24	23	23
الفرقان	42	25	29	لا توجد
الشعراء	47	26	17	13
النمل	48	27	22	30
القصص	49	28	21	29
العنكبوت	85	29	26	26
الروم	84	30	27	36
لقمان	57	31	37	55
السجدة	75	32	48	42
الأحزاب	90	33	19	18
سبأ	58	34	32	25
فاطر (الملائكة)	43	35	33	لا توجد
يس	41	36	28	33
الصافات	51	37	18	31
ص	38	38	35	32
الزمر	59	39	38	20
غافر (المومن)	60	40	39	27
فصلت (حم السجدة)	61	41	41	42
الشورى	62	42	42	35
الزخرف	63	43	40	لا توجد
الدخان	64	44	45	54
الجاثية	65	45	44	56
الأحقاف	66	46	43	44
محمد	95	47	36	39
الفتح	111	48	46	38

الحجرات	108	49	51	75
ق	34	50	لا توجد	45
الذاريات	67	51	65	58
الطور	76	52	64	57
النجم	23	53	63	49
القمر(اقتربت الساعة)	37	54	66	53
الرحمان	97	55	62	46
الواقعة	46	56	67	47
الحديد	94	57	لا توجد	37
المجادلة	105	58	59	40
الحشر	101	59	47	61
الممتحنة	91	60	60	62
الصف	109	61	56	87
الجمعة	110	62	55	77
المنافقون (إذا جاءك المنافقون)	104	63	54	76
التغابن	108	64	53	88-69
الطلاق	99	65	49	67
التحريم	107	66	61	78
الملك	77	67	52	41
القلم	2	68	50	59
الحاقة	68	69	لا توجد	60
المعارج	79	70	69	50
نوح	71	71	58	43
الجن	40	72	57	48
المزمل	3	73	71	51
المدثر	4	74	70	52
القيامة	31	75	76	65
الإنسان	98	76	74	لا توجد
المرسلات	33	77	75	63
النبأ	80	78	77	64
النازعات	81	79	68	68
عبس	24	80	73	70
التكوير	7	81	78	66
الانفطار	82	82	79	82
المطففين	86	83	72	71

الانشقاق	83	84	85	72
البروج	27	85	84	لا توجد
الطارق	36	86	89	84
الأعلى	8	87	81	85
الغاشية	68	88	80	86
الفجر	10	89	83	79
البلد	35	90	87	80
الشمس	26	91	94	83
الليل	9	92	82	81
الضحى	11	93	88	90
الشرح	12	94	108	91
التين	28	95	95	73
العلق	1	96	86	74
القدر	25	97	100	104
البينة	100	98	93	89
الزلزلة	93	99	101	98
العاديات	14	100	90	99
القارعة	30	101	92	92
التكاثر	16	102	99	93
العصر	13	103	102	94
الهمزة	32	104	96	97
الفيل	19	105	97	100
قريش	29	106	98	101
الماعون	17	107	91	102
الكوثر	15	108	104	103
الكافرون	18	109	105	105
النصر	114	110	103	106
المسد	6	111	106	107
الإخلاص	22	112	107	108
الفلق	20	113	لا توجد	109
الناس	21	114	لا توجد	110

إن عرض هذا الجدول لترتيب السور يطرح أكثر من علامة استفهام لأننا سنقارن من جهة بين المصحف العثماني ومصحف ابن مسعود الذي لا يحتوي على عدة سور هي

الفاتحة وعدد آياتها 07 سورة ق وعدد آياتها 45 وسورة الحديد عدد آياتها 29 وسورة الحاقة وعدد آياتها 52 سورة الفلق عدد آياتها 5 وسورة الناس وعدد آياتها 6. والملفت أنها كلها مكية باستثناء سورة الحديد التي تعتبر مدنية يقول جلال الربعي: «يكون فارق الآيات بين المصحفين 143 آية وهو عدد مهم ويزداد أهمية عندما نعلم طبيعة مضامين تلك السور وأنها من القرآن المكي... وتعرف آيات المرحلة المكية حسب نولدكه بأن كلامها عظيم ومفعم بالصور وأنها سور ذات شاعرية كاملة، أما من حيث الحجم فهي سور قصيرة وتعاليمها بسيطة وهادئة»[1]. بين المصحف العثماني ومصحف أبي بن كعب الذي لا يحتوي 6 سور من المصحف العثماني هي الزخرف الفرقان فاطر إبراهيم الإنسان والبروج بينما نجد سورة التغابن حسب السيوطي في الإتقان مذكورة مرتين، ونجد بأن عدد سوره 110 فقط وهنالك سورتين غير مذكورتين في المصحف العثماني هما سورة الخلع وسورة الحقد.

كما نلاحظ تباين كبير في ترتيب المصاحف الثلاثة وهذا دليل كافي بأن الرسول لم يرتب القرآن كما يحاول بعض الفقهاء تصوير الأمر لأنه لو أنه هو من قام بترتيبه لما وجدنا هذا الاختلاف بين صحابته وأي صحابة هم الأكثر قربا منه والمصنفون بأنهم الحفظة الكتبة للوحي وللقرآن هذا من جهة.

ومن جهة أخرى لماذا نجد بين ترتيبهم وبين ترتيب تاريخ النزول كل هذا الشرخ والفرق ولماذا لم يرتب القرآن كما أنزل؟ سنؤجل الحكم والإجابة على هذا الإشكال حتى نرى الرأي الثالث ومقاربة المستشرقون لعلنا نصل إلى إجابة مقنعة.

- **الرأي الثالث:** بعضه اجتهادي وبعضه توقيفي: حاول بعض من اتفقوا حول أنه توقيفي واجتهادي أن يجمعوا بين الرأيين لكنهم اختلفوا السور والآيات التوفيقية والتوقيفية منها ولم يخرجوا بنتيجة واحدة[2]. ولكن لم يذكر لنا نماذج عن أنصار هذا الرأي.

[1]- جلال الربعي، من القرآن إلى المصحف، ص ص 178-179.
[2]- حسن علي حسن مطر الهاشمي، قراءة نقدية في تاريخ القرآن للمستشرق تيودور نولدكه، ص 278.

المقاربة الثانية: المستشرقين.

لقد حاول العديد من المستشرقين إعادة ترتيب سور القرآن الكريم بحسب زمن نزولها، ومن بين هؤلاء المستشرقين نذكر: تيودور نولدكه، جوستاف فايل، جريمة، وليم موير، بلاشير، ريتشارد بيل، وغيرهم.

ومن بين العلماء المسلمين: ابن عباس، ابن نديم في الفهرست، عمر بن الكافي، وغيرهم، نورد بعض المحاولات على النحو التالي:

1) **محاولة نولدكه:**

حاول نولدكه ترتيب سور القرآن ترتيبا زمنيا وذلك سنة 1860م، وقد استدل في ذلك بعدة دلائل منها الحروب والغزوات التي وقعت زمن رسول الله (ص) نحو: الخندق، غزوة بدر، صلح الحديبية، طرد قبيلة ضريبة اليهودية. وجعل أيضا التباين في اللهجات والأسلوب الخطابي الموجود في القرآن دليلا أخذ به من أجل تأريخ الآيات.

قسم نولدكه السور القرآنية إلى قسمين: سور مكية وسور مدنية حيث أنه قسم السور المكية إلى ثلاث فترات.

- ✓ **الفترة المكية الأولى:** 96، 74، 111، 106، 108، 104، 107، 102، 105، 92، 90، 94، 93، 97، 86، 91، 80، 68، 87، 95، 103، 85، 73، 101، 99، 82، 81، 53، 84، 100، 79، 77، 78، 88، 89، 75، 83، 69، 51، 52، 56، 70، 55، 112، 109، 113، 114، 1.
- ✓ **الفترة المكية الثانية:** 54، 37، 71، 76، 44، 50، 20، 26، 15، 19، 38، 36، 43، 72، 67، 23، 21، 25، 17، 27، 18.
- ✓ **الفترة المكية الثالثة:** 32، 41، 45، 16، 30، 11، 14، 12، 40، 28، 39، 29، 31، 42، 10، 34، 35، 7، 46، 6، 13.

- ✓ **الفترة المدنية:** 2، 98، 64، 62، 8، 47، 3، 61، 57، 4، 65، 59، 33، 63، 24، 58، 22، 48، 66، 60، 110، 99، 9، 5.

سور الفترة المكية الأولى[1]: (من1-5 للبعثة)وهي 48 سورة: العلق، المدثر، المسد، قريش، الكوثر، الهمزة، الماعون، الفيل، الليل، البلد، الشرح، الضحى، القدر، الطارق، الشمس، عبس، القلم، الأعلى، التين، العصر، البروج، المزمل، القارعة، الزلزلة، الانفطار، التكوير، النجم، الانشقاق، العاديات، النازعات، المرسلات، النبأ، الغاشية، الفجر، القيامة، المطففين، الحاقة، الذاريات، الطور، الواقعة، المعراج، الرحمن، الإخلاص، الكافرون، العلق، الناس، الفاتحة.

سور الفترة المكية الثانية (5- 6 للبعثة) 21 سورة: القمر، الصافات، نوح، الإنسان، الدخان، ق، طه، الشعراء، الحجر، مريم، ص، يس، الزخرف، الجن، الملك، المؤمنون، الأنبياء، الفرقان، الإسراء، النمل، الكهف.

سور الفترة المكية الثالثة: (7-13 للبعثة) عددها 21 سورة، وهي السور المتأخرة كثيرا ما تقارب في أسلوبها السور المدنية: السجدة، فصلت، الجاثية، النحل، الروم، هود، إبراهيم، يوسف، غافر، القصص، الزمر، العنكبوت، لقمان، الشورى، يونس، سبأ، فاطر، الأعراف، الأحقاف، الأنعام، الرعد.

السور المدنية: أما السور المدنية وهي كل ما نزل بعد الهجرة ـ هجرة الرسول إلى مدينة يثرب: البقرة، البينة، التغابن، الجمعة، الأنفال، محمد، آل عمران، الصف، الحديد، النساء، الطلاق، الحشر، الأحزاب، المنافقون».

لقد أقر نولدكه أنه كان متأثرا إلى حد كبير بالتقسيم الذي اقترحه فايل حيث أنه قال «ونحن نرى في هذا الاكتشاف الفضل الأساسي لكتابة الصغير، لا يخفى أننا نختلف عنه هنا

[1]- رضا محمد الدقيقي، الوحي إلى محمد بين الإنكار والتفسير النفسي، كتاب تاريخ القرآن للمستشرق الألماني تيودور نولدكه، ترجمة وقراءة نقدية، ج 1، ص 313.

وهناك في تقسيم المجموعات ونحدد بعض الأمور بشكل أوضح، لكننا لم نرد داعيا للتخلي عن تقييمه بأسره.[1]

2) **محاولة فايل:**

- ✓ **الفترة المكية الأولى:** 96، 74، 73، 106، 111، 53، 81، 68، 8، 92، 89، 93، 94، 103، 100، 108، 102، 107، 109، 105، 113، 114، 112، 80، 97، 91، 85، 90، 95، 101، 75، 104، 77، 86، 70، 78، 79، 82، 84، 56، 88، 52.
- ✓ **الفترة المكية الثانية:** 12، 51، 36، 50، 54، 44، 19، 19، 20، 21، 23، 25، 26، 76، 37، 38، 43، 71، 55، 15، 67.
- ✓ **الفترة المكية الثالثة:** 7، 72، 35، 27، 28، 17، 10، 11، 12، 6، 31، 34، 38، 40، 32، 42، 45، 18، 16، 14، 41، 30، 29، 46، 13، 64.
- ✓ **الفترة المدنية :** 2، 98، 62، 8، 47، 3، 61، 57، 4، 65، 99، 33، 63، 24، 58، 22، 48، 66، 60، 110، 49، 59.

مقارنة بين ترتيب فايل ونولدكه

	فايل	نولدكه
سور الفترة المكية 1	45	48
سور الفترة المكية 2	20	21
سور الفترة المكية 3	26	21
سور الفترة المدنية 4	23	24

[1]- تيودور نولدكه، تاريخ القرآن، الهامش رقم 213، ص 6.

نجد من خلال ما سبق أن عدد السور المكية بالنسبة لفايل 91 سورة أما نولدكه 90 سورة، أما بالنسبة للترتيب المدني فكلاهما متشابهان إلا السورة 64 فإن فايل أرجعها للفترة المكية.

لقد اعتبر نولدكه أن سورة القلم وسورة العلق أقدم سورتين في القرآن وربما جاء هذا الرأي نتيجة ربط كلمة "والقلم" ومطلع سورة العلق، وبالنسبة لترتيب سورة العلق هذا لأنها أول دعوة تلقاها النبي محمد للنبوة ويعتبر أن الآيات (17-33) من سورة العلق مدنية وقد أضيفت إلى الآيات الأولى وقد عجز عن تحديد وقت نزولها، ويرى أن سورة المدثر "يا أيها المدثر" مرتبطة بنزول سورة العلق وحجته في ذلك أن الرسول قال لخديجة بعد نزول الوحي دثروني ولذلك وضعها في الترتيب الثاني بعد سورة العلق[1].

ثم يصرح ترتيبه لسور الفترة المكية الأولى بأنها تخلو من أي تسلسل زمني وذلك «بسبب انعدام المعلومات التاريخية التي تقود خطانا في ذلك ولهذا نود أن نوزعها بحسب مضمونها على مجموعات مختلفة معتمدين في ترتيبها بقدر المستطاع على التطور التاريخي للأسلوب والأفكار فيما يتعلق بسفر قريش يقول نولدكه أنها تحث القرشيين على شكر الرب، بأن الله يطيب خاطر الرسول من بعد إهانة وجهت له، ويعتبر أن سورة الفيل هي أول سورة يبين فيها محمد للخصوم كيف أن الله عاقب أمثالهم، ثم يصف السور المتبقية من المرحلة الأولى ذات مضمون مختلط، لكنها تتفق فيما بينها على أن غرضها محاربة الخصوم ووصف الآخرة[2].

وقد عبر عن سورة عبس بقوله «أن الله يلوم النبي على أنه فضل أن يدعو رجلا غنيا للإسلام وتولى عن الأعمى الفقير جاءه سعيا وراء الإيمان»[3]، ويعتبر أيضا بخصوص سورة القدر بقوله تتناول جلال الليلة التي تنزل فيها الملائكة والروح بالوحي على الأرض من غير

[1]- تيودور نولدكه، تاريخ القرآن، ص ص 78، 86.
[2]- تيودور نولدكه، المصدر السابق، ص ص 82، 84.
[3]- تيودور نولدكه ، المصدر نفسه، ص 85.

حق مدنية سبب رواية واردة في كتاب الإتقان، أما سورة طارق فآياتها الثلاث الأولى تشير إلى أنها نشأت ليلا تحت تأثير نجم ساطع[1].

ويشير إلى أن الهدف من سورة الفاتحة «تهدف إلى الموعظة والتعليم ولا تحمل إلا حمدا لله، عالي النبرة ينتهي بدعاء ـ اهدنا الصراط المستقيم»، وأما بالنسبة لسورتي الفلق والناس فقد علق نولدكة على أنهما غير منفصلين قياسا على حدث معين، وقد نزلتا لشفاء الرسول من مرض سببه له أحد من يهود المدينة[2].

وبالنسبة إلى سور الفترة المكية الثانية، يرى نولدكه، بالنسبة لسورة نوح فقد اعتبر نولدكه فيها أن محمدا جعل نوح الأب الأول يثور على أصنام العرب وبحسب رأيه تظهر السور كأنها قطع مأخوذة من نص أطول، وتدور سورة الإنسان حول الآخرة والحساب[3]، أما بالنسبة لسورة الشعراء يقول نولدكه «تبدأ بعنوان شكلي للتصديد على طابع الوحي، ويقال أن الآية 197 شأنها شأن سواها من الآيات التي توجد فيها إشارة إلى اليهود نزلت في المدينة، وبالنسبة لسورة الزخرف الآية 44 يقال أنها نشأت في القدس أو في السماء، وسورة الجن ترد إلى الرؤيا التي اكتشف فيها محمد أن الجن تسترق السمع إليه عند تلاوة القرآن»[4].

وقد ختم الفترة المكية الثانية بسورة الكهف واعتبر أن بعضا من آياتها مدنية ويقصد بذلك الآيتان 27- 28 من السورة[5].

أما الفترة الثالثة المكية فقد ابتدئها بسورة السجدة (32).

ويعتبر أن سورة القصص تشير إلى النصارى الذين قدموا إلى محمد في المدينة، ثم ينتقل إلى سورة لقمان والتي يعتبر أن البعض عدها مدنية بسبب ذكر الزكاة فيها.

---

[1]- تيودور نولدكه، المصدر السابق، ص 85.
[2]- تيودور نولدكه، المصدر نفسه، ص 97.
[3]- تيودور نولدكه، نفسه، ص 110.
[4]- تيودور نولدكه، نفسه، ص ص ،117- 118.
[5]- تيودور نولدكه، نفسه، ص 125 .

وفي الفترة المكية الثالثة يعتبر أن الآية 13- 14 من سورة الجاثية نشأت بحسب الواحدي أثناء الزحف على بني المصطلق، وفي سورة النحل نجد أن بعض الآيات نزلت في المدينة[1].

بالنسبة للسور المدينة، فكانت سورة البقرة أول سورة مدنية وقد عدها نولدكه في من السور المدنية بسبب أن الجزء الأكبر منها نشأ في العام الثاني بعد الهجرة وقبل وقفة بدر[2]، ويشير أن كل المسبحات تعد سور مدنية أي السور أن كل المسبحات تعد سور مدنية أي السور التي تبدأ بـ "سبح ويسبح" (الحديد، الحشر، الصف، الجمعة، التغابن)، وبالنسبة للجزء الأول لسورة الجمعة فيقول أنه موجه ضد اليهود، تزامن في النشوء والجزء الأكبر من سورة البقرة، ثم ينتقل لسورة الأنفال ويعتبر أن معظم ما ورد فيها وليس كلها على علاقة مباشرة بالنصر في بدر. وبالنسبة لسورة آل عمران، فإن نولدكه يرى أنه لا يمكن تحديد زمن نزول الجزء الأول (1- 86) وإن كانت نزلت في وقت واحد فقد يكون بعد وقعة بدر[3].

وبالنسبة لسورة الصف فيعلق نولدكة أنها تعتبر أحيانا مكية شأنها في ذلك شأن أكثر من سورة مدنية وهذا ما يظهر في الآية 13 منها أما كونها مدنية فهذا ما يظهر في الآية 89 فمحمد لم يكن بوسعه الهجرة أن يتكلم بجزم كهذا وبسهولة عن النصر النهائي للسلام على كل الأديان الأخرى. أما آيات سورة الحديد كلها مدنية»[4].

أما بالنسبة للترتيب لسورتي النساء والطلاق فيعلل ذلك بسبب التشابه في المضمون بينهما، وبخصوص سورة الحشر فيعتبر أنها تتعلق بإخضاع قبيلة النضير اليهودية وطردها ولهذا تسمى أيضا سورة النضير[5]، أما بخصوص سورة الحج (القسم الأكبر من سورة الحج تعتبر عادة مكية ويرى بعضهم أنها مدنية نزلت في الفترة الزمنية الثالثة - قبل الهجرة- إلا أنها تكتسب معناها الأساسي من خلال القطع المدنية الموجودة فيها[6]، ونشأت سورة الفتح بعد

[1]- تيودور نولدكه، المصدر السابق، ص 128.
[2]- تيودور نولدكه، المصدر نفسه، ص 155.
[3]- تيودور نولدكه، نفسه ، ص 167- 170.
[4]- تيودور نولدكه، نفسه، ص ص 174-175.
[5]- تيودور نولدكه، نفسه، ص 184.
[6]- تيودور نولدكه،نفسه، ص 191.

بعد صلح الحديبية وفي مطلع سورة الممتحنة فاعتبر أنها تحذر المسلمين مصادقة من نفاهم النبي في ذلك الحين واختتم الفترة المدنية بسورة المائدة.

فيما يخص سور الحقبة المكية عند نولدكه فإنه يقول: «لا يمكن وضع توقيت تقريبي للسور المكية التي نادرا ما تؤخذ فيها الأحداث التاريخية الأكيدة بعين الاعتبار إلا بقدر قليل من الدقة لنستطيع بعد ذلك تقسيم الفترات الأخرى»[1]، لقد أعرب نولدكه عن عدم ثقته بالنصوص التاريخية.

ولقد لخص نولدكه الفترات الثلاث التي ذهب إليها على النحو التالي:

اختلاف الأسلوب يؤدي بنا إلى التعرف على مجموعات مختلفة من السور يقارب بعضها البعض الآخر زمنيا، وتبرز بشكل خاص من مجموعتان تتألف إحداهما من السور القديمة الجياشة، المشاعر، فيما تتألف الأخرى من السور المتأخرة، التي كثيرا ما تقارب في أسلوبها السور المدنية بين ما بين المجموعتين مجموعة أخرى هي مثل حلقة الوصل بينهما، تنتقل بنا بانحدار تدريجي من المجموعة الأولى إلى الثالثة، علينا إذن أن نميز بين سور نشأت في ثلاث فترات[2].

وفي نص آخر اعتقد نولدكه أن بوسعه معرفة سور الفترة المكية الأولى «أعتقد أنه يسعني التعرف على سور هذه الفترة بشيء من اليقين من خلال أسلوبها، فإن قوة الحماس الذي حرك النبي في السنوات الأولى وجعله يرى الملائكة ... أما الكلام فعظيم جليل مفهم صور صارخة والميزة الخطابية تحتفظ بلونها الشعري الكامل، الآيات القصيرة تعكس الحركة الشفوية التي تنقطع مرارا من العلامات الفارقة والمميزة لهذه الفترة كلمات القسم التي ترد فيها كثيرا»[3].

أما بالنسبة لسور الفترة المكية الثانية: قال نولدكه في بيان ترتيب سور هذه الفترة «ليس لهذه السور أي طابع مشترك بعضها يشبه سور الفترة الأولى، بينما البعض الآخر

[1]- تيودور نولدكه، المصدر السابق، ص 64.
[2]- تيودور نولدكه، المصدر نفسه، ص 66.
[3]- تيودور نولدكه،نفسه، ص ص 68، 69.

يشبه سور الفترة الثالثة، نلاحظ في هذه السور الانتقال من الحماس العظيم إلى قدر أكبر من السكينة في السور المتأخرة التي يغلب عليها الطابع النثري ... التأمل الهادئ حل محل الخيال العنيف والإثارة والحماس في الفترة الأولى»[1].

ويقول أيضا: «في هذه الفترة أطلق محمد على إله اسم الرحمن إلى جانب اسم الله الذي كان معروفا أيضا لدى المشركين»[2]، ويعيد نولدكه في هذه الفترة الاعتراف بعدم التوصل إلى ترتيب زمني دقيق «تسمح سور هذه الفترة بقدر أكبر من السهولة بإخضاعها لشيء من الترتيب الزمني ... أما الحيز الدقيق الذي تحمله كل سورة إزاء السور الأخرى، فلا يمكن تحديده هنا بالتأكيد»[3].

في حين أن الفترة المكية الثالثة فقد قال عنها نولدكه: «ما تكون في الفترة الثالثة تدريجيا من أسلوب ولغة ومعالجة للمواضيع، يبرز في الفترة الثالثة في شكله النهائي، اللغة تصبح مطنبة، واهبة، نثرية، التكرار الذي لا نهاية له، كل هذا يجعل الآيات والسور مملة في كثير من الأحيان.... أما السور فبعضها طويل جدا من خصائص الفترة الثالثة المخاطبة بقول "يا أيها الناس"»[4].

وفيما يتعلق بترتيب السور يقول: «وانظر إلى اختفاء التطور تقريبا في سور الفترة الثالثة تضعف لدينا إمكانية القيام بترتيب تاريخي لها عما كانت تسمح به الفترتان السابقتان»[5].

أما عن السور المدنية فقد قال نولدكه في بيان معالمها:

«كثيرا ما خاطب هذه السور المسلمين، لكن لا لتعرض عليهم إلا نادرا، تعاليم عقائدية أو أخلاقية، ولقد عرفتهم بها بصورة وافية السور المكية... فيمدحهم أو يلومهم بحسب ما تمليه الظروف خاصة بعد نصر أو هزيمة ويلقي الضوء على الأحداث عارضا

[1]- تيودور نولدكه، المصدر السابق، ص 105.
[2]- تيودور نولدكه، المصدر نفسه، ص 107.
[3]- تيودور نولدكه، نفسه، ص 108.
[4]- تيودور نولدكه، نفسه، ص ص 128، 129.
[5]- تيودور نولدكه، نفسه، ص 129.

المقبلات، أو أمرا ومشرعا... إن الأمور الجديدة التي دخلت بعد الهجرة في دائرة اهتمامات محمد، فصارت تعالج في السور سببا فيها بالتأكيد اختلافات بالغة مقابل أسلوب الفترة المكية الأخيرة... وبما أن النبي لا يتوجه هنا إلى الناس عموما ـ فإن المنادى "يا أيها الناس" نادر جدا، وكثيرا ما يستعمل النداء "يا أيها المؤمنون" وأندر منه يقال "يا أيها اليهود" و"يا أيها المنافقون"...، إن تطور استعمال اللغة الذي لاحظناه قبل الهجرة، لا يلاحظ بعدها في أقصى الأحوال إلا في آثار متفرقة»[1].

وبالنسبة للوقت الذي نشأت فيه السور فإنه يقول: «هكذا نستطيع إعداد ترتيب زمني للسور المدنية يحتوي على عناصر أكيدة يبقى بالطبع الكثير مما هو غير مؤكد، فبعض المقاطع لا يمكن تحديد زمن نشأها إلا على وجه التقريب، أما بعض الآيات الأخرى فيمكننا القول أنها نشأت في الفترة المدنية إجمالا»[2].

ووفقا لما تقدم يمكننا سرد الخصائص التي وضعها نولدكه في كل فترة على النحو الآتي:

الفترة المكية 1:

- لقد اعتمد نولدكه في ترتيب السور القرآنية في الفترة المكية الأولى الخطاب والمخيلة .
- كلام مفهم بصور صارمة.
- تكرار كلمات القسم.
- قصر الآيات والسور.
- النبرة الخطابية ذات اللون الشعري.

[1]- تيودور نولدكه، المصدر السابق، ص ص 153، 155.
[2]- تيودور نولدكه، المصدر نفسه، ص 155.

الفترة المكية 2:

- الانتقال من الحماس إلى السكينة ويتغلب عليها الطابع النثري ويرى فايل أن أحد أسباب هذا التعديل هو النبي محمد إلى تعطيل الشك بأنه كاهن أو شاعر[1].
- التأمل الهادئ.
- التكرار الدائم للعقائد.
- اتساع المقاطع الوطنية.
- هدوء الآيات وطول السور.
- وجود قصص طويلة تروي حياة الأنبياء السابقين.
- تغيير الأسلوب الخطابي.

الفترة المكية 3:

- لغة نثرية ومطنبة.
- التكرار.
- البراهين تفتقر للموضوع.
- عدم التنوع في القصص.
- سور مملة.
- طول الآيات له علاقة بالأسلوب: المخاطبة (يا أيها المؤمنون)، (يا أيها الناس)[2].

[1]- تيودور نولدكه، المصدر السابق، ص 105.
[2]- تيودور نولدكه، المصدر نفسه، ص ص 128، 129.

الفترة المدنية:

- لا يتعرض القرآن للمشركين الذي أعلنت الحرب عليهم.
- طابع الآيات تشريعية.
- تظهر في هذه السور مهاجمة الرسول لليهود.
- المخاطبة بـ (يا أيها الناس) نادر جدا.
- يقل حجم الآيات.
- جمعت بعض الآيات بسبب تشابهها في سورة واحدة.
- تميز الفترة بكونها الأطول[1].

3) **محاولة هيرشفيلد:**

اعتمدت محاولة هيرشفيلد في ترتيب سور القرآن على تقسيم السور إلى ست فترات ومجموعات على النحو التالي:

- السور ذات الإعلان الأول.
- السور التوكيدية.
- سور الموعظة.
- السور القصصية.
- السور الوصفية.
- السور التشريعية.

4) **ترتيب جريميه:**

بالنسبة لجريمه (H. Grimme) فقد تبع نولدكه في ترتيبه للسور القرآنية واختلف معه في:

[1]- تيودور نولدكه، المصدر السابق، ص ص 148 ، 155.

1. حذف سور من الفترة المكية الأولى (الذاريات، الطور، النجم، الرحمن، الواقعة، الفاتحة، القدر، الكافرون والإخلاص... ترتيبها في القرآن على التوالي: 51، 52، 53، 55، 56، 1، 97، 109، 112) وقسمها أو وزعها في الفترتين المكيتين الثانية والثالثة على الترتيب والنحو التالي:
   - ✓ الفترة الثالثة (الفاتحة 1، القدر 97، الكافرون 109، الإخلاص 112).
   - ✓ الفترة الثانية أنسب إليها الذاريات 51، الطور 52، النجم 53، الرحمن 55، الواقعة 56، ويضم إليها أيضا سورة إبراهيم 14 ما عدا آيات منها "35-41" اعتبرها مدنية وسورة الحجر 15، ق 50، القمر 45، ويضم سورة الإنسان إلى الفترة المكية الأولى.

5) **وليم موير:**

لقد اعتمد موير تقسيم السور المكية إلى 5:

1. السور التي نزلت قبل تكليف محمد بالرسالة.
2. أقدم السور حتى الجهر بالدعوة والرسالة.
3. منذ الجهر بالدعوة حتى السنة السادسة من بدء الرسالة.
4. من 6 إلى العاشرة.
5. من العاشرة إلى الهجرة.

من خلال دراسة تقسيم وترتيب موير للسور القرآنية نجد أن التقسيمات الثلاث الأولى تتضمن ما تحويه الفترة المكية الأولى لترتيب نولدكه السور القرآنية.

أما المرحلة 4 فهي الفترة الثانية لترتيب نولدكه السور القرآنية.

أما الخامسة هي الفترة الثالثة لترتيب نولدكه السور القرآنية.

6) **بلاشير:**

لم يختلف ترتيبه للسور القرآنية عن ترتيب نولدكه إلا في بعض النقاط، حيث أنه ينسب السور (11، 50، 68) للفترة المكية الثانية، و(76) في الفترة الأولى أما (17) الفترة المكية الثالثة على خلاف نولدكه في الفترة المكية الثانية حيث يصل مجمل السور التي قام بترتيبها وتقسيمها إلى 116 سورة وهذا مخالف لما قام به المستشرقون والعلماء المسلمون وحتى ما يوجد في الكتاب الكريم - 114 سورة.

7) **ريتشارد بيل:**

في كتاب المدخل إلى القرآن حاول بيل أن يقدم ويدرس محاولة نولدكه لترتيب القرآن حيث يقول في ذلك «أن ترتيب السور القرآنية ترتيبا زمنيا هو صعب المنال، وقد اقترح بوضع مبادئ عامة يتم من خلالها ترتيب القرآن (في غياب مرجع تاريخي محدد، يبقى الأسلوب هو المعيار الأدق للتوصل إلى تاريخ تفريقي للسورة.

ومن بين العلماء المسلمين محاولاتهم في ترتيب السور القرآنية نذكر[1]:

- **ابن النديم في الفهرست:**

✓ **الفترة المكية:** 8، 96، 98، 73، 74، 1، 111، 81، 87، 94، 103، 89، 93، 92، 100، 108، 102، 107، 105، 112، 113، 114، 53، 80، 97، 91، 85، 95، 106، 101، 75، 104، 77، 50، 90، 95، 55، 72، 36، 7، 25، 35، 19، 20، 56، 20، 27، 28، 17، 11، 12، 10، 15، 37، 31، 23، 34، 21، 39، 45، 46، 51، 88، 18، 6، 16، 71، 14، 32، 52، 67، 90، 70، 78، 79، 82، 84، 30، 29، 83، 54، 86.

✓ **الحقبة المدنية:** 2، 8، 7، 3، 60، 4، 99، 57، 47، 13، 76، 65، 98، 59، 110، 24، 22، 63، 58، 49، 66، 62، 64، 61، 48، 5، 9.

[1]- حسين على حسين مطر الهاشمي، قراءة نقدية في تاريخ القرآن، ص ص 307-308.

- **قائمة عمر بن عبد الكافي:**

✓ **الحقبة المكية**: 96، 68، 73، 1، 111، 81، 87، 92، 89، 93، 94، 103، 108،100، 102، 107، 109، 105، 113، 114، 112 ،53، 80، 97، 91، 85، 95، 106، 101، 75، 104، 77، 50، 90، 86، 54، 38، 7، 72، 36، 25، 35، 19، 20، 56، 26، 27، 28، 17، 10، 11، 12، 15، 6، 36 ،31، 34، 39، 40، 41، 42، 44، 45، 46، 51، 88، 16، 71، 14، 21، 23، 52، 32، 6، 69، 70، 78، 79، 82، 84، 30، 29، 83.

✓ **الحقبة المدنية**: 2، 8، 3، 33، 60، 4، 99، 57، 47، 13، 55، 76، 65، 98، 59، 110، 24 ،22 ،63، 85 ،49 ،62،66، 64 ،61 ،48 ،5، 9.

أراد نولدكه في تقسيمه وترتيبه لسور القرآن أن يؤكد بشرية الدعوة الإسلامية وأراد أن يصل إلى نقطة مفادها هو أن القرآن الكريم قد ألفه شخص استطاع أن يلعب ويغير في الأسلوب على حسب الحادثة والظروف المناسبة لكل سورة.

وعلى الرغم من محاولة بعض المستشرقين إعادة ترتيب القرآن وسوره ترتيبا زمنيا بحسب نزولها إلا أنهم فشلوا في ذلك وقد سئل نولدكه قبل وفاته إن كان يشعر بالندم لأنه لم يعكف على دراسة علم يعود بالفائدة على الجنس البشري فأجاب: «إذا كان من ندم فلأنني درست علوما لم أظفر منها في النهاية بنتائج حاسمة قاطعة»[1].

[1]- مقالة للمستشرق الهولندي سنوك هو جرونييه، نشرت في مجلة الألمان في الذكرى الأولى لوفاة نولدكه./ المستشرقون والقرآن لعمر لطفي العالم، ص 8.

خاتمة الفصل:

ما يمكننا استنتاجه هو أن القرآن وعملية جمعه لم تكن بمحض الصدفة بل كانت نتاج لسياقات وظروف أرغمت الصحابة والخلفاء على تأسيس المرجعية الدينية وحفظ الوحي الذي أنزل على النبي في الفترة التي قضاها بين مكة والمدينة .

ومن هنا يمكن القول بأن جمع القرآن وترتيبه هو مشروع يندرج في سياق جمع المسلمين وتوحيدهم تحت راية مرجعية نصية قدسية تعد بمثابة قانون منظم للحياة العامة والدينية للمسلمين الذين يؤمنون بقدسية القرآن وهذا المسار التاريخي الذي عرفه القرآن جعل المستشرقين يخوضون غمار المغامرة من أجل فهم خبايا القرآن ومدى تأثيره على المسلمين وقوة فعاليته حتى بعد وفاة النبي، ما دفعهم لإثارة نقاط في غاية الحساسية لدى المسلمين كمسألة النسخ و الترتيب لسور القرآن التي ما زالت حتى اليوم محل خلاف بين المسلمين فالبعض يؤكد بأنها مسألة توقيفية بينما يصر البعض الآخر بأنها مسألة توفيقية

لذلك يمكننا أن نقر بأن المصحف كان هو الموحد للمسلمين وأن طريقة و منهج جمعه وتبويبه وتصنيف صوره كانت تقتضي وجود كفاءات من الصحابة لها أفضلية الحفظ والقربى من النبي محمد، طبعا بإيعاز من السلطة السياسية آنذاك متمثلة في الخلفاء الثلاثة للنبي محمد وبخاصة الخليفة عثمان بن عفان الذي يعود له فضل جمع القرآن وجعله مصدرا للمسلمين وله سلطة تتجاوز الزمان والمكان. ويبقى النص القرآني مجالا خصبا للبحث العلمي سواءا للمستشرقين أو حتى للباحثين العرب والمسلمين.

الخاتمة

الخاتمة

يعتبر كتاب تاريخ القرآن لتيودور نولدكه مرجعية تاريخية ومعرفية تسقي منه كل الدراسات الاستشراقية اللاحقة له شغفها في حقل الدراسات القرآنية خاصة والإسلامية عامة .بل لم يكن هذا حكرا على المستشرقين فقط، بل كان ولازال مادة دسمة حتى للدراسات الشرقية حول تاريخية النص القرآني نظرا لما يحمله من ثراء إبستيمولوجي معرفي، فهو يعتبر عصارة جهد ثلاث أجيال من المستشرقين. حيث أثار من خلاله العديد من المسائل التاريخية والعقائدية التي صنفت عند المسلمين في خانة المسكوت عنه فوضعت حولها سياج دوغمائي لقرون طويلة، بدءا بمصادر تكوين الثقافة الثيولوجية والمعرفية للنبي محمد وتأثير البيئة السوسيولوجية التي كانت تعج بالديانات سواء اليهودية والنصرانية أو حتى الحنفية وعبادة الأوثان، أضف إلى ذلك أن الكعبة موجودة بمكة ما يجعلها قبلة دينية وتجارية تحج إليها القوافل من كل حدب وصوب وتمتزج بها الثقافات، وكانت عاصمة الفصاحة العربية لأنها كانت قبلة الفصحاء إلى سوق عكاظ، فكان النبي ينهل منها معارفه ناهيك عن صفاته الخاصة من ذكاء وصدق وأمانة، إضافة لعمله قبل البعثة كتاجر بعد زواجه من السيدة خديجة فلم يكن متقوقعا على الثقافة المكية بل كان ملما بالثقافات الأخرى، ومن بين المسائل التي طرحها نولدكه مسألة أمية النبي التي نفاها نولدكه جملة وتفصيلا لأن هذا المصطلح في النص القرآني لا يدل على عدم القراءة والكتابة بل يدل على عدم الانتساب إلى العهدين السابقين، ما جعل نولدكه يؤكد بأن الإسلام عامة والقرآن خاصة ما هو إلا نسخة منقحة للديانتين السابقتين وبالأخص اليهودية، هذا الأمر الذي وافقنا شطره الأول بأن النبي كان يقرأ ويكتب ولكن لم نوافق على شطره الثاني في أن الإسلام هو تكرار لتعاليم اليهودية والنصرانية وذكرنا أسباب هذا الرفض، فاطلاع النبي على الحضارات السابقة والديانات السابقة لا يعني أن النبي قد ألف القرآن.

ثم تطرقنا إلى مسألة الوحي التي تعتبر حسب نولدكه أساس النص القرآني، واعتبرها مجرد إلهام داخلي تشكل في ذهن النبي نتيجة تدبره في وحدته للعهدين القديمين فظن بأنه

وحي إلاهي، لذا تناولنا مفهوم الوحي لغة واصطلاحا وتقصينا حول هذه المفردة في النص القرآني لنتوصل أن الوحي في اللغة مرتبط بالسرعة والإشارة و الرمز والسرية والخفاء، بينما اصطلاحا أصبح اليوم مرتبك بالرسالة التي يلقيها الله لأنبيائه، ولكن بعد بحثنا في النص القرآني ذاته توصلنا إلى أن وحي الله لأنبيائه بما فيهم النبي محمد ما هو إلا شكل من أشكال الوحي، وما أثار استغرابنا في موقف نولدكه هو فصله بين مفهومين مترابطين في المخيال الإسلامي وهما الوحي والنبوة، إلا أنه من جهة ينكر الوحي الإلاهي عن النبي محمد ولكنه من جهة أخرى أكد على نبوته من منطلق نجاح دعوته ورسالته، لذا نرى بأن موقف نولدكه هنا هو موقف متناقض إلى حد كبير لأن الوحي الإلاهي هو مصدر النبوة فلا نبوة من دونه، ثم تطرقنا لمفهوم النزول ومراحله بدءا بأول ما نزل من القرآن وصولا إلى آخر نزل منه هذه المسألة التي ما زالت موضع خلاف بين المسلمين أنفسهم .

ثم انتقلنا إلى أهم نقطة في بحثنا وهي مسألة جمع النصوص القرآنية، هذه النقطة التي أثارت الكثير من علامات الاستفهام من قبل المستشرقين عموما ونولدكه خصوصا، لأن النبي حينما كان ينزل عليه الوحي كان ينقله مباشرة إلى كتبة الوحي الذين كانوا بدورهم ينقلونه إلى بقية المسلمين للصلاة به أو لتدبره، فكان بعضهم يحفظ ذلك الوحي في صدره أو بينما كان البعض الآخر ممن يحسنون الكتابة يدونونه فيما توفر لديهم من أدوات الكتابة، ولكن بوفاة النبي انقطع الوحي واكتمل النص القرآني الذي كان متفرقا في مصاحف متعددة، وأول هذه الاستفهامات التي أثارها نولدكه كانت حول بداية عملية الجمع هل تمت في حياة النبي أو بعد وفاته؟ فتطرق إلى مختلف النصوص التاريخية السنية منها والشيعية ليتوصل في الأخير إلى أن النصوص القرآنية كانت متفرقة ولم يجمع النبي القرآن بين دفتي كتاب في حياته، وهو الأمر الذي نوافقه عليه بعد التقصي والاطلاع على مختلف المقاربات، وهذا ما يستلزم منطقيا أن جمع القرآن في مصحف واحد كان عملا بشريا اجتهاديا من الخليفة الأول بإيعاز من عمر بن الخطاب، حيث كلف أبو بكر لجنة لعملية الجمع ووضع لها خريطة طريق لجمعه لم يكتمل هذا الجمع في عهد الخليفة الأول فواصل الخليفة الثاني العمل ولكن

المثير للاهتمام في هذه الفترة أن عمرا لم يقصي بقية المصاحف ولم يرى بأنها كات منافسة لمصحفه الذي ورثته ابنته حفصة بعد وفاة والدها.

أما في الأخير فتطرقنا إلى أهم محطة في عملية الجمع والتي تمخض عنها المصحف العثماني. حيث أن رقعة بلاد الإسلام قد توسعت واختلفت ألسنة المسلمين ولهجاتهم، ما أدى إلى اختلافات في النطق وتغيير للمعنى، ومن بين الوقائع التي عجلت بضرورة وأد هذه الفتنة هو ما حدث من صراع بين المسلمين وصل إلى حد إشهار السيوف في فتح أرمينيا، فحينما وصل الخبر إلى عثمان ابن عفان طالب زيدا بجمع النص القرآني في كتاب واحد سمي المصحف، ووضع له شروط لجمع القرآن تطرقنا إليها سابقا. وبعد الانتهاء من هذه العملية أمر بحرق كل المصاحف الأخرى وفرض رسميا النسخة العثمانية في كل الأمصار التي ما زالت بين أيدينا اليوم. لكن النقطة التي أثارها نولدكه وضلة من المستشرقين هل ضاع شيء من القرآن؟ ما دفعنا إلى البحث عن الفروقات بين المصحف العثماني و بقية المصاحف وفي الحقيقة كانت هناك الكثير من الفوارق .

كما أثار نولدكه مسألة ترتيب السور والآيات في المصحف العثماني وتناول مختلف وجهات النظر ولكنه في الأخير توصل إلى أنه لا يوجد معيار موضوعي واضح لهذا الترتيب، فقد كان بطريقة اعتباطية عشوائية، لذا اقترح ترتيبا آخر وفق التسلسل الزمني للنزول.

نصل في ختام بحثنا المتواضع هذا إلى نتيجة حتمية متمثلة في أن القرآن الكريم الذي نزل على النبي وحيا هو مطلق إلاهي، ولكن المصحف العثماني هو عمل بشري اجتهادي تجمع فيه النصوص القرآنية. ويبقى هذا الموضوع حقلا خصبا يحتاج إلى الكثير من البحث والتحقيق والتدقيق والتقصي سواء من قبل المستشرقين أو الشرقيين. ومنتهى رجائي أن أكون قد ساهمت ولو بقسط يسير في إثارة هذا الموضوع، وأكون قد وفقت في الوقوف على أهم نقاط هذا البحث. وفي النهاية أقول إن رأينا صواب يحتمل الخطأ.

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع

- **القرآن الكريم برواية حفص.**

أولا- المصادر:

1. تيودور نولدكه، تاريخ القرآن، ج1، تعديل: فريديرتش شفالي، تر: جورج تامر، دار نشر جورج المز، ط1، بيروت، 2004.
2. ابن أبي الحديد المعتزلي، شرح نهج البلاغة، ج1، تح: حسين الأعلمي، شركة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ط1، 1998.
3. ابن أبي داوود السجستاني، المصاحف، المجلد الأول، دار البشائر الإسلامية، بيروت، ط2، 2002.
4. ابن النديم، الفهرست، ج1، دار المعرفة، بيروت، ط 2، 1997.
5. ابن جرير، السبعة في القراءات، تحقيق: شوقي ضيف، دار المعارف بمصر، القاهرة، دط، د س.
6. ابن كثير، البداية والنهاية ، تح: عبد الله بن المحسن التركي، ج 2، دار الهجر، ط1، 1998.
7. ابن منظور الإفريقي، جمال الدين، لسان العرب، ج 11، دار الفكر، بيروت، ط1، 1990.
8. ابن منظور الإفريقي، لسان العرب، ج7، دار المعارف، القاهرة، ط3، 1981.
9. أبو الحسن أحمد بن فارس بن زكرياء، معجم مقاييس اللغة، دار الفكر، 1979م، ج2.
10. أبو الفداء عماد الدين إسماعيل ابن الكثير، فضائل القرآن، مكتبة ابن تيمية، دار ماجد عسيري، جدة، ط1، 1416هـ.

11. أبو جعفر أحمد الغرناطي، البرهان في تناسب سور القرآن، تح: محمد شعباني، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الرباط، 1990.

12. أبو جعفر الطحاوي، مشكل الآثار، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، ج8، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1994.

13. أبو عبيد القاسم بن سلام، فضائل القرآن ومعالمه وآدابه، تحقيق: أحمد بن عبد الواحد الخياطي، ج2، مطبعة فضالة، المحمدية، المغرب، د ط، 1995.

14. أبو مسلم بن الحجاج النيسابوري، صحيح مسلم، تقديم: محمد فؤاد عبد الباقي، ج2، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1991.

15. أحمد بن تيمية، مجموع الفتاوى، جمع وترتيبعبد الرحمن بن محمد بن قاسم، المجلد06، ج2، مكتبة الملك فهد الوطنية، المملكة العربية السعودية، 1425هـ/2004م.

16. أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، فتح الباري شرح صحيح البخاري، ج 1، المكتبة السلفية.

17. أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي، العقد الفريد، تحقيق: محمد مفيد قميحه، ج2، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1983.

18. الإمام أبو حامد بن محمد الغزالي الطوسي، المستصفى، اعتناء: الشيخ الدكتور ناجي السويد،ج1.

19. بدر الدين الزركشي، البرهان في علوم القرآن، تح: أبو الفضل الطمياطي، دار الحديث، القاهرة، 2006.

20. جلال الدين السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، ج 1، دار ابن كثير، ط 3، دمشق، بيروت، 1996.

21. جلال الدين السيوطي، تاريخ الخلفاء، مكتبة نزار مصطفى الباز، القاهرة، ط1، 2004.

22. جلال الدين السيوطي، مختصر الإتقان في علوم القرآن، دار النفائس، بيروت، لبنان.

23. جلال الربعي عن أبو جعفر الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ج1، تح: عبد المحسن التركي، دار الهجر للطباعة، مقدمة المصنف.

24. الجوهري، الصحاح، ج6، تح: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، ط4، 1987.

25. الراغب الأصفهاني، مفردات غريب القرآن، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت لبنان.

26. السيد علي الشهرستاني، جمع القرآن نقد الوثائق وعرض الحقائق، ج1، المركز الإسلامي للدراسات الإستراتيجية، دس، د ط.

27. الطبري، مجمع البيان في تفسير القرآن، ج1، دار العلوم للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت لبنان، 1426هـ/2005م، ط1.

28. عبد الله الحاكم النيسابوري، المستدرك على الصحيحين، ج2، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2، 2002.

29. عبد ملك ابن هشام، السيرة النبوية، ج1، دار الصحابة للتراث بطنطا للنشر والتحقيق والتوزيع، ط1، 1995.

30. القاضي أبو بكر ابن العربي المعافري، الناسخ والمنسوخ في القرآن الكريم، تقديم: عبد الكريم العلوي المدغري، ج1، مكتبة الثقافة الدينية، الرباط، د ط، 1992.

31. القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج1.

32. مجد الدين محمد يعقوب الفيروزآبادي، القاموس المحيط، تحقيق: أنس محمد الشامي وزكريا جابر أحمد، مطبعة المدني، دار الحديث، القاهرة، 2008.

33. محمد بن اسماعيل البخاري، صحيح البخاري، دار ابن كثير، دمشق-بيروت،ط1، 2002.

34. محمد عبد العظيم الزرقاني، مناهل العرفان في علوم القرآن، ج1، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاؤه، القاهرة، ط3.

35. المعجم الوسيط لإبراهيم مصطفى وآخرين، مجمع اللغة العربية، مكتبة الشروق الدولية، مصر، ط4، 1425هـ/2004م، ج2.

ثانيا المراجع باللغة العربية:

1- أبو بكر كافي، مواقف المستشرقين من جمع القرآن ورسمه وترتيبه، عرض ونقد، pdf.

2- أحمد ديدات، البرهان على البشارة لمحمد في التوراة والإنجيل، عالم الأفكار للطباعة والنشر والتوزيع، المحمدية، د ط، 2016.

3- أحمد سمايلوفيتش، فلسفة الاستشراق وأثرها في الأدب العربي المعاصر، دار الفكر العربي، القاهرة، د.ط، 1998.

4- أحمد عبد الحميد غراب، رؤية إسلامية للاستشراق، بيرمنجهام: المنتدى الإسلامي، ط2، 1411هـ.

5- أحمد عبد الرحيم السايح، الاستشراق في ميزان النقد الإسلامي، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ط1، 1996.

6- أحمد عمران الزاوي، جولة في كتاب نولدكه تاريخ القرآن، دار الطلاس، دمشق، ط1، 2008.

7- باسم المكي وآخرون، علوم القرآن في الإبستيمية المعاصرة، مؤسسة مؤمنون بلا حدود للنشر والتوزيع، الرباط ، ط 1، 2018.

8- التهامي نقرة، مناهج المستشرقين في الدراسات العربية الإسلامية، ج1، المنظمة العربية للثقافة والتربية والعلوم، تونس، د ط، 1985.

9- جلال الربعي، من المصحف إلى القرآن، مكتبة علاء الدين، صفاقس، ط1، 2006.

10- جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، نشر جامعة بغداد، ج6، ط2، 1993.

11- حسين على حسين مطر الهاشمي، قراءة نقدية في تاريخ القرآن، دار الكفيل للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، 2014م.

12- الحكيم محمد باقر، علوم القرآن، مجمع الفكر الإسلامي، 1417هـ، ط3.

13- خليل عبد الكريم، فترة التكوين في حياة الصادق الأمين، دار مصر المحروسة، ط2، 2004.

14- داود العطار، موجز علوم القرآن، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ط3، 1995.

15- رباح صعصع عنان الشمري، جمع القرآن الكريم عند المستشرقين - جون جلكريست أنموذجا-، دار الكفيل للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، 2014.

16- رضا محمد الدقيقي، الوحي إلى محمد بين الإنكار والتفسير النفسي، كتاب تاريخ القرآن للمستشرق الألماني تيودور نولدكه، ترجمة وقراءة نقدية، ج 1.

17- زين الدين ابن زين العابدين الحدادي، الإتحافات السنية بالأحاديث القدسية، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، د ط، د س.

18- ساسي سالم الحاج، نقد الخطاب الاستشراقي، ج 1، دار الكتب الوطنية، بنغازي، ليبيا، ط1، 2002.

19- السيد أبو القاسم الخوئي، البيان في تفسير القرآن، دار نو الهدى، ط8، 1981.

20- السيد محمد رشيد رضا، الوحي المحمدي، مؤسسة عز الدين للطباعة والنشر، بيروت، ط3، 1406هـ.

21- صابر مولاي أحمد، الوحي دراسة تحليلية للمفردة القرآنية، مؤسسة مؤمنون بلا حدود للنشر والتوزيع، الرباط، ط1، 2019.

22- صدر الدين كومش، مصادر القرآن عند المستشرقين.

23- طه حسين، في الأدب الجاهلي، مطبعة فاروق، القاهرة، ط3، 1993.

24- عبد الجبار ناجي، الاستشراق في التأريخ، المركز الأكاديمي للأبحاث، بيروت، ط1، 2013.

25- عبد الصبور شاهين، تاريخ القرآن، شركة نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ط 3، 2007.

26- عبد القادر عودة، التشريع الجنائي الإسلامي مقارنا بالقانون الوضعي، ج1، دار الكتاب العربي، بيروت.

27- عبد الله الزنجاني، تاريخ القرآن، مؤسسة الهنداوي للتعليم والثقافة، ط1، القاهرة، 2014.

28- عبد المجيد شرفي، الإسلام بين الرسالة والتاريخ، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، ط 2 ،2007.

29- عبد المنعم فؤاد، من افتراءات المستشرقين، مكتبة العبيكان، الرياض، ط1، 2001.

30- علي بن سليمان العبيد، الوجيز في علوم القرآن العزيز، دار التدمرية، المملكة العربية السعودية، ط3، 2015.

31- علي حسن الخربوطلي، الاستشراق والتاريخ الإسلامي، الهيئة العامة المصرية للكتاب، د ط، 1988.

32- علي مولا وآخرون، الموسوعة العربية الميسرة، المجلد الرابع، المكتبة العصرية، صيدا لبنان، دط، دس.

33- عمر بن إبراهيم رضوان، آراء المستشرقين حول القرآن وتفسيره، ج1، دار طيبة للنشر والتوزيع، الرياض، دط، دس.

34- عمر لطفي، العالم، المستشرقون والقرآن، مركز دراسات العالم الإسلامي، ط1، 1991م.

35- فاروق عمر فوزي، الاستشراق والتاريخ الإسلامي (القرون الإسلامية الأولى)، الأهلية للنشر والتوزيع، الأردن، ط1، 1998.

36- فضل حسن عباس، قضايا قرآنية في الموسوعة البريطانية، دار البشير للنشر والتوزيع، عمان، 1987.

37- الكليني، الكافي، دار الكتب الإسلامية، ج1، طهران، ط3، 1968.

38- مالك بن نبي، الظاهرة القرآنية، دار الفكر، دمشق، ط2، 1961.

39- مالك بن نبي، إنتاج المستشرقين وأثره على الفكر العربي الحديث، دار الإرشاد، بيروت، ط1، 1969.

40- محمد الحبش، القراءات المتواترة وأثرها في الرسم القرآني والأحكام الشرعية، دار الفكر، دمشق،ط1، 1999.

41- محمد بن علي الشوكاني، إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول، ط1، مطبعة السعادة، مصر،1327هـ.

42- محمد حبيب، نقد فصل الخطاب في إثبات تحريف كتاب رب الأرباب، شبكة الدفاع عن السنة، المدينة المنورة، ط2، 2007.

43- محمد حسن بدر الدين، من الوحي إلى المصحف، مؤسسة مؤمنون بلا حدود للنشر والتوزيع، ط1، 2018.

44- محمد حسين المحمدي، تحليل ودراسة بعض آراء نولدكة حول جمع القرآن الكريم.

45- محمد حسين علي الصغير، بحث حول تاريخ القرآن، جامعة المستنصرية، كلية الفقه، النجف الأشرف.

46- محمد سالم محيسن، تاريخ القرآن الكريم، دار الأصفهاني للطباعة بجدة، ط1، 1393هـ.

47- محمد سهيل طقوش، تاريخ العرب قبل الإسلام، دار النفائس، بيروت، ط1.

48- محمد شحرور، الكتاب والقرآن دراسة معاصرة، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، بيروت، ط5، 1996.

49- محمد طاهر بن عبد القادر الكردي، تاريخ القرآن، مطبعة الفتح، جدة، ط1، 1946م.

50- محمد عبد الله الدراز، مدخل إلى القرآن الكريم، دار القلم، الكويت، د ط، 1984.

51- محمد عبد الله الشرقاوي، الاستشراق في الفكر الإسلامي المعاصر، كلية دار العلوم (جامعة القاهرة)، د س، د ط.

52- محمد عدنان زرزور، علوم القرآن، المكتب الإسلامي، دمشق، ط1، 1981.

53- محمد علواش، مناهج تحليل الخطاب القرآني، صفحات للنشر والتوزيع، دبي، الإمارات العربية المتحدة، ط1، 2017.

54- محمد فاروق النبهان، الاستشراق (تعريفه، آثاره، مدارسه)، المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة، إسيسكو، الرباط، 2012.

55- محمد محمد أبو ليلة، القرآن من منظور استشراقي، دار النشر للجامعات، القاهرة، ط 1، 2002.

56- محمود أبو رية، أضواء على السنة المحمدية، دار المعارف، القاهرة، ط2، 1994.

57- مناع القطان، مباحث في علوم القرآن، مكتبة وهبة،القاهرة، ط7، 1995.

58- منقذ بن محمود السقار، هل بشر الكتاب المقدس بمحمد، دار الإسلام للنشر والتوزيع، مكة المكرمة، ط1، 2007.

59- مهدي خلفة، القرآن الكريم من التنزيل إلى الترتيل، مجمع الأطرش لنشر وتوزيع الكتاب المختص، تونس، ط1، 2019.

60- نجيب العقيقي، المستشرقون، الجزء الأول، دار المعارف، القاهرة، ط3، 1994.

61- الهادي خليفة، القرآن الكريم من التنزيل إلى الترتيب.

62- وازن عدنان محمد، الاستشراق والمستشرقون، رابطة العالم الإسلامي، مكة المكرمة، 1984.

63- وجدي محمد فريد، دائرة معارف القرن 20، ج 10، دار الفكر، بيروت، 1971.

ثالثا- المراجع المترجمة:

1- أ. ج. آربري، المستشرقون البريطانيون، تعر: محمد الدسوقي النويهي، لندن: وليم كولينز، 1946.

2- إجناس جولدزيهر، العقيدة والشريعة في الإسلام، تر: محمد يوسف موسى وآخرون، دار الكتب الحديثة، مصر، ط2، 2009.

3- إجناس جولدزيهر، مذاهب التفسير الإسلامي، تر: عبد الحليم النجار، د ط، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1955م.

4- إدوارد سعيد، الاستشراق - المعرفة السلطة الإنشاء-، تر: كمال أبو الديب، مؤسسة الأبحاث العربية، بيروت، ط7، 2005.

5- بلاشير، القرآن نزوله وتدوينه ترجمته وتأثيره، تر: رضا سعادة، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط1، 1974.

6- توشيهيكو إيزوتسو، الله والإنسان في القرآن، ترجمة وتقديم: د.هلال محمد الجهاد، المنظمة العربية للترجمة، ط1، 2007.

7- جورج جي وأم جيمس، التراث المسروق: الفلسفة اليونانية فلسفة مصرية، تر: شوقي جلال، المجلس الأعلى للثقافة، د.ط، دس.

8- رودي بارت، الدراسات العربية والإسلامية في الجامعات الألمانية - المستشرقون الألمان منذ تيودور نولدكه-، تر: مصطفى ماهر، دار الكتاب العربي، القاهرة، د.ط.

9- مونتغمري ووت، محمد في مكة، تر: عبد الرحمان عبد الله الشيخ ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ،القاهرة، 1994.

10- هنري دكاستري، إسلام خواطر وسوانح، ترجمة: أحمد فتحي زغلول باشا، مكتبة النافذة، دار طيبة للطباعة، الجيزة، ط1، 2008.

رابعا- المجلات والدوريات:

1- أحمد ستار الأعرجي وإيناس جاسم محمد الدروغي، شبهات المستشرقين حول الوحي القرآني، مجلة دراسات استشراقية، العدد 4، 2015.

2- ستار جبر الأعرجي وآخرون، النسخ وعلاقته بجمع القرآن عند المستشرقين، مجلة دراسات استشراقية، العدد الأول، 2014.

3- السيد محمد الشاهد، الاستشراق ومنهجية النقد عند المسلمين المعاصرين، مجلة الاجتهاد، العدد 22، 1994.

4- عزية علي طه، صور من افتراءات المستشرق غراهام على الأحاديث القدسية، مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية، السنة الثامنة، العدد 21، ديسمبر 1993.

5- غانم قدوري الحمد، أصل القراءات القرآنية بين حقائق التاريخ ودعاوى المبطلين، مجلة الحكمة، العدد 20، شوال 1420هـ.

6- كانون سيل، تر: مالك مسلماني، التطور في القران التاريخي، مجلة الدراسات الاستشراقية، عدد 6، 2016.

7- محمد بن سعيد السرحاني، الاتجاهات الحديثة للمستشرقين ومن تابعهم في تفسير القرآن الكريم، مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية، العدد سبعون، سبتمبر 2007.

8- محمد حسين زماني، الاستشراق تاريخه ومراحله، مجلة دراسات استشراقية، العدد الأول، صيف 2014.

9- مكسيم رودنسون، "الصورة الغربية والدراسات الغربية الإسلامية" في **تراث الإسلام (القسم الأول)**، تصنيف: شاخت وبوزورث، ترجمة: محمد زهير السمهوري، (الكويت: سلسلة عالم المعرفة، شعبان/رمضان 1398هـ- أغسطس 1978م).

خامسا- الندوات والملتقيات:

1- محمد السيد راضي جبريل، مصدر القرآن الكريم في رأي المستشرقين، مؤتمر دراسات قرآنية، نظمها مجمع الملك فهد لطباعة القرآن الكريم في المدينة المنورة من 7-2006/9/11.

2- محمد بن سعيد السرحاني، الأثر الاستشراقي في موقف محمد أركون من القرآن الكريم، مجمع الملك فهد لطباعة القرآن الكريم، ندوة القرآن الكريم في الدراسات الاستشراقية، المدينة المنورة.

سادسا- المراجع الأجنبية:

1- Encyclopedia International, Graliercanada limited Canada, 1973, vol. 9.

2- Encyclopedia New York, London, 1973, vol. 13.

3- Le coran et la révélation Judiou chrétienne, études comparées.

4- Petit Larousse, Dictionnaire Encyclopédique.

سابعا-المواقع الإلكترونية:

1- https://versesmind.wordpress.com/2009/10/20

2- https://ar.wikipedia.org/wiki

3- binbaz.org.sa/fatwas/8850/ الفرق-بين-القران-والحديث-القدسي-والحديث-النبوي

4- http://www.alkalema.net/nosrania/nosrania10.htm

5- كامل النجار، نقد الفكر الديني.

ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=110616&r=0

6- https://www.alukah.net/sharia/0/8045/

7- https://www.alukah.net/sharia/0/95177/

ملخص

تعتبر الدراسات القرآنية من صميم اهتمامات حركة الاستشراق وأعلامها منذ ظهور الإسلام إلى اليوم، إلا أنها في المرحلة الحديثة أصبحت أكثر موضوعية بعدما اعتمد المستشرقون على المناهج العلمية لدراسة النص القرآني تحقيقا وتدقيقا ونقدا، ويعتبر تيودور نولدكه الرائد في هذا المجال حينما وضع نواة مؤلفه الشهير " تاريخ القرآن" هذا المؤلف الذي خرج إلى النور بعد بحث دام أكثر من سبعة عقود، حيث استخدم فيه المنهج التاريخي كآلية للبحث في تشكل المصحف، فالتاريخية هنا كمنهج علمي هي لحظة التقاطع بين ما هو غيبي ميتافيزيقي و ما هو مادي واقعي.

لذا حاولنا من خلال هذا البحث العلمي تقفي أثر نولدكه ونقد موقفه موضوعيا من خلال استقراء تشكل النص القرآني انطلاقا من أثر البيئة السوسيولوجية والثقافية التي ترعرع فيها النبي ثم مسألة الوحي وأشكاله، ثم نقله من النبي إلى حفظة الوحي من الصحابة مرورا بمسألة تدوينه ما أدى إلى تعدد المصاحف، ثم مسألة جمع القرآن و توحيد المصحف وترتيب آياته و سوره .

لنصل في الأخير إلى الفصل بين الوحي الإلاهي المطلق متمثلا في القرآن الكريم و بين العمل البشري النسبي متمثلا في المصحف العثماني.

الكلمات المفتاحية: النقد -الاستشراق- الوحي- النص القراني- المصحف.

Résumé

Les études coraniques sont au cœur des intérêts du mouvement orientaliste et de ses leaders depuis l'avènement de l'islam jusqu'à aujourd'hui, mais au stade moderne, elles sont devenues plus objectives après que les orientalistes se soient appuyés sur des méthodes scientifiques pour étudier le texte coranique. Pour l'enquête, l'examen minutieux et la critique. « L'histoire du Coran » chef-d'œuvre de Théodore Noldk qui a été mis au jour après une recherche qui a duré plus de sept décennies, dans laquelle la méthode historique a été utilisée comme un mécanisme pour rechercher la formation du Coran L'historicisme ici en tant que méthode scientifique est le moment d'intersection entre ce qui est mystique métaphysique et le réel tangible.

Ainsi, nous avons tenté à travers cette recherche scientifique de retracer l'impact de Theodor Noldk et de critiquer objectivement sa position en extrapolant la formation du texte coranique à partir de l'impact de l'environnement sociologique et culturel dans lequel le Prophète a grandi, puis de la question de révélation et ses formes, puis son transfère du Prophète aux Compagnons mémorisateurs de la révélation, en passant par la question de sa codification. Elle conduit à la multiplicité des livres Coraniques, puis à la épreuve de la collecte du Coran, unifiant le Coran et arrangeant ses versets et ses sourates

Enfin, arrivons à la séparation entre la révélation divine absolue représentée dans le Saint Coran et l'action humaine relative représentée par le moshafe de ottoman.

Mots clés : Critique - Orientalisme - Révélation - Texte coranique -Mushaf.

Abstract

Quranic studies are at the heart of the interests of the Orientalist movement and its flags since the advent of Islam until today, but in the modern stage it has become more objective after the Orientalists relied on scientific methods to study the Qur'anic text for investigation, scrutiny and criticism. "The History of the Qur'an" is this author that came to light after a search that lasted more than seven decades, in which the historical method was used as a mechanism for researching the formation of the Qur'an. Historicalism here as a scientific method is the moment of intersection between what is metaphysical and material real.

Therefore, we tried through this scientific research to trace the impact of Noldeke and criticize his position objectively by extrapolating the formation of the Qur'anic text based on the impact of the sociological and cultural environment in which the Prophet grew up, then the issue of revelation and its forms, then transferred it from the Prophet to the keepers of revelation from the Companions, passing through the issue of its codification. It led to the multiplicity of the Qur'an, then the issue of collecting the Qur'an, unifying the Qur'an, and arranging its verses and surahs.

Finally, let us arrive at the separation between the absolute divine revelation represented in the Holy Qur'an and the relative human action represented by the Ottoman Qur'an.

Key words: Criticism - Orientalism - Revelation - Quranic text - Mushaf.